الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جـــامعة الأمير عبد القادر
للعلوم الإسلامية
قســـنطينة

كلية الآداب و العلوم الإنسانية
قسم اللغة العربية
شعبة اللغة العربية و الدراسات القرآنية

المـــناظرة في القرآن الكـــريم
- بحـث في الأســاليب -

رســالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية و الدراسات القرآنية

إعـــداد الطـــالبة :
زيـــنب مـــزاري

إشـــراف الدكتور :
محـــمد خـــان

السنة الجـــامعية : 1420 - 1421 هـ
1999 - 2000 م

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الإهـــداء

إلى والديّ الكريمين اللذين أوصاني الله بهما خيرا

فقال :"و بالوالدين إحسانا"

و اللذين آمرني بالدعاء لهما فقال :

"و قل ربـ ارحمهما كما ربياني صغيرا"

فاللهم احفظهما و ارزقني رضاك و رضاهما .

فإليهما أهدي هذا العمل

ابنتكما

زينب

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مقدمة

الحمد لله جاعل المرء بأصغريه: قلبه ولسانه، والمتكلم بأجمليه: فصاحته وبيانه، جامع اللسان والقلم على ترجمة مافي الضمائر: ذاك للأسماع، وهذا للأبصار. الذي علم نبيه طرائق الدعوة فقال جل وعلا ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾نحمده على أن هدانا للإسلام، وعلمنا القرآن، وبين لنا أساليب المناظرة، والاستدلال في محكم تنزيله.

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له شهادة تنفعنا عنده، وأن محمدا عبده ورسوله، الرحمة المهداة والنعمة المسداة الذي دعا أمته بالقول اللين وجادلهم بالقران حتى وضح لهم الطريق فتركهم على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها لايزيغ عنها إلا هالك.

وبعدُ

فقد علمني القرآن أني بقدر ماأعطيه من وقتي واهتمامي تلاوةً لسوره، ونظرا في آياته بقدر ما يغمرني من فيضه الرباني، وعطائه النوراني، فأجد نفسي تتشرب معانيه، وروحي تنتعش بهديه، فيضيء داخلي ويسمو وجداني. وأظل أرتل آياته، فتحلو في فمي سائغة لا أكف عن ترديدها.

وشاء لي الله سبحانه أن ألج صرح الجامعة الإسلامية، فسعيت أتعلم وأنا نشوى، أروي ظمئي من علم أساتذة أجلاء، مازال صدى محاضراتهم في فؤادي لايغيب.

وقد كان لمادة الدراسات البيانية أثر كبير في توجيهي حيث علمتني كيف أدرس النص، وأنا طرف فيه، فالنص يخاطب قارئه، ويؤثر فيه، وقد وجدت في القصص القرآني حياة حاضرة وشخصيات حية، ومكانا وزمانا باديين للعيان، فكأنّ قارئ القصة واحد ممن عاينوا الحدث، وعايشوه، فهو يرى ويسمع ويحاور وينفعل.

واتضح لي أن محور القصص النابض هو (الحوار)، فبلفظ (قال) يُستحضر القائل ويُرى في الخيال، ويسمع مباشرة دون وسائط لوجود علاقة بين القارئ

والقائل، فحياة القصة تستمر بتنوع الحوار.

ولما تتبعته وجدته عنصرا في نظام متكامل هو (المناظرة القرانية) والمناظرة علم عقلي عند العلماء والفلاسفة، ولكني لمستها في القران الكريم خطابا عقليا راقيا ومتعة فنية لا تدانيها متعة، فهي التقاء خطاب لكل منافذ الادراك والحس في الانسان: خطاب يتعمق الروح والذهن والضمير والنفس والوجدان. كل واحد يتسمع للمناظرة القرآنية فلا عناء في فهم مرادها ومراميها.

ولعل توجيه الدكتور حسيني علي رضوان - ذكره الله بخير - إياي لداسة (سورة الشعراء) دراسة بيانية كان سببا مباشرا في ولوج صرح المناظرة، فقلت في نفسي : لقد درست القصة القرآنية والمثل القرآني والحكمة القرآنية وتساءلت: أين دراسة المناظرة القرآنية ؟ فأحببت أن أدرسها وأحدد أركانها وشروطها وكل مايتصل بها وأبرزما استطعت من جماليات الأداء. واستقر رأيي على دراسة المناظرة في القرآن الكريم. وقد اعترض الدكتور المشرف الأول على هذا الموضوع لصعوبته وقلة مادته، ولكني مضيت يدفعني حبي للنص القرآني، حيث تمثل المناظرة فيه أو تكاد طريقته المثلى في الإقناع وبخاصة في العقائد.

ولما بدأت في البحث عن المادة وجدت المناظرة بابا من أبواب المنطق تدرس من الوجهة العقلية في البراهين والأقيسة والأدلة. وجدت منطقا أخر بتعقيده وجفائه، فكان أول مابدأت بقراءته: رسالة الآداب في آداب البحث والمناظرة لمحمد محي الدين عبد الحميد، وشرح متن طاش كبرى زاده في المناظرة، وآداب البحث والمناظرة للشنقيطي، وضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة للميداني.

وعدت إلى كتب الأدب فوجدت زخما كبيرا من المناظرات الأدبية على الرغم من أن دارسي الأدب لم يعتنوا بها ولم يدرجوها ضمن دراساتهم.

وإن أول من أشار إلى هذا الفن شوقي ضيف في كتابيه: تاريخ الأدب العربي، والفن ومذاهبه في النثر وكانت إشارته إليها عبارة عن عرض سريع لنماذج من المناظرات في العصرين الأموي والعباسي.

ولقد أفرد أحمد أمين مصطفى لهذا الفن مؤلفا خاصا أسماه المناظرات في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري حيث عرض فيه لأنواع المناظرات الفلسفية والدينية والنحوية والشعرية والأدبية المخترعة.

وإني لم أجد فيما درست (المناظرة القرآنية) إلا في النزر القليل في كتب المنطق وبعض كتب العقيدة.

وعدت إلى القرآن أجمع النصوص التي أراها سيقت بأسلوب المناظرة وعمادي في ذلك، أن المناظرة محاورة بين طرفين متماثلين متنازعين حول فكرة ما.

وسيقسم هذا البحث إلى ثلاثة فصول تسبقها مقدمة وتتلوها خاتمة.

ففي الفصل الأول نعرّف المناظرة ونبين الفروق بينها وبين كل من الجدل والحوار وندرس أركانها: الشخصية والدعوى والمآل والآداب.

ندرس الشخصية لتوضيح معالمها والفروق بينها وبين الشخصية في الأجناس الأدبية الأخرى. ونتحدث عن الدعوى ونبين شروطها وعناصرها، ونتحدث عن المآل الذي يدل على انتهاء المناظرة ونذكر الآداب التي يجب على المتناظرين الالتزام بها.

وبعد ذلك نتعرض لدراسة الاتجاه الأدبي في دراسة المناظرة ونتناول الحديث عن الاتجاه المنطقي في دراستها.

في الفصل الثاني ندرس بعض النماذج القرآنية وهي مناظرات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وإن الهدف من ذلك على شقين.

أما الأول: فمعرفة أساليب الأنبياء في مناظرة أقوامهم، لإقامة عقيدة التوحيد ومعرفة الفروق بينها.

أما الثاني: فهو معرفة الجانب الفني في المناظرة القرآنية بعيدا عن الأقيسة المنطقية.

وإنا سندرس مناظرة إبراهيم عليه السلام لنمرود دون أن ننسى الحديث عن مناهجه في مناظراته الأخرى مع أبيه وقومه ليتضح أسلوبه في المناظرة.

وندرس مناظرة موسى عليه السلام لفرعون مع العلم أن هذه المناظرة تكرر

ورودها في القران الكريم كثيرا، فقد عرفتنا بمدى صمود الحق أمام الطغيان والظلم.

وندرس مناظرة الرسول صلى الله عليه وسلم لأبي بن خلف في قضية البعث ونعرف مدى خلود الفكرة وكيف تظهر وتبرز الحقيقة شاهدة للعيان لترث الانسانية الحقيقة ناصعة نقية من كل ضلالات البشر.

وفي الفصل الثالث ندرس نص مناظرة إبراهيم عليه السلام لنمروذ دراسة لغوية باعتماد مستويات ثلاثة:

1- الأصوات

2- التراكيب

3- الدلالة

أما الهدف من البحث فهو معرفة أساليب المناظرة في القرآن الكريم ومعرفة طرائق أدائها وفنياتها.

إن معالجتنا للمناظرة القرانية أسلوبيا تقوم على رؤية نقدية تحاول أن تلامس البنية اللغوية للنص القرآني من جميع جوانبه. ولهذا السبب نعمد إلى الدراسة النصية لقدرتها على تبين ملامح الإعجاز الفني الذي يستمد أصوله العامة من السمات الأسلوبية والخصائص الفنية المتفرقة في فضاء النص.

ولقد ارتكز البحث على المنهج الوصفي التحليلي الذي يتخذ من وصف الظاهرة وسيلة للكشف عن الملامح التعبيرية البارزة في نصوص المناظرات. وقد تم ذلك بالوقوف على النص واستنطاقه، فالدراسة نصية تنطلق منه لتعود إليه. وكل ذلك لتفجير طاقاته وتذوق جماليات الأداء.

إن طبيعة موضوع هذا البحث يقتضي منا اعتماد مصادر ومراجع متنوعة من أهمها التفاسير كتفسير ابن كثير وتفسير الطبري وتفسير الرازي وكشاف الزمخشري وفتح القدير للشوكاني والتحرير والتنوير لابن عاشور وتفسير سيد قطب.

ومن كتب المناظرات كتاب عيون المناظرات للسكوني.

ومن كتب الجدل الكافية للجويني وكتاب استخراج الجدال من القران الكريم

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

لناصح الدين الحنبلي، وكتاب تاريخ الجدل لابي زهرة وكتاب مناهج الجدل في القران لزاهر بن عواض الألمعي.

ومن كتب الحوار المحاورة في القران الكريم لعبد الحليم حفني وكتاب في أصول الحوار وتجديد علم الكلام لطه عبد الرحمن.

أما عن الصعوبات التي اعترضت سير البحث فقد تركزت في صعوبة الموضوع لجدته ووعورة جوانبه.

ولايسعني في هذا المقام إلا أن أشكر الأستاذ المشرف الدكتور محمد خان جزيل الشكر على كل لحظة وهبها لي بقراءته البحث، فما تاخر عن موعده على الرغم من كثرة أعماله وأشكره على كل التوجيهات التي قدمها لي، فقد تسلم البحث فعدل في كثير من جوانبه صابرا جادا حريصا على أن يخرج البحث خاليا من الأخطاء.

كما أشكر الدكتور عبد الله بوخلخال الذي لم يبخل علي بمساعداته كلما قصدته.

وفي الأخير أكرر شكري واعترافي وامتناني لأستاذي الدكتور محمد خان.

زينب مزاري

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الأول :

المفاهيم و الاتجاهات

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1- مفهوم المناظرة وأركانها

1-1 - 1 مفهوم المناظرة

1-1 - 2 الجدل

1-1 - 2-2 الحوار

2-1-2 أركان المناظرة

4-1 الطرفان

4-2 الدعوى

4-3 المآل

4- 4 الآداب

2- الاتجاه الأدبي في دراسة المناظرة

3- الاتجاه المنطقي في دراسة المناظرة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1 مفهوم المناظرة وأركانها

2 - 1 - 1 مفهوم المناظرة

تمهيد

خلق الله سبحانه وتعالى الناس بعقول ، ومدارك متباينة ، وألسنة وتصورات وأفكار مختلفة، وفطر البشر على العيش جماعات وأمما ، وإنّ مجال الحياة واسع، ومصالح الناس تتضارب ؛ فيختلف الناس فيما بينهم ، لأن كلاً منهم يريد نفسه ومصالحه ، وإن إعمار الكون وقيام الحياة لا يتحقق شيء منها لو أن البشر خلقوا سواسية في كل شيء، قال جلّ وعلا :﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾- هود 118-119.

والإختلاف يؤدي إلى النزاع والتفكك ، وإنّ هارون عليه السّلام رأى أن ألفة قومه: (بني إسرائيل) أولى من معاتبة أخيه موسى له إن فرقهم ﴿ إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ - طه 94-.

إن الشّر ليس قاصرا في حد الإختلاف ذاته ، وإنّما الشّر في أن يضلّ النّاس عن الصّراط المستقيم، لأنّ الاختلاف أمر فطريٌّ ، غير أنّ النّاس يلجأون عند اختلافهم إلى أقرب طرق لتسوية الخلاف ، وهو منطق القوة . لإبادة الخصم المخالف.

ولعلّ أوّل اختلاف بين البشّر ما كان بين ابني ادم عليه السّلام.

قال جلّ وعلا : ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ۝ لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ - المائدة 27 . 30 -.

كان القتل بعد الاختلاف ، ولو احتكم البشر إلى الحق لوجدوه واضحا بيّنا وأقصى مايحتاجون إليه حينئذ هو الحوار بالمنطق والحجّة لا غير.

وقد جاء وحي السّماء إلى البشر ينشئ بينهم رباطا يوصل بعضهم ببعض،

ويخفف من حدّة النّزاع، ويمدّ الطريق الأمثل لفكّ الخصومات ، فكان الحوار وسيلة القرآن في دعوته ليكون وسيلة حياتنا، قال الله جلّ وعلا : ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ – النحل 125–.

وقد ارتقت كلمة (الحوار) في مجال الخصومات ، واتخذت لها أشكالا أخرى ؛ لأن الحوار هو الصّورة الأولى للكلام بين اثنين ، فهو مجرد مراجعة له.

ولكن عند وجود نزاع حقيقي حول أمر ما بين طرفين، كلّ يشدّ إلى جهته. فنسمي ذلك مناظرة.

جاء في (معجم مقاييس اللغة) : " أنّ النّون والظّاء والرّاء أصلٌ صحيح يرجع فروعه إلي معنى واحد ، وهو تأمل الشّيء ومعاينته " (1) .

وقد جاء في(لسان العرب) : "النّظر تأمّل الشّيء بالعين " (2) .

فالمعنى للأصل اللّغوي (للمناظرة) هو تأمل الشّيء ومعاينته، الفكر فيه وتقديره، وقياسه ، وهذه المعاني اللّغوية كلّها لا تخرج عمّا ترمي إليه المناظرة.

والمناظرة على وزن (مُفاعلة)، والمفاعلة إثارة الفعل أو تحريك الفعل بين اثنين(3) ، فالمناظرة هي هذه المعاني اللّغوية ، ويفعلها اثنان.

وذكر في (المصباح المنير) أنّ " ناظره مناظرة بمعنى جادله مجادلة " (4) حيث جعل المناظرة جدلا.

---

(1) ابن فارس (أبو الحسن أحمد تـ395 هـ) . مقاييس اللغة، تحقيق، عبد السلام هارون، دار الفكر، مصر . ج 5 . ص 444.

(2) ابن منظور (جمال الدين بن مكرم . تـ 711 هـ) . لسان العرب، دار المعارف، مصر ، ج6 . ص 4465 مادة (نظر).

(3) المصدر نفسه ، ص 4446

(4) الفيومي (أحمد بن عليّ المقرىء، تـ 770 هـ) . المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، دار القلم . بيروت . ج2 . ص 1+ .

وعّرفت بانها هي المحاورة بين فريقين حول موضوع، لكلّ منهما وجهة نظر فيه، تخالف وجهة نظر القريق الآخر، فهو يحاول إثبات وجهة نظره، وإبطال وجهة نظر خصمه مع رغبته الصّادقة بظهور الحق، والاعتراف به لدى ظهوره " (5) .

مرّة تعّرف المناظرة بأنها الجدل ، ومرّة أخرى تعرّف بأنها الحوار، وإن الأصل الصحيح لمادة (نظر) هو تأمل الشّيء، واللغويون لا يؤمنون بالتّرادف المطلق بين الألفاظ إلاّ في القليل؛ ثمّ إنّ بين هذه المصطلحات الثّلاثة فروقا تميّز كلّ لفظ عن الآخر، ولمعرفة هذه الفروق لابّد من الحديث عن الجدل والحوار.

2 - 1 : الجدل

في عُرف اللّغة شد الفتل . وجدلت الحبل أجدله جدلا إذا شددت فتله ، وفتلته فتلا محكما" (6).

وجاء في (اساس البلاغة) انّ " جدّله أي القاه على الجدالة وهي الارض " (7) .

إن المعنى اللّغوي للجدل هو الشّد والفتل والإلقاء، فكل واحد من المتجادلين يعمل على شدّ رأيه وإحكامه بما يقدمه من أدلة بتأييده، وبما يكشف عنه من وهن رأي خصمه.

وقد سميت به إحدى سور القران الكريم (سورة المجادلة)

والجدل في كتاب التعريفات :" دفع المرء خصمه عن إفساد قوله بحجه أو شبهة، أو يقصد به تصحيح كلامه ، وهو الخصومة في الحقيقة . وهو القياس

---

(5) الميداني (عبد الرحمن حسن حبنكة) ، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، مكتبة العلم، جدّة ، ص 371.

(6) ابن منظور، لسان العرب، ج 1 ، ص 569.

(7) الزمخشري (محمود بن عمر ، تـ 538هـ) ، أساس البلاغة، تحقيق، عبد الرحيم محمود، دار المعرفة. بيروت ، ص 53.

المؤلّف من المشهورات والمسلّمات . والغرض منه إلزام الخصم وإفحام من هو قاصر عن إدراك مقدمات البرهان " (8) .

فالغرض من الجدل هو مجرّد الغلبة ، ففي الجدل جهد يبذل من أجل هذه الغلبة، أمّا المناظرة فالقصد منها إظهار الصّواب.

ولقد فرّق (أبو زهرة)(9) بين المصطلحين فقال:" تدور على الألسنة عبارات المناظرة والجدل ، وأحيانا تطلق إحداهما في موضع الأخرى ، وفي الحقّ أن بينهما إختلافا في الاصطلاح ، فالمناظرة يكون الغرض منها الوصول إلى الصّواب في الموضع الذي اختلفت أنظار المتناقشين فيه، والجدل يكون الغرض منه إلزام الخصم، والتّغلب عليه في مقام الاستدلال" (10) .

وعند تتبع ورود كلمة (جدل) في القرآن الكريم (11) يظهر أن أغلبها يكون في الموضع غير المرضي عنه ، أو غير المجدي كقوله جلّ وعلاّ ﴿ وَجَٰدَلُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ﴾ - غافر 4 - وقوله: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُواْ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوًا ﴾ - الكهف 53 - 55 -، وهو على نوعين " جدل مذموم ، وآخر محمود :

---

(8) الجرجاني (علي بن محمد الشريف . تـ 816هـ) . كتاب التعريفات . تحقيق . عبد المنعم الحفني، دار الرشاد القاهرة . ص 75.

(9) هو محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد بن عبد الله ولد في 1898 توفي سنة 1974 في المحلة الكبرى إحدى مدن محافظة مصر واختير في 1962 عضوا بمجمع البحوث الاسلامية بالأزهر. ابن تيمية حياته و عصره وأراءه لأبي زهرة دار الفكر العربي القاهرة 1991 ص 1

(10) أبو زهرة (محمد) . تاريخ الجدل . دار الفكر العربي، بيروت 1950، ص 34.

(11) وهي في هذه المواضيع : البقرة 197. النساء 107. 109 . الأنعام 25 - 121 . الأعراف 71. هود 32 -74 . النحل 16- 125 . الرعد13. الكهف 54- 56 . الحج 3 - 8 - 68 . العنكبوت 46. لقمان20 . غافر 4 - 5 - 35 - 56 - 69 - . الشورى 35 . الزخرف 58 . المجادلة 1 .

قال (الرازي)(12) عند قوله تعالى ﴿ مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلاَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ فَلاَ يَغُرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلاَدِ ﴾ – غافر 3 – : " الجدال نوعان : جدال في تقرير الحق وجدال في تقرير الباطل. أما الجدال في تقرير الحقّ فهو حرفة الأنبياء عليهم السّلام، قال تعالى لمحمد ﷺ ﴿ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ – النحل 125 – ، وقال حكاية عن الكفار : إنّهم قالوا لنوح عليه السّلام ﴿ يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا ﴾ – هود 32–، وأمّا الجدال في تقرير الباطل فهو مذموم، وهو المراد بهذه الآية حيث قال تعالى ﴿ مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلاَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ – غافر 3 – ، وقال ﴿ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ – الزخرف 58–، وقال ﴿ وَجَادَلُواْ بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ الْحَقَّ ﴾ – غافر 4– ، –ثم قال – واعلم أن لفظ الجدال في الشيء مشعر بالجدال بالباطل ، ولفظ الجدال عن الشيء مشعر بالجدال لأجل تقريره والذبّ عنه " (13).

إنه حيثما وجد الجدال الذي يدعو اللّه إليه إلاّ وقيّد بالأحسن، حتى يتميز عن الجدال المذموم، إذ مقصده نصرة الحقّ وإظهار زيف الباطل ، وهو نفسه المناظرة ، فالمناظرة جدال (بالتي هي أحسن) ، والجدال مبتوت لا هدف له إلا ردّ الحقّ.

ومن خلال ماسبق يتّضح وجود علاقة بين الجدل والمناظرة ؛ فالمناظرة تقوم على مقارعة الحجج ، فكلّ يرغب في نصرة رأيه، وإبطال رأي خصمه، فطرفا المناظرة يتجادلان للوصول إلى الحق، فالجدال إذا وسيلة للوصول إلى الحقّ وبالتالي هو وسيلة في المناظرة،

---

(12) الفخر الرازي : محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري أبو عبد الله، الإمام المفسر أوحد زمانه في المعقول و المنقول وعلوم الأوائل، ت 606 هـ. خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين بيروت، الأعلام 6/ 313 مجلة الشامية

(13) الرازي (فخر الدين محمد بن عمر . ت 606 هـ) . التفسير الكبير ومفاتيح الغيب . دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج3، ص 29.

2-2. الحوار:

لا تلزم من المحاورة التي هي المجاوبة (14) صورة الخصومة ، وربما تغلب عليه صورة الكلام المتبادل بين طرفين في أسلوب لا تقصد به الخصومة . فهو مجرد تردد الكلام بين اثنين.

وقد وردت مادة (حوار) في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع :

قال تعالى ﴿ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴾- الكهف 34

وعن الآخر ﴿ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ ، وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً ﴾ - الكهف 36-، وهي لا تعبر عن خصومة بقدر ماهي اختلاف في المنهج فقد عبر النص القرآني عنهما ﴿ فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ ﴾ . ﴿ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ ﴾ فهما صاحبان مختلفان.

فلا يوجد لدد في الخصومة. وإنما هذا غنى أعماه الغنى.فأخذه الزهو بما أوتي من مال ونفر، وذاك رجل فقير ، أغناه الله إيمانا ، فحدث بينهما هذا الحوار.

والموضع الثالث في قوله تعالى :﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا ﴾ - المجادلة 1 -.

إنّ حديثها عن زوجها خصومة لذا كان اللّفظ (تجادلك) ، ولكن حديثها مع النبي ﷺ كان مراجعة في الكلام ولذا عبّر بلفظ (تحاوركما) (15).

فالحوار مراجعة كلام ، أو تردّد كلام بين اثنين ، والمتناظران يحتاجان إلى تردّد الكلام بينهما ، هذا يسمع من هذا دعواه، والآخر يُسمِعُه منعُه. والحوار يدير المناظرة بين المتناظرين ، فهو وسيلة من وسائل المناظرة.

فالمناظرة محاورة بين طرفين في مسألة ما ، لكلّ منهما رأي يخالف رأي الآخر فيها، وكلّ منهما يحاول إبطال رأي خصمه وتصحيح رأيه مع الرغبة الصادقة في ظهور الحقّ.

والجدال والحوار كلاهما وسيلة في المناظرة.

---

(14) ابن منظور. لسان العرب ، ج2 ، ص 103 ، مادة (حور).

(15) حفني (عبد الحليم) ، أسلوب المحاورة في القرآن الكريم. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة. 1985. ص 5

4- 1 -2 : أركان المناظرة:

للمناظرة أربعة أركان : الطرفان، والدعوى ، والمآل، والآداب.

1-4 : الطرفان :

مامن مناظرة إلاّ ولها طرفـان متناظران ، إذ هما ركن فيها ، ومن أهم شـروطهما أن يكونا متمـاثلين ، والتناظر هو التّقابل المقيس ، أي ابتـعاد الطّرف الأوّل عن النّقطة المتنازع فيها بنفس البعد الذي بيتعد عنها الطرف الثـاني، فالنّظير هو المـثل، جـاء في (المعـجم الوسـيط): " ناظر فـلان فلانـا ، صار نظيـرا له، وباحـثـه . وباراه في المحاجة، والشّيء بـالشّيء ، جعله نظيرا له. ويقال : داري تناظر داره ؛ تقـابلها، تناظر القـوم : نظر بعضـهم إلى بعض. وفي الأمر تجـادلوا ، وتراوضوا، ويقـال:" دورهم تتناظر: تتقابل، والمناظر: المجادل المحاج المثل " (16).

فمن شروط المناظرة أن يكون الطرفان على درجة متقاربة من العلم والمكانة ولذلك وضع علماء فنّ البحث والمناظرة من بين الشّروط أن " يجتنب المناظر مجادلة ذي هيبة يخشاه لئلا يؤثر ذلك عليه، فيضعفه عن القيام بحجته كما ينبغي ، وأن لا يناظر حقيرا ضعيفا قليل الشأن، فذلك يقلّل من اهتمامه. فيمكّن خصمه الضّعيف منه " (17).

والتكافؤ بين النّظرين يحـقق شرطا أساسيـا ، وهو أن يملك كلّ من الطرفين حرّية الحركة الفكرية التي تمكنه من الثقة بشخصيته الفكرية المستقلة، فلا يكون واقعا تحت رحمة الإرهاب الفكري والنّفـسي الذي يشعر معه بالانسحاق أمام شخصيّة الآخر لما يحسّ به في أعماقه بالعظمة الكبيرة والمطلقة التي يملكها الآخر فتتضاءل -- إزاء ذلك- ثقته بنفـسه، وثقته بفكره، وبقابلـيته لأن يكون طرفا في الحوار، ويفـقد قدرته على الحركة الفكرية ، فيتحول إلى صدى للأفكار التي يتلقاها من الآخر " (18) فليس

---

(16) أنيس (إبراهيم ، وآخرون) ، المعجم الوسيط، دار الفكر، بيروت، مادة (نظر) ، ج 2 ، ص 932.

(17) الميداني، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة ، ص 372.

(18) فضل الله (حسين)، الحوار في القرآن -قواعده، أساليبه، معطياته- دار التعارف للمطبوعات ، بيروت، ط 5، 1987، ص 36.

بالضرورة أن يكون المناظِر خصما " لأن الطرف الأدنى يقف تلقائيا موقف شخص يلتمس تعليما أو يكتفي بطرح أسئلة. فالمناظرة لا يمكن أن تنعقد إلاّ بين خصمين متساويين يتمتعان بنفس شروط الأمان والصّحة " (19).

ففي المناظرة الزّنبورية مثلا ؛ أكثر تلامذة الكسائي(20) سؤال سيبويه(21) وأكثروا تخطئته " فلما كثُر ذلك عليه قال : لا أكلمكما [خلف الأحمر(22) والفرّاء(23)] أو يحضر صاحبكما حتى أناظره "(24) . فلقد كره سيبويه أن يناظر من هو دونه علما ومكانة حتّى قال عند تخطئتهم له :" هذا سوء أدب "(25) ، فطلب سيبويه نظيره الكسائي . فكلاهما نحويّ ورأس مدرسة في بلده.

يمكن أن نطلق على كل طرف في المناظرة شخصية ليسهل الحديث عنها ، والمقارنة بينها وبين الشخصية في الأعمال الأدبية.

إن الشّخصية في القصة والرواية متفاوتة ، يعني أنها ليست على حال واحدة ، وبخاصة أن هذه الأعمال الفنية تحتاج في كثير من الأحيان إلى عدد لا بأس به من

---

(19) شاهين (عبد الصبور) . مناظرات في أصول الشريعة الاسلامية بين ابن حزم والباجي . دار الغرب الاسلامي .بيروت . ط1 .1986 .ص 43

(20) هو: علي بن حمزة أبو الحسن الكسائي. ت 197 هـ . إمام في اللغة والقراءة والنحو. ترجم له جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي. ت624هـ. في كتاب إنباه الرواة على أنباه النحاة. تحقيق محمد أبو الفظل ابراهيم. دار الفكر العربي القاهرة. 256/2. وابن النديم (محمد بن اسحاق. في الفهرست. دار المعرفة بيروت ط1 1994 م.ص 90

و ياقوت الحموي في معجم الأدباء أو ارشاد الاريب إلى معرفة الأديب. دار الكتب العلمية بيروت. 87/4.

(21) هو عمرو بن عثمان بن قنبر. ت 180 هـ إمام النحّاة و أول من بسط علم النحو. ترجمته في وفيات الاعيان463/3 . إنباه الرواة على أنباه النحاة 346/2 . الفهرست 74 معجم الادباء 499/4.

(22) خلف الاحمر: أحد رواة الغريب واللغة والشعر ونقاده والعلماء به وبقائليه. وله صنعة فيه. إنباه الرواة 484/1. الفهرست 72.

(23) الفراء: يحي بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي أبو زكرياء الفراء كان من أبرع الكوفيين وأعلمهم في النحو. إنباه الرواة 807/4. الفهرست 91.

(24) ابن الانباري (كمال الدين أبو البركات ت 577هـ) الانصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين. دار الفكر . بيروت . المسألة 99 . الجزء 2 . ص 703 .

(25) السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن ت 911 هـ) . الاشباه والنظائر . تحقيق إبراهيم محمد عبد الله . مطبوعات مجمع اللغة العربية .دمشق 1407 هـ .1986م. ص 30 .

الشخصيات حتى يكتمل البناء ، وكل شخصية تتميز بميزات تختلف تماما عن بعضها البعض ، فعبقرية القاص تقوم على إبداع شخصيات تتحرك ، نجد أمثالا لها في المجتمع ، أو من الممكن أن نصادف أمثالهم ،وهويعتمد في تصويرهم على الواقع، فالعمل الأدبي في الأجناس الأدبية منصب على تصوير الشخصيات ،"والعمل على إنمائها مع الحدث في حساب فنيّ محكم يبدو من دقة أحكامه أنه تلقائي طبيعي" (26) فالشخصية في الأعمال الأدبية مزيج من الواقع والخيال، ولا ينفصل العمل الروائي عن العمل القصصي " فالشخصية الروائية ذات طبيعة مطاطية " (27)، ليست ثابتة على حال واحدة فهي نامية متغيرة في خلال الرواية من بدايتها إلى نهايتها، تبدأ كشخصية عادية وتنتهي شخصية عظيمة ، والعكس ، والاحتمالات كثيرة بعدد الروايات المدروسة ، كما أن" الشخصية محض خيال يبدعه المؤلف لغاية فنية محددة يسعى إليها [...] إن قضية الشخصية هي قبل كل شئ قضية لسانية ، فالشخصيات لا وجود لها خارج الكلمات ،لأنها ليست سوى كائنات من ورق " (28).

وعلى الرغم من هذا الاعتبار ، أي أن الشخصيات الروائية مجرد كائنات ورقية فإن النقاد والدراسين يشيدون بمن يعطي الأهمية القصوى للشخصيات في روايته،"ويجعل القارئين والناظرين يعرفونهم ويتعاطفون معهم ، ويحبونهم أو يكرهونهم كما لو كانوا ينتمون إلى عالم اللّحم والدّم، وأوّل شيء تتطلبه من الروائي أن يكون رجاله ونساؤه متحركين في روايته كأنّهم مخلوقات حيّة ، وأن يبقوا في أذهاننا بعد أن ندع الرّواية جانبا وننسى تفاصيلها» (29).

---

(26) محمد غنيمي ، هلال ، النقد الأدبي الحديث، دار العودة ، بيروت، ط1 ، 1982، ص 602.

(27) حسن بحراوي : بنية الشكل الروائي ، المركز الثقافي العربي، بيروت ، ط1، 1990، ص 207.

(28) المرجع نفسه ، ص 213.

(29) أحمد أمين ، النقد الأدبي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط 4، 1967، ص 138.

وللتّشخيص في الرّواية قيمة كبرى " فهو على العموم أكبر قيمة في الرّوايات من التّصميم ، ولذلك كانت الرّوايات التي تهتم بالأشخاص أسمى من التي تعتمد على الحوادث ." (30)

والشّخصية في المناظرة على عكس ما جاء في فنّي القصة والرّواية تماما إذ أنها تختلف إختلافا كليا عن شخصية الأجناس الأدبيّة فهي :

1-6 : شخصية واقعية : ولا تكون في المناظرة خيالية أبدا حتى المناظرات المخترعة التي اخترعها الجاحظ وغيره، فالشّخصية فيها موجودة في الواقع ، والنصّ مخترع ، فالسّيف عند (ابن الوردي ،ت 749 هـ)(31) يعقل ويحاور ويدرك محاسنه

وعيوب خصمه (القلم) فيجادل كل منهما الآخر ، يقول القلم :" بسم اللّه مجريها ومرساها ، والنهار إذا جلاها ، واللّيل إذا يغشاها ، أما بعد حمدا لله بارئ القلم ، ومشرفه بالقسم وجاعله أوّل ماخلق ، وجمّل الورق بغصنه كما جمّل الغصن بالورق، والصّلاة على القائل جفّت الاقلام ، فإن القلم قصب السباق، والكاتب بسبعة أقلام من طبقات الكتاب في السّبع الطّباق ، جرى بالقضاء والقدر، وناب عن اللّسان فيما نهى وأمر [...] .قال السّيف : بسم اللّه الخافض الرّافع ، وأنزل الحديد فيه بأس شديد ومنافع أما بعد ، فحمدا للّه الذي أنزل آية السّيف، فعظم بها حرمة الجرح وأمن بها خيفة الخيف، والصلاة على الذي نفذ بالسّيف سطور الطّروس ، وقدمته الأقلام ماشية على الرؤس وعلى آله وصحبه الذين أرهفت سيوفهم ، وبنيت بها على كسر الأعداء حروقهم ، فإنّ السّيف عظيم الدّولة ، شديد الصّولة ، محا أساطير البلاغة . وأساغ ممنوع الإساغة من اعتمد على غيره في نهر الأعداء تعب، وكيف لا، وفي حدّه الحد بين الجد واللّعب ..." (32).

---

(30) المرجع نفسه ، ص 140.

(31) ابن الوردي: زين الدين عمر بن مظفر. الزركلي 114/8 .

(32) الهاشمي (أحمد). جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب . دار الفكر . مصر ، ج1، ص 256.

والمناظرة طويلة ، واستمرت على نسق حجاجي، كل يرفع من شأنه، ويسقط من شأن خصمه، إلا أن الحكم في الأخير كان لصالحهما، فلا أحد يفضل عن الآخر.

وهذا مآل طريف فعلا من صاحب النّص ، حيث جعل الغلبة لهما، ولا نعتبر أنّ شرط المآل انخرم فكل منهما كان ملزِما ملزَما.

إنّ نصّ المناظرة ينمّ عن خيال واسع حيث أسبغ على المتناظرين لباس الحياة، فالحجّة تقارع الحجّة، والدليل في وجه الدّليل.

إنّ العقلية العربية بثّت الحياة في كلّ ماحولها من جمادات ، فأنطقت السّيف والقلم والشّجر والحجر والسّماء والأرض والماء والهواء واللّيل والنّهار ، والزّهر والورد، والبرّ والبحر، والجمل والحصان... وهذه كلّها مناظرات حوتها كتب التراث العربي، وهي في حقيقتها رموز عن شخصيات منعت ظروف معينة من ظهورها المباشر ، فاستعار أصحابها هذه الأدوات لإبلاغ وجهات نظرهم.

6-2 : شخصية ثابتة: فطرفا المناظرة لن يتغيّرا بتغيّر النّص أو بتطوره، مقارنة مع الشخصية المتغيرة في الأجناس الأدبيّة الأخرى، فالشّخصية في المناظرة ثابتة ثبوتا نسبيا، لأنّ زمن النّص قصير ، والشيء الذي يتغيّر هو الدّليل ، فالنّص يتحرك ، وينمو ويتطور ، حتى يصل إلي نتيجة ملزمة مفحمة، لكن منتجي النّص ثابتان ، عدا بعض الانفعالات النفسية الناتجة عن طبيعة الدّليل.

6-3: شخصية متكافئة : فطرفا المناظرة لابد أن يكونا متكافئين، وإن كانا غير متكافئين فليست مناظرة ،إنّما هي أمر أو تعليم ؛ أمر إن كانت من الخالق، وتعليم إن كانت بين المخلوقين كما هو الحال بين العالم والمتعلم.

في القرآن حوار واسع بين اللّه جلّ وعلاّ، ولايمكن أن يكون مناظرة؛ لأن اللّه لا نظير له ، إذ المناظرة تستلزم النّظير، فما يقوله اللّه جلّ وعلا لخلقه يعدّ أمرا ، إنها علاقة الخالق الأعلى بالمخلوق السفليّ، وإنّ اللّه جلّ وعلاّ " يتقبّل من الملائكة في منطق الحوار سؤالهم عن وجه الحكمة من جعل آدم خليفة في الأرض :﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾ -البقرة 29. بعد أن قال لهم ﴿ إنّي جاعل في الأرض

خَلِيفَةً ﴾ -البقرة 29-. وحواره مع بعض أنبيائه مثل حواره مع إبراهيم عليه السلام الذي بدا وكأنه غير موقن بالبعث كلّ اليقين فيسأل ربه :﴿ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَىٰ ﴾ البقرة 259، ولكن اللّهُ لا ينكر عليه ذلك ، وإنما يحاوره:﴿ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾ البقرة 259" (33).

والحديث عن حوار اللّه مع خلقه ، وهو كثير ، يجرّنا إلى الحديث عن حوار رسوله ﷺ مع من هم حوله، أيعدّ مناظرة أم حوارا ، وهل للرسول ﷺ نظير؟

إن الرسول ﷺ بشر، وقد أكدّ القرآن ذلك، فهو رجل مثلهم ، لا يملك أية صفة خارقة في تكوينه الذّاتي ، فلا يستطيع اجتراح المعجزات التي يطلبونها منه، ولا يعلم الغيب ، بل كلّ مافي الأمر أنّ ملكاً ينزله الله إليه فكان رسولا!!

أما دوره في هذا الوحي ، فهو تبليغه للناس بكل وسيلة مقنعة دون إكراه (34) : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ - الكهف 105- . وقال ﴿ قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ - الأعراف 188-.

ولكن الذي كان يجري بين الرسول ﷺ من حوار مع أصحابه لا يعدّ مناظرات ، وإنما هي محاورات ، فالذي بينه وبينهم من اتباع له وتسليم يسقط النّزاع . فهم يتعلمون منه ،و ليسبوا أندادا له يناظرونه ، كما فعل اليهود مع موسى عليه السلام، والنصارى مع عيسى ابن مريم عليه السلام.

وإذا حدث أن اعترض الصّحابة على رأي الرسول ﷺ كان ذلك الاعتراض في أدب جمّ، وخلق عال ، مثل حوار (سعد بن معاذ)(35) و (سعد بن عبادة)(36)

---

(33) حفني (عبد الحليم) ، أسلوب المحاورة في القرآن ، ص 5.

(34) فضل الله (حسين). الحوار في القرآن الكريم ، ص 36- 37.

(35) سعد بن معاذ بن النعمان سيد الأوس قالت عائشة رضي الله عنها:كان في بني عبد الأشهل ثلاثة لم يكن بعد النبي ﷺ من المسلمين أحد أفضل منهم: سعد بن معاذ وأسيد بن خضير وعباد بن بشر. ابن قدامى المقدسي ت 620 هـ. الاستبصار في نسب الصحابة من الأنصار تحقيق علي نويهض دار الفكر بيروت 205.

(36) سعد بن عبادة: بن دليم بن حارثة بن أبي حزيمة بن ثعلبة بن طريف . شهد العقبة ثم بدرا وسائر مشاهد رسول الله ﷺ. و هو سيد الخزرج. الاستبصار في نسب الصحابة من الأنصار 93.

رضي الله عنهـــما لرسـول اللّه ﷺ في غزوة الأحزاب؛ لما استشـارهما بعد أن رأى مصـالحة المشركين مقـابل ثلث ثمار المدينة، فـقالا : يارسول اللهَ! أمر تحـبه نصنعه، أم شيـئا أمرك الله به لابد لنا العمل به ، أم شيئـا تصنعه لنا فـقال : شـيء أصنعه لكم ، فقـــال له (سعد بن مـعاذ): قد كنّا وهؤلاء على الشرك باللّه ، وهم لا يطمعـون أن يأكلوا منها ثـمرة واحدة إلا قـرى أو بيعـا ، أفحين أكرمنا الـلّه بالإسلام وهدانا له وأعزنا به نـعطيهم أموالنا ؟ مـالنا في هذا من حاجة ، والـلّه لا نعطيهم إلاّ السّيف (37).

إنّ الصّحابة رضوان اللّه عليهم ماكانوا يدلون بآرائهم قبل رأي رسول اللّه ﷺ أو يجادلون فيما تبيّن لهم فيه أنه حكم اللّه ، وقـد تسمع قول سعد بن عبادة ، وسعد بن معاذ لرسول اللّه ﷺ : " يارسول الله ! أمرا تحبه فنصنعه. أم شيئا أمرك الله به، لابد لنا العمل به ، أم شـيئا تصنعه لنا؟" فلو قال لهم رسـول اللّه ﷺ : بل أمر اللّه بهذا، لقالوا : سمعنا وأطعنا.

فمناظرات رسـول اللّه ﷺ كانت مع من يقف ضدّا له و ندّا لقوله ، كـالمشركين واليهود والنّصارى ، أما صحابته رضوان عنهم فهم لقوله متبعون منه متعلمون.

6-4: الثّنائية : تقوم الشّخصية في المناظرة على الثنائية ، فلا يمكن أن تكون حوارا فرديا ولا يمكن أن تكون حوارا جماعيا ، وإن حدث وكانت جماعة فبين كلّ اثنين مناظرة .

إن المناظرة قد تكون بين دينين أو حضارتين ، أو بين فـرقتين ، أو بـــين فئتين، أو غيرها من المرجعيات ، فهي فعل تكلمي تداولي ثنائي ينتجه شخصان من خلال تلك المرجعية الدينّيـة ، أو الثقافية ، أو الحضارية... فمناظرة العـلاّمة (أحمد ديدات)(38) للقسّ الأمريكي (جيمي سواجارت)(39) تمثل ثنائية دينية ، فكل منهما يستقي

---

(37) ابن هشام (أبو محمد عبد الملك . ت218 هـ). سيرة النبي ﷺ تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد. دار الفكر . مصر .ج3 . ص 239.

(38) أحمد ديدات. أحمد حسين ديدات ولد سنة 1918 في (تادكهافاز) في الهند بدأ أول مناظرة مع القساوسة سنة 1944. المناظرة الحديثة في علم مقارنة الأديان بين الشيخ ديدات والقس سواجرات.مكتبة زهران القاهرة ص13

(39) جيمي : هو النطق السهل لجيمس.

من دينه ليبني دليله ، ويقنع الطرف الآخر.

ناظر عمر رضي اللّه عنه اليهود فألزمهم الحجّة ، وكانت له بداهة كأنما يحدّث ، حتى قال عنه النبي ﷺ " لو كان نبي بعدي لكان عمر " (40).

قال الحافظ ابن عبد البر رحمه اللّه (41) : " كان لعمر أرض بأعلى المدينة، فكان يأتيها ، وكان طريقه على موضع مدارسة اليهود، وكان كلّما مرّ دخل عليهم فسمع منهم ، وأنه دخل عليهم ذات يوم فقالوا : ياعمر ! مامن أصحاب محمد أحد أحبّ إلينا منك؛ إنهم يمرّون بنا فيؤذوننا . وتمر بنا فلا تؤذينا . وإنّا لنطمع فيك. فقال لهم عمر: أيّ يمين فيكم أعظم؟! قالوا الرحمن ، فقال فبالرحمن الذي أنزل التّوراة على موسى بطور سيناء أتجدون محمدا عندكم نبيّا ؟ فسكتوا قال : تكلموا ما شأنكم؟ واللّه ما سألتكم و أنا شاك في ديني. فنظر بعضهم لبعض ، فقام رجل منهم فقال : أخبروا الرّجل وإلا أخبرنه . قالوا: نعم؛ إنا نجده مكتوبا عندنا، ولكن صاحبه من الملائكة الذي ياتيه بالوحي هو جبريل . وجبريل عدوّنا ، وهو صاحب كلّ عذاب وقتال وخسف . ولو أنه كان وليه ميكائيل لآمنا به ، فإن ميكائيل صاحب كلّ رحمة ، وكل غيث قال لهم فأنشدكم بالرحمن الذي أنزل التوراة على موسى بطور سيناء أين ميكائيل وأين جبريل من اللّه؟ قالوا: جبريل عن يمينه، ومكائيل عن يساره. قال عمر : فأشهد أنّ الذي هو عدوّ للذي هو عن يمينه هو عدوّ للذي هو عن يساره، والذي هو عدو للذي هو عن يساره هو عدو للذي هو عن يمينه، وأنه من كان عدوّا لهما فإنه عدوّ الله ، ثم رجع عمر ليخبر النبي ﷺ فقرأ عليه ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ ﴾ -- البقرة 97 - 98 - ، قال عمر رضي الله عنه

---

(40) حديث حسن . رواه أحمد والترمذي، والحاكم عن عقبة بن عامر . وهو مخرج في سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني . رقم 327.

(41) ابن عبد البر: يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي المالكي. من كبار حفاظ الحديث. مؤرخ أد بحاثة يقال له حافظ المغرب. الزركلي 240/8.

والذي بعثك بالحق لقد جئت ، وما أريد إلاّ أن أخبرك " (42) .

فمناظرة عمر رضي اللّه عنه لليهود تبيّن هذه الثنائيـة والمرجعية ، فعمر يتحدث بيقين المسلم ، واليهود من موروثهم الديني المحرف يناظرون.

5-6 :عالمة (واعية): إنّ المناظرة تقوم على الاستدلال ، فـهي عمل عقلي أكثر منه فني، ولذلك فهي ليست متيسرة لكل أحـد ، لما تحتاجه من علم غزير ، وذكاء حاد، وقوة دليل وقدرة على ردّ الحجة ، وإقامة أخرى.

لذا ينبغي للشخصية أن تعي ما يعرض عليها من حديث فتتلمس مواطن الضعف فيه لتدحضه ، وتركز على جوانب القوة لتتأهب له.

والمناظرات لا تظهر في بداية ظهور العلوم والفنون ، ولكنهـا تشتد عندما تكتمل النظريات ، وتـسـتـوي العلوم ناضـجـة ، ويكون بذلك لكل علم وفـن رجـاله الذين يتعصبون له، ولهم القدرة على الدفاع على ماامنوا به ، أو مااعتقدوه من نظريات.

فالمرحـلة التي تكاد تنعدم فـيهـا المناظرات تكون مرحلة البناء ، وإن الـعودة إلى تاريخ المناظرات يبين أنهـا اشتـدت في كل العلوم والفنون في العـصر الأمـوي، وفي العـصر العـباسي زادت من حـدّتها ، واتسع مـكانها ، وأصـبح لها أمـاكن ومجـالس خـــاصة بها.

كل هذا لأن الشخصـية في المناظرة تهيأت لهـا كل الظروف : علم راسخ ، وجهة نظر تؤمن بها ، وطرف آخر يهاجم وجهة النظر الأولى ، يملك من الدليل ما يملك .

ففي كل مجال من مجالات المعرفة تبرز شخصية ، أو فرقة، أو مدرسة في الحجاج فالمعـتزلة مـثلا من أعم طوائف المتناظرين . فـقد وقفـوا أنفسهم عـلي جدال طوائف المتكلمين من مخالفيهم في أصولهم الخمسـة ، وقد " قاموا بمهمة الدفاع عن الإسلام والرّدّ على خـصومـه من أصـحاب الملل والعـقـائد الأخرى من غـيـر المسلمين، أو من أصحاب الفرق الإسلامية المخالفين لهم ، فاستلزم ذلك منهم ثقافة بأصول الأديان

---

(42) ابن عبد البرّ (أبو عمر يوسف . تـ 463هـ). جامع بيان العلم وفضله. دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان . ج2 ص 102.

الأخرى، واضطرهم أن يتعمقوا في دراسة الفلسفة والمنطق اللذين كانا سلاحا مهما يشنّه الأعداء والخصوم في وجه الإسلام ، ليردّوا على هؤلاء بنفس السّلاح الذي كانوا يتخذونه في الهجوم، فانكبّوا على الفلسفة اليونانية والمنطق اليوناني ، ينهلون من منابعهما ، فعلمهم البحث في هذه الأمور حرّية الرأي والاعتماد على أدلّته في كلّ شيء ، وكانت طبيعة دورهم الذي يؤدّونه في الدّفاع عن الإسلام ومجادلة الخصوم " (43) .

وقد اشتهر من بين كلّ هؤلاء (أبو هذيل العلاف ، ت 235هـ)(44) الذي كان مناظرا بارعا ، فقد روى له(المرتضى)(45) في (أماليه)، وبعض المراجع القديمة طائفة من مناظراته . منها حديثه ليهودي ورد البصرة، وتعرض لمتكلميها، يقول لهم : ألا تقرّون بنبوّة موسى عليه السلام؟، حتى إذا اعترفوا بها قال : نحن على ماتفقنا عليه إلى أن نجتمع على ما تدّعونه ، فتقدم إليه وقال له: أسألك أم تسألني ؟ فقال له اليهودي : بل أسألك ، فقال : اليهودي أتعترف بأن موسى نبيّ صادق ، أم تنكر ذلك فتخالف أصحابك؟ فقال له (أبو هذيل) : إن كان موسى الذي تسألني عنه هو الذي بشّر بنبي عليه السلام ، وشهد بنبوته وصدقه، فهو نبي صادق، وإن كان غير من وصفت،فذلك شيطان لا أعترف بنبوته، فورد على اليهودي مالم يكن في حسبانه، ولم يلبث أن سأل (أبا الهذيل) : أتقول إن التوراة حقّ ؟ فقال : هذه مسألة تجري مجرى الأولى ، إن كانت هذه التوراة التي تسألني عنها هي التي تتضمن البشارة بنبي عليه السلام فتلك حقّ، وإن لم تكن كذلك ، فليست بحقّ، ولا أقرّ بها ، فبهت، وأفحم .

---

(43) قصاب وليد . التراث النقدي والبلاغي للمعتزلة حتى نهاية القرن السادس الهجري. دار الثقافة. الدوحة. . 1985 . ص 463 - 464.

(44) أبو هذيل العلاف: محمد بن الهذيل بن عبد الله بن مكحول العبدي المتكلم . كان شيخ البصريين في الاعتزال ومن أكبر علمائهم وهو صاحب مقالات في مذهبهم ومجالس ومناظرات. الفهرست 210/209.

(45) المرتضى: الشريف المرتضى أبو القاسم علي بن الطاهر كان نقيب الطالبيين وإماما في علم الكلام والأدب والشعر. وفيات الاعيان 443/3

ولم يدر ما يقول (46) .

فالعلاّف يوقن أن اليهودي يرغب في إبطال نبوة محمد ﷺ ولذكائه الحادّ سدّ على اليهودي كل الأبواب، وحاصره من حيث لا يحتسب ، حتى عجز عن الجواب.

كما لا يخفى ما للإمام (أبي حنيفة ،ت 150هـ)(47) من سرعة بديهة ، وغزارة علم، وقوة حجة، وفوق كلّ ذلك كان في مناظرته يحرص على سلامة مناظره في عافيته وفكره وعقيدته ، برده إلى الخير، واستعادته إلى الصواب.

وقد رأى ولده (حمّادا) يناظر في الكلام ، فنهاه عن ذلك ، فقال تلامذة الإمام: رأيناك تناظر ، فقال لهم : " كنا نناظر ، وكأن على رؤوسنا الطير، مخافة أن يزل صاحبنا ، وأنتم تناظرون وتريدون زلة صاحبكم ، ومن أراد أن يزل صاحبه فقد أراد أن يكفر صاحبه ، ومن أراد أن يكفر صاحبه فقد كفر قبل أن يكفر صاحبه " (48) .

وقد ناظر الخوارج في جنازتين: " أمّا إحداهما فجنازة رجل شرب الخمر حتى كظلته وحشرج بها فمات ، والأخرى جنازة إمرأة زنت، حتى إذا أيفنت بالحبل قتلت نفسها. فقال الإمام متسائلا : من أيّ الملل كانا؟ : أمن اليهود؟ قالوا: لا . قال : أمن النّصارى؟ قالوا : لا، قال أفمن المجوس؟ قالوا : لا، قال :فمن أيّ الملل كانا؟ قالوا : من الملّة التي تشهد أن لا إله إلا اللّه ، وأن محمدا رسول الله. قال : فأخبروني عن هذه الشهادة ، أهي من الإيمان ثلث أو ربع ، أو خمس؟ قالوا : إن الإيمان لا يكون ثلثا ولا ربعا ولا خمسا، قال فكم هي من الإيمان؟ قالوا : الإيمان كلّه ، قال : فما سؤالكم إياي عن قوم زعمتم وأقررتم أنهما كانا مؤمنين؟!

---

(46) المرتضى (علي بن الحسن الموسوي العلوي ت 436 هـ) أمالي المرتضى، غرر الفوائد و درر القلائد، تحقيق أبو الفضل إبراهيم ، دار الكتاب العربي بيروت، ط2 1967م، ج1، ص178-179

(47) أبو حنيفة النعمان بن ثابت قال عبد الله بن المبارك:

لَقَدْ زَانَ البِلَادَ وَمَنْ عَلَيْهَا ... إِمَامُ المُسْلِمِينَ أَبُو حَنِيفَه

بِآثَارٍ وَفِقْهٍ فِي حَدِيثٍ ... كَآيَاتِ الزَّبُورِ عَلَى الصَّحِيفَه

فَمَا بِالمَشْرِقَيْنِ لَهُ نَظِيرٌ ... وَلَا بِالمَغْرِبَيْنِ وَلَا بِكُوفَه

الفهرست 251.

(48) مصطفى الشكعة : الائمة الاربعة " أبو حنيفة " ، دار الكتاب المصري، القاهرة ، ط3، 1991، ص 149.

ويمضي الخوراج فيقولون له : دع عنك هذا ، أمن أهل الجنّة هما أم من أهل النّار؟ قال : أمّا إذ أبيتم فإنّي أقول فيهما ماقاله نبي الله إبراهيم في قوم كانوا أعظم جرما منهما ، قال ﴿ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ - إبراهيم 36- ، وأقول فيهما ماقاله نبي الله عيسى في قوم كانوا أعظم جرما منهما ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ - المائدة 118 - وأقول فيهما ماقاله نبي الله نوح ﴿ قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ - الشعراء 111 . 114- وأقول ماقال نوح عليه السلام ﴿ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ - هود 31-.

وعندما سمع الخوراج هذا المنطق ألقوا سلاحهم وانصرفوا (49).

لم يشتهر علماء المالكية والحنابلة بالجدل ، وإن كان (أبو الوليد الباجي المالكي ، ت 474هـ)(50) مجادلا في الذروة، يقول عنه (ابن حزم ، ت 456هـ)(51) : " ولو لم يكن لأصحاب المذهب المالكي إلا مثل أبي الوليد الباجي لكفاهم " ، و(ابن حزم) باقعة عصره، طالت المناظرة بينه وبين (الباجي) ثلاثة أيام ، فقال (الباجي) في نهايتها: "اعذرني فقد طلبت العلم على مصابيح الشوارع " وأجاب ابن حزم :" أنا أبلغ منك عذرا فقد طلبت العلم على قناديل الذهب والفضة " (52) .

---

(49) مصطفى الشكعة . الائمة الاربعة . ص 151.

(50) أبو الوليد الباجي: سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث المالكي الاندلسي كان من علماء الاندلس وحفاظها. روى الخطيب له:

إذا كُنتَ أعلَمُ عِلمًا يَقينًا ... بِأنَّ جَميعَ حَياتِي كَساعَه

فَلِمْ لَا أكُونَ ضَنِينًا بِهَا ... وَ أجْعَلُهَا فِي صَلَاحٍ وَطَاعَه

وفيات الاعيان 409/2

(51) ابن حزم: علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري عالم الأندلس في عصره وأحد أئمة الاسلام. كان في الأندلس خلق كثير ينتسبون إلى مذهبه يقال لهم(الحزمية) الأعلام 254/4.

(52) عبد الحليم الجندي . القرآن والمنهج العلمي المعاصر دار المعارف. القاهرة . 1404هـ / 1985 م . ص 129.

فكل من يتصدى للمناظرة ، لابد له من باع طويل في العلم ، وهو أمر لا يتيسر لكل أحد.

6-6 : لا محورية : في الأعمال الأدبية لابدّ من وجود شخصية محورية تنمو مع الحدث أو تصغر ، تسمى (البطل)، الذي تخضع له كلّ تفاصيل العمل الروائي، أو القصصي ، أو المسرحي، لكن في المناظرة لا توجد شخصية محورية؛ فالوقت قسمة بين طرفيها، وتبقى الحجج تتصارع ، وتتقارع حتى تؤول المناظرة إلى عجز أحدهما.

وقد كان (أبو بكر القاضي)(53) واحدا من الذين لا يهزمون في المناظرة ، وقد كان سيفا على المعتزلة ،" وقد ذكر العلماء في مناظرة له مع المعتزلة أنه لما دخل القاضي أبو بكر الباقلاني إضطربت المعتزلة، يناجي بعضهم بعضا في أمره فسمع القاضي واحدا منهم يناجي صاحبه على بعد، وهو يقول له: إنّى لأرى هذا الشّاب حديد الذهن، يتوقّد ذكاء ، فقال الآخر : ماهو إلاّ شيطان ، فرفع القاضي صوته يقرأ : ﴿ ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزّهم أزّا﴾ - مريم 83- ، فسقط في أيدهم ، ورأوا أنهم قد رموا منه بداهية، وكان فارس هذا العلم ، مباركا على هذه الأمة ، وكان لقبه عند العلماء (سيف السنة ولسان الأمة) ، وكان مالكيا تشرّف به المذهب " (54).

فالباقلاني في كل مناظراته مع المعترلة كان ملزما أو مفحما لهم ، ولكنه أثناء المناظرة لا يحجر على الطرف الآخر ، والعبرة بالدليل.

" ذكر الحافظ(55) الإمام محدّث الشام ابن عساكر أن طاغية الروم عرّض للقاضي أبي بكر يوما بحديث الإفك لقصد التوبيخ به، فقال له القاضي : هما اثنتان قيل فيهما ماقيل ، زوج نبينا ومريم ابنة عمرانَ، وكل قد برأهما الله سبحانه مما رميت به. فانقطع الطاغية ، ولم يحر جوابا " (56).

---

(53) الباقلاني : محمد بن الطيب قاض من كبار علماء الكلام. انتهت إليه الرياسة في مذهب الأشاعرة. وفيات الأعيان 269/4

(54) السّكوني (أبو علي عمر) . عيون المناظرات . تحقيق . سعد غراب. منشورات الجامعة التونسية . تونس 1976. ص 244.

(55) الحافظ بن عساكر: علي بن الحسن بن هبة الله أبو القاسم الدمشقي المؤرخ الحافظ الشافعي إمام أهل الحديث في زمانه. ت 571 هـ. معجم الأدباء 39/4. الأعلام 273/4. تهذيب تاريخ دمشق الكبير 7/1.

(56) السكوني. عيون المناظرات. ص 249.

فالحديث عن (اللامحورية) دائما مقارنة مع الأعمال الأدبيّة ، لأن المناظر قد يكون بطل المناظرة و رائدها الأول ، كالباقلاني وأبي هذيل ، وأبي حنيفة في مثل ما سبق ذكره ، لكن لا يوجد في نص المناظرة الطّرف المحوري، لأن المناظرة في الأصل تقوم على النزاع بين الطرفين، وكل طرف له أنصاره، فالمعتزليّ مثلا يرى أنّ كلّ معتزليّ يناظر الباقلاني، هو البطل الذي ينبغي أن يكبر ويهلّل له، والسّنّي يرى الغلبة للباقلاني وهكذا.

ونخلص في الأخير إلى أنّ الشّخصية في المناظرة غيرها في الأعمال الفنية الأدبية الأخرى، لأنّ المناظرة مرتبطة ارتباطا وثيقا بالعقل ، فمجالها الحجج والبراهين، والأدلة ، وطريقة سوقها ، ثم هي ليست متيسرة لكل أحد .

4-2 : الدّعوى:

لكلّ خطاب موضوع يعالجه ، وفكرة تدور حولها الأحداث، وتنمو الفكرة وتتضح بنمو الأحداث ، وتتوزع على الشخصيات ؛ هذا يتبنّاها، وذاك يعارضها، حتى ينتهي العمل.

كلّ مناظرة يلزمها دعوى ، وهي الركن الثاني من أركان المناظرة ، فبعد وجود الطرفين يدّعي أحدهما دعوى ، فتصبح مدار الحديث بينهما، فمدّعيها يثبتها بالدليل ويسمى (المعلل)، والطرف الآخر يمنعها ، ويسمى (المانع). وإذا منعت هذه الدعوى، فإن منع المانع يصبح (دعوى جديدة) تحتاج إلى دليل من قائلها ، وإلى منع من الطرف الآخر، وهكذا كلّ منع يصبح دعوى جديدة،

إنّ الدعوى تبين موقع الطرفين، فالمبادر به (معلل) ، والرّد عليه (مانع) ، وهي في المناظرة تنشأ عنها أفعال تكلمية أساسية ثلاثة (57) :

---

(57) طه عبد الرحمن . في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس. المغرب. ط1. 1997. ص 71. 72.

3-2-1: عرض الدعوى ، ويسمّى (الادعاء)

3-2-2: عرض الدليل ، ويسمّى (التدليل).

3-2-3: اعتراض على الدعوى ، ويسمّى (المنع).

3-2-1: الادعاء: وهو عرض الدعوى ، وله شروط :

1- أن يعتقد المدّعي صدق ما يدعي .

2- أن يطالب المدعي المخاطب بأن يصدق بدوره هذا الادعاء.

3- أن يكون للمدّعي بينة ؛ بدليل أو حجّة على مايدّعي.

4- أن يكون للمخاطب حقّ المطالبة بهذه البينات وتقويمها.

5- أن يكون منطوق الادعاء صادقا ، ومفهومه قابلا للتكذيب (58).

3-2-2 : المنع ؛ وهو الاعتراض على الدّعوى(59)

والاعتراض هو أن يرتقي (المعروض عليه) الذي هو المانع إلى درجة من يتعاون مع (العارض) الذي هو المعلل في إنشاء معرفة نظرية مشتركة ملتزما في ذلك أساليب معينّة ، يعتقد بانها كفيلة بتقويم العرض وتحقيق الاقناع.

وللمنع خصائص وشروط:

أ- خصائص المنع :

1-6 : هو فعل استجابي لا ابتداري، إذ يصدر من صاحبه كرّد فعل على قول خصمه.

2-6 : هو فعل إدباري لا إقبالي ، حيث يتجه أثره إلى ماسبق من الكلام ، لا إلى ما يأتي منه.

3-6 : هو فعل استشاري لا استبدادي ؛ ذلك أن التعرض به لايستمد مشروعيته من سلطان (المانع) ، وإنما من اعتراف المعلل (المعارض به).

---

(58) المرجع نفسه ص 72

(59) المرجع نفسه ، ص 36. 37.

4-6. هو فعل تقويمي : ذلك أنّ (المانع) يتخذ من قول (المعلل) موقفا ملتزما ، موجّها.

5-6: هو فعل تشكيكي ، إذ يراجع (المانع) خصمه في دعواه بمطالبته بالتدليل أو بإبطال دليله.

6-6 : هو فعل سجالي ، لاوصفيّ، لأن النّفي الوصفيّ يخبر بارتفاع النّسبة الحكمية بين الموضوع والمحمول ، مثله في ذلك مثل الإخبار بوقوع هذه النسبة ، في حين أن الاعتراضي (المنع) ادعاء بمنازلة قول العارض (المعلل).

ب – شروط المنع(60) :

4-1: أن يكون مرجع (المانع) هو عين مرجع (المعلّل) ، والمرجع هو ما يقصد به قديما أي موضوع القول، لا ما يقصد به حديثا ، أي مستند القول.

4-2: أن يكون (منطوقه) متصلا بوجه أوبآخر (بمنطوق) قول المعلّل.

4-3 : أن تكون (حجّيته) معاكسة في قوتها (لحجية) قول المعلّل.

4-4: أن يكون التدليل عليه وتوجيهه لدليله.

ولعلّ أول دعوى في التاريخ الاسلامي ، هي دعوى الأنصار بأنهم أحق بالخلافة من المهاجرين بعد وفاة الرسول ﷺ ونقله إلى جنّته ودار كرامته ، اجتمعت الأنصار في سقيفة بني ساعدة بمدينة الرسول ﷺ وأرادوا عقد الإمامة لسعد بن عبادة ، ودعواهم أنهم آووا ونصروا رسول اللّه ﷺ ودعوى المهاجرين أنهم أحقّ بالخلافة ، لأنهم أسبق إيمانا ، وقد هاجروا من مكة تاركين أموالهم وأولادهم وأرضهم لنصرة دين اللّه، ولما تساوت الأدلة، وتوازت الدعوى، قال قائل من الأنصار : منا أمير ومنكم أمير يامعشر قريش، فكثر اللغط وارتفعت الأصوات، قال عمر رضي اللّه عنه: حتى تخوفّت الاختلاف، فقلت ابسط يدك يا أبا بكر ، فبسط يده،

---

(60) المرجع نفسه ، ص 37.

فبايعته، ثم بايعه المهاجرون ، ثم بايعه الأنصار (61).

ولننظر بعدُ إلى هذه الآية القرانية ونتتبع دعواها.

قال تعالى : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ - الأنعام 91-

فدعوى هذه المناظرة هي قوله ﴿ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ ﴾ ، إلاّ أن منع هذه الدعوى لا يجدون له منعا لديهم ، قال ﴿ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ ﴾.

إنه ينتج من خلال هذه المناظرة الأفعال التكليمية: دعوى لها دليل ويقابلها منع، والمنع يتحول إلى دعوى تحتاج إلى دليل ، وتمنع هي الأخرى حتى تنتهي المناظرة ، وليس بالضرورة أن يكون للمناظرة دعاوٍ كثيرة ، إذ يمكن أن تنتهي بأول دعوى ؛ إفحاما أو إلزاما .

4-3 المـــآل:

إن المآل هو انتهاء المناظرة " فلا بدّ في المناظرة من أن تنتهي بعجز أحد المتناظرين عن دفع دليل الآخر " (62).

فإن كان العاجز هو (السّائل) سميّ (ملزما)، وسميّ عجزه (إلزاما)، وإن كان العاجز هو (المعللّ) سميّ (مفحما)، وسميّ عجزه (إفحاما).

إن المناظرة عمل عقلي بحت، فعند انتهاء الأعمال الأدبية يشعر الإنسان بسياحة نفسية تترك ارتياحا في نفسه، أو حزنا أو تفاؤلا، ولكن المناظرة عمل عقلي تجعل العقل يتتبع تقارع الحجج ،ومن يفوز أخيرا.

---

(61) ابن هشام .السيرة النبوية . ج4 . ص 339.

(62) الشنقيطي (محمد الأمين بن محمد المختار) .آداب البحث والمناظرة. مكتبة العلم. جـــدة. ج2. ص 89

قال يهودي لعليّ بن أبي طالب رضي الله عنه : " مانفضتم أيديكم من تراب دفن نبيّكم حتى قلتم منّا أمير ومنكم أمير، فقال له علي رضي الله عنه: ما جفّت أقدامكم من فلق البحر حتى قلتم ﴿ اِجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ﴾ -الأعراف 138- . فانقطع اليهودي ولم يجد جوابا (63).

فالدّعوى التي ادّعاها اليهودي طعن في المسلمين ، وفي تعلقهم بالنبي محمد ﷺ ولكنّ عليّا رضي الله عنه لم يترك لليهودي الفرصة، بل نقله إلى موقع اخر، إلى جرم آبائه، وما اقترفوه مع موسى عليه السلام، فجرمهم أعظم ممّا فعله المسلمون فأفحم اليهودي ، وكان المآل قاطعا له فلم يزد.

وماأشبه مآل هذه المناظرة بمآل مناظرة إبراهيم عليه السلام لنمروذ، قال تعالى ﴿ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَ ﴾ - البقرة 258- . فاليهودي هذا بهت ، ولم يقدر على مواصلة المناظرة.

إن لعليّ رضي الله عنه قدرة كبيرة جدا على الإحاطة بمناظره : يسدّ عليه كلّ منافذ الجدل، لأن حجته قوية ، فيأتي المآل سريعا إلى إفحام (المعلل)، أو إلزام (السائل).

إن المآل في المناظرة ركن أساسي ، وبدونه يسقط عمود من أعمدة بناء المناظرة ، فإذا انتهى الحديث دون إلزام أو إفحام ، ودون أن يقتنع المطّلع على المناطرة بما وصلت إليه ، فذلك ليس مناظرة ، لأنه لابد في المناظرة من ظهور الحقّ على لسان هذا أوذاك، فلابد من مآل.

وروي أنّ حاطب بن أبي بلتعة(64) رضي الله عنه لما دخل على المقوقس النصراني ملك الاسكندرية رسولا من رسول الله ﷺ يدعوه إلى الإسلام بكتاب النبي ﷺ ، فسأله المقوقس عن الحرب بين النبي ﷺ وبين قومه، فأخبره أنها بينهم سجال فقال المقوقس يخاطب ابن أبي بلتعة:

---

(63) السكوني: عيون المناظرات . ص 167.

(64) حاطب بن أبي بلتعة اللخمي ت 30 هـ صحابي شهد الوقائع كلها مع رسول الله ﷺ وكان من أشد الرماة في الصحابة وأحد فرسان قريش وشعرانها في الجاهلية بعثه النبي ﷺ بكتابه إلى المقوقس صاحب الإسكندرية الأعلام 9/2 1.

"أنبيّ اللّه يغلب؟" ، قال له حاطب : " أولد اللّه يصلب؟ " (65).

فكان هذا الجواب قطعا للنصراني ، وإفحاما له، لو لم يكن (حاطب) مطلعا على عقيدة النصارى من خلال الإسلام لما استطاع أن يجيب هذا الجواب القاطع ، فكان هذا المآل الرائع ، وما أشبهه هو الآخر بـ﴿ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَ﴾- البقرة 258-.

قالت القدريّة : إنّ اللّه تعالى لا يشاء المعاصي، قال لهم (عمر بن عبد العزيز) لو لم يشأها ماخلق إبليس(66) . فقطعهم، وقد بقي مرتبطا بالقول الأوّل ، ولم يخرج عنه ، فكأن منعه من تصميم دعواهم فقطعهم.

يأتي المآل قويا قاطعا لمّا يكون الدليل قويا متينا ، ومنع عمر قويّ قوة إيمان الرّجل ؛ لو لم يشأها ماخلق إبليس ؛ أبو المعاصي والفواحش، فماذا تملك القدريّة أن تقول بعد هذا القول؟... ليس لها إلاّ السكوت !

وذكر أنّ المأمون(67) جمع بين العتابي(68) وابن فروة النّصراني(69)، وقال لهما : تكلّما وأوجزا ، فقال العتابي لابن فروة : ماتقول في عيسى ابن مريم. قال أقول إنّه من الله . قال صدقت ، ولكنّ (منْ) تقع على أربع جهات لا خامس لها: (من) كالبعض من الكل على سبيل التجزئة، أو كالولد من الوالد على سبيل التناسل، أو كالخلّ من الخمر على سبيل الاستحالة، أو كالصنعة من الصانع على سبيل الخلق من الخالق . أم عندك شيء تذكره غير ذلك؟.

قال ابن فروة: لابدّ أن يكون أحد هذه الوجوه ، فما أنت مجيبني إن تقلدت مقالة منها.

---

(65) السكوني.عيون المناظرات. ص 185.

(66) المصدر نفسه. ص 200.

(67) المأمون: عبد الله بن هارون بن المهدي بن المنصور أعلم الخلفاء(بني العباس) بالفقه والكلام . الفهرست 147

(68) العتابي: أبو عمرو كلثوم بن عمر بن أيوب الثعلبي. كاتب حسن الترسل يصحب البرامكة و يختص بهم. الفهرست 153.

(69) ابن فروة النصراني: وجدت ابن أبي فروة ت 169 هـ الربيع بن يونس بن محمد من مواليد بني العباس عاش إلى خلافة المهدي وحضي عنده. الأعلام 15/3 وفيات الأعيان 175/1

قال العتابي : إن قلت على سبيل التجزئة كفرت، وإن قلت على سبيل التناسل كفرت، وإن قلت على سبيل الاستحالة كفرت ، وإن قلت على سبيل الفعل كالصنعة من الصّانع ، والمخلوق من الخالق فقد اصبت.

قال ابن فروة: فما تركت لي قولا أقوله، وانقطع (70).

لقد أحاط به، فلم يدع له في المناظرة متنفّسا حتى قطع، فعجز أن يبيّن دليل دعواه أن المسيح من اللّه ، ففصّل العتابي الحديث في (من) ، وبيّن له جميع الاحتمالات فيها، ولن يكون المسيح من اللّه من جهة الفعل من الصانع، فقطع العتابيُّ النصرانيُّ وكان المآل قاطعا.

في مناظرة السيف والقلم (71) عند الحديث عن طرفي المناظرة، كَان المآل في هذه المناظرة طريفا، حيث إنّه لم ينتصر أحد على الآخر . وإنّما كان المآل سواء بينهما . لا يعتبر أن شرط المال انخرم، ولكن كلّ منهما أُلزِم وأُلزِم، وقد اتضح أن في كلّ منهما منافع لاترد ، وكلّ منهما في حاجة إلى الآخر.

والمآل يعتبر مرحلة من مراحل المناظرة وهي مرحلة المقاطع (المرحلة الثالثة)، فلكل مناظرة سليمة ثلاث مراحل:

الأولى : (مرحلة المبادئ) : وفيها يتم تعيين محلّ النزاع حتى لا يتشتت الفريقان في أطراف غير متطابقة، وحتى لا يتكلم أحدهما فيما لا يتكلم فيه الآخر ويناظر فيه.

الثانية : (مرحلة الأواسط): وفيها تقدّم الدلائل التي يظهر فيها لزوم المطلوب.

الثالثة : (مرحلة المقاطع) : وهي مرحلة إذا إنتهى إليها البحث انقطع ، وهو ينقطع إذا انتهى إلى الضروري: وهواليقين الذي يجب التّسليم به بالضرورة العقلية، أو إذا انتهى إلى الظّني الذي يسلّم به الخصم. وفي كل مناظرة هناك العاجز. فإذا عجز (المعللّ) عن ردّ اعتراض (السائل) ، كان المعلّل (مفحما) ، وإذا عجز (السائل) عن تصحيح اعتراضه كان (ملزماً)(72).

---

(70)السكوني،عيون المناظرات، ص 213.

(71) الهاشمي، (أحمد) ، جواهر الأدب ، ج1،ص 256.

(72) الميداني،ضوبط المعرفة ، ص 376

4-4 : الآداب:

تحدث العلماء عن أدب المناظرة ، وجعلوا لها قواعد ينبغي لكل مناظر أن يتقيد بها صيانة لها عن أن تتحول إلى مماراة بعيدة عن نشدان الحقيقة، أو إلى مشاحنات أنانية، ومشاتمات ومغالطات، وما لايوصل إلى حق ، فهدف المناظرة تعاون الفريقين المتناظرين على معرفة الحقيقة والتوصل إليها.

ولما كان الجدال في الواقع الإنساني من الوسائل التي تستخدم لنشر الأفكار والإقتناع بها، والجدال سلاح للدفاع عن الأفكار، فقد أمر الإسلام به للدفاع عن الحق الإسلامي مشروطا بأن يكون بالتي هي أحسن ، يقول اللّه جلّ وعلا :﴿ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ – النحل 125 – ، ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ﴾ – العنكبوت 46 – .

وإن الآداب التي وقف عندها العلماء قد استنبطوها من القرآن الكريم حيث إن للمناظرة في القرآن أسسا وقواعد أخلاقية يجب أن تراعى ، وقد لخصها الميداني في تسع قواعد

9-1 : تخلّي كل من الفريقين تصديا للمناظرة حول موضوع معيّن عن التعصب لوجهة نظره السّابقة، وإعلانهما الاستعداد التّام للبحث عن الحقيقة ، والأخذ بها عند ظهورها، سواء كانت هي وجهة نظره السابقة ، أم وجهة نظر من يناظره ، أو وجهة نظر أخرى.

وقد أرشد القرآن إلى الأخذ بهذه القاعدة ، إذ علم الرسول ﷺ أن يقول للمشركين في مجادلته لهم:﴿ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ – سبأ 24 –. وفي هذا غاية التخلي عن أمر سابق ، وكمال الرّغبة بنشدان الحقيقة أنّى كانت .

9-2 تقيد كل من الفريقين المتناظرين بالقول المهذّب البعيد عن كل طعن أو تجريح أو هزؤ أو سخرية، أو احتقار لوجهة النظر التي يدّعيها ، أو يدافع عنها من يناظره . وقد أرشد الإسلام إلى التقيّد بهذه القاعدة في نصوص كثيرة منها:

1- قوله تعالى لنبيّه ﷺ :﴿ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ – النحل 125– .

2- قوله تعالى :﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾

- الأنعام 109-.

3- قوله تعالى:﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ﴾ - العنكبوت 46-

وفي حديث الشريف : " ليس المؤمن بالطّعان ، ولا باللّعان، ولا بالفاحش، ولا بالبذيء "(73).

4- وقد توعّد الله بالعذاب الشديد الهمازين اللّمّازين فقال:﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴾- الهمزة 1-.

3-9: التزام الطرق الإقناعية الصحيحة لدى المجادلة ، ومن الطرق الصحيحة مايلي:

1- تقديم الأدلة المثبتة أو المخرجة للامور المدّعاة.

2- إثبات صحة النقل للأمور المنقولة المروية.

وهذان الامران هما المقصودان بالقاعدة المعروفة عند علماء أدب البحث والمناظرة إذ يقولون : " إن كنت ناقلا فالصحة، أو مدعيا فالدليل ".

وقد أرشد القرآن الكريم إلي مضمون هذه القاعدة في نصوص كثيرة منها:

1- قوله تعالى:﴿ أَمَّن يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ - النمل 64-.

2- قوله تعالى :﴿ أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ - الأنبياء 24 -

3- قوله تعالى:﴿ وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ - البقرة 110- .

4- قوله تعالى :﴿ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾- آل عمران 93-.

---

(73) حديث صحيح . رواه أحمد في مسنده، ج5 . ص 322. رقم 3839 وهومخرج في " سلسلة الأحاديث الصحيحة " للألباني . رقم 320.

4-9: أن لا يكون المناظر ملتزما في أمر من أموره بضدّ الدعوى التي يحاول أن يثبتها، فإذا كان ملتزما بشيء من ذلك كان حاكما على نفسه بأن دعواه مرفوضة من وجهة نظره.

ومن الأمثلة على سقوط دعوى المناظر بسبب إلترامه بضدّ دعواه وقبوله له، استدلال بعض من أنكر الرسالة لأن محمد ﷺ بشر، وزعم هؤلاء أنّ الاصطفاء بالرسالة لا يكون للبشر وإنما يكون للملائكة، أو مشروطا بأن يكون مع الرسول البشر ملك يرى ، ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾-الأنعام10- وفي اعتراضهم على بشريته قالوا ﴿ مَالِ هَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ ﴾ - الفرقان7- ، مع أنهم يعتقدون رسالة كثير من البشر السّابقين كابراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام ، ومناهم بالملائكة و لذا أسقط الله دعواهم بقوله:﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾-الفرقان 20 -.

5-9 : أن لا يكون في الدّعوى أو في الدليل الذي يقدمه المناظر تعارض ، فلا ينقض آخره أوّله ، وإلاّ كان ساقطا بداهة .

ومن أمثلة ذلك قول الكافرين حينما كانوا يرون الآيات الباهرات تنزل على رسول الله ﷺ :﴿ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ -: القمر 2- .

وقد حكى ذلك الذكر الحكيم فقال :﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴾ -- القمر 1 - 2 .

ففي قولهم هذا تعارض وتهافت ظاهر لا يستحق ردّا ، وذلك لأن شأن السحر كما يعلمون أن لايكون مستمرا ، ومن شان الامور المستمرة أن لا تكون سحرا، أمّا أن يكون الشيء الواحد سحرا ومستمرا معا ، فذلك جمع عجيب بين أمرين متضادّين لا يجتمعان.

ونظير ذلك قول فرعون عن موسى عليه السلام لما جاءه بسلطان مبين من الحجج الدّامغة والآيات الباهرات ﴿سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾، وقد قصّ الله علينا ذلك فقال ﴿وَفِي مُوسَىٰ إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾الذاريات 38. 39 -.

6-9 : أن لايكون الدليل الذي يقدمه المناظر ترديدا لاصل الدّعوى . فإذا كان كذلك لم يكن دليلا ، وإنما هو إعادة للدعوى ، بصيغة مغايرة ، وسقوط هذا في المناظرة أمر بديهي ، ولكنه قد يخفى على الخصم إذا استخدم المناظر براعته في تغيير الألفاظ وزخرفتها ، ولكنها حيلة باطلة لا يلجأ إليها طلاب الحقّ.

7-9: عدم الطعن في أدلة المناظر إلا ضمن الأصول والقواعد المنطقية المسلّم بها لدى الفريقين المتناظرين.

8-9: إعلان التسليم بالقضايا والأمور التي هي من المسلّمات الأولى ، أو من الأمور المتفق عليها بين الفريقين المتناظرين على التسليم بها. أمّا الإصرار على إنكار المسلّمات فهو مكابرة قبيحة، ومماراة منحرفة عن أصول المناظرة السليمة ، وليست من شأن طالبي الحقّ.

9-9 : قبول النتائج التي توصل إليها الأدلة القاطعة. أو الأدلة المرجحة إذا كان الموضوع ممّا يكفي فيه الدليل المرجّح ، وإلاّ كانت المناظرة من العبث الذي لا يليق بالعقلاء أن يمارسوه .

آداب أخرى :

زاد بعض العلماء آدابا أخرى ، لخصّت في تسعة آداب (74) وجب على المتناظرين التزامها :

1-9 : ينبغي للمناظر أن يحترز عن الإيجاز والاختصار في الكلام لئلا يكون مخلاً بالفهم.

2-9: وينبغي عليه الاحتراز عن الإطناب لئلا يملّ سامعه.

3-9: وينبغي أن يحترز عن استعمال الألفاظ الغريبة في البحث لئلا يودّى إلى عسر الفهم.

---

(74) طاش كبرى(زاده ت 968هـ) : شرح متنه في المناظرة والآداب ، دار الاستقامة ، القاهرة ، ط 1 ، 1318 هـ ، ص10.

4-9: ينبغي أن يحترزُ عن استعمال اللفظ المجمل في البحث بلا تقييد لكي لايلزم التردد في فهم المعنى المراد ، ولابأس باستفسار الخصم معنى اللفظ المجمل، ومن المنظّرين من عدّ ذلك الاستفسار سؤالا ، لكنه يكون سؤالا بالمعنى الاصطلاحي ، وهذا جائز إذا كان في اللفظ غرابة أو إجمال ليتبين معناه إمّا بالنقل عن أهل اللّغة ، وإمّا بالنقل عن أهل العرف العام أو الخاص ، ولا يجوز فيما عداه لكونه تعنّتا مفوتا لغرض المناظرة الذي هو إظهار الصواب ، ولذلك قيل :" مايوجد فيه الاستبهام حسن فيه الاستفهام ".

5-9: ينبغي أن يحترز عن التدخل في كلام الخصم قبل فهم مراده، وهي من الأدب الرفيع، ومن حقّ المناظر أن يفهم مراده، وإلا بترت الفكرة ولم تكتمل ، ولن يكون هناك تفاهم بين المتناظرين.

" أوصى يحي بن خالد(75) ابنه جعفر فقال : لاترد على أحد جوابا حتى تفهم كلامه، فإن ذلك يصرفك عن جواب كلامه إلى غيره، ويؤكد الجهل عليك ، ولكن افهم عنه ، فإذا فهمته فأجبه، ولا تعجل بالجواب قبل الاستفهام، ولاتستحي أن تستفهم إذا لم تفهم ، فإن الجواب قبل الفهم حمق ، وإذا جهلت فاسأل فيبدو لك استفهامك أجمل بك وخير من السكوت على العيّ " (76).

6-9: أن لايسخر أحدهما من صاحبه لأن هذا من أوصاف الجهّال ، يسترون بذلك جهلهم، قال بعض الفقهاء:

مَالِي إِذَا أَلْزَمْتُهُ حَجَّةً ... قَابَلَنِي بِالضَّحِكِ وَالقَهْقَهَهْ

إِنْ كَانَ ضِحْكُ المَرْءِ مِن فِقْهِهِ ... فَالدُّبُّ فِي الصَّحْرَاءِ مَا أَضْحَكَهْ

---

(75) يحي بن خالد بن برمك أبو الفضل الوزير الجواد سيد بني برمك و أفضلهم وهو مؤدب الرشيد ومعلمه من كلامه لبنيه:اكتبوا أحسن ما تسمعون واحفظوا أحسن ما تكتبون و تحدثوا بأحسن ما تحفظون. الاعلام 144/8.

(76) ابن عبد البر ،جامع بيان العلم ،وفضله، ج2. ص 198.

9-7: عليه أن يحترز من مناظرة أهل المهابة والاحترام ، لئلا يكون ذهنه منشغلا بجلالة قدر الخصم، فتسقط حدة ذهنه ودقته، ويفوت غرض المناظرة .

9-8 : ينبغي أن لايحسب المناظر الخصم حقيرا، لأن احتقار الخصم قد يؤدي إلى صدور الكلام الضعيف من المناظر، فيكون سببا لغلبة الخصم الضعيف عليه (77) ، على حد قول (الجويني) : "إياك واستصغار من تناظره ، والاستهزاء به كائنا من كان ، لأن خصمك إن كان ممّن المفترض عليك في الدين مناظرته، فهو نظيرك ، ولايجمل بك إلاّ مناظرة النظير للنظير. وإن يك من تكلمه غير أهل لأن تناظره، كان الواجب أن لا تفاتحه بالكلام. فإذا فاتحته ، ثم استصغرته، واستخففت به، لم يجتمع ذهنك ، ولا صفاء قريحتك، ولا اشتد خاطرك، فربما يتفق له لشؤم حالك عليه ما لاقبل لك به " (78)

والأصل في الجدال المثالي الذي يلتزم فيه جانب الحقّ والأدب أن يتفهم كلّ طرف من الفريقين المتجادلين وجهة نظر الطرف الآخر ، ويعرض فيه كلّ طرف أدلته التي رجّحت لديه استمساكه بوجهة نظره، ثم يأخذ في تبيين الحقيقة من خلال الانتقادات التي يوجهها الطرف الآخر على أدلته . أو من خلال الأدلة التي تنير له بها بعض الجوانب المعتمة.

9-9 ومن آداب المناظرة أن يتعاون الفريقان المتناظرين على معرفة الحقيقة بتبصير كل منهما صاحبه بالأماكن المظلمة عليه والتي خفيت عنه ، كلما أخذ يناظر باحثا عن الصّواب ، كائنا من كان ، حتى يكون أحدهما واقفا على الحقيقة وقوفا قطعيا ، غير قابل للنقض ، والجدال النزيه الذي هدفه الوقوف على الحقيقة يكون بتبصير الواقف عليها أخاه المناظر له، وأخذه بيده، في طرق الاستدلال الصحيح لإبلاغه وجهة الحقّ المشرق، وكأنه جاهل له خالي الذهن عنه.

---

(77) طاش كبرى زاده . شرح متنه في المناظرة والآداب . ص 11.

(78) الجويني،(أبو المعالي بن عبد الله بن يوسف. ت 478هـ) . الكافية في الجدل، تقديم وتحقيق . فوقية حسي محمود . مكتبة الكليات الأزهرية . القاهرة . ص 530.

2- الاتجـــــاه الأدبي في دراسة المناظرة:

لقد احتّلت المناظرات مكـانة واسعة من التراث ؛ ودونت في كتب الفلسـفة، وكتب الملل والنّحل ، وكتب الأدب والنحو، والتاريخ والمنطق، والفـقه والأصول، وكتب السيرة ، وغيرها.

وهذه المناظرات المدونة لم يـركز عليـهـا ، ولم تدرس كـفن من فنون الأدب التي أبدع فـيهـا العرب وتـفننوا، فهي مـادة خـام خصـبة جـدا ، وكلّ مـايركز عليـه هو موضوعها، والفكرة التي عالجتها : ماذا قالت هذه الفرقة؟ ومارأيها في ذلك الموضوع؟ وماهي حـججها وبـراهينها وأدلتها؟ ومـاذا قال ذلك الفقـيه في تلك المسألة؟ ومـامدى تمسكه برأيه؟ وعلى ماذا اعتمد؟ وكيف ردّ قول الأئمة الآخرين؟ وماذا قال الرّسول ﷺ للمـشركين؟ ومـاذا قـالوا له؟ وهل آمنوا؟ وهل ارتدعـوا؟ ماذا قـال النّحـويّ في تلك المسألة؟ وكيف أعرب تلك الجملة؟ وماذا قال مناظره في القضية نفسها؟ ومن انتصر ؟ وكيف انتصر؟.

إن نصوص المناظرات موجودة وبكثرة في التراث الإسلامي في جميع العلوم، إلا أنّ هذه النصـوص لم تدرس من الناحيـة الفنيّة للـوقوف عند مـعـالم فنّ المناظرات وجـماليـاتهـا، وعدم دراسـة هذه النصـوص يرجع إلى ميـل فنّ المناظرات إلي المنطق والعقل، فمجـال الإبداع الأدبي فيه، نطاقه ضيق، لأن الحجة تقـارع الحجة ، والبرهان يواجه البرهان، أما الأسلوب المنـمق الجميل، والعبارات الرنانة الشّاعرة فـمجالها فنون أدبية أخرى غير المناظرة . لذا أهملت نصوص المناظرات أيا كانت ولم تلق بالا.

ومرت السنوات تترى، والمناظرات تكثر، ومجالها يتّسع . فلم تدع مسجدا ولا دار علم، ولا مجلس أمير، أو قصر خليفة، إلا ولجته، فلا يكاد علم من العلوم يخلو من هذا الفنّ، فقد مارسه حتى الخلفاء لما وجدوا فيه من عظيم الفائدة.

إن مجـالس المناظرات تعبّر عن نضج حـضـاري وفكري وعلميّ راق ، فـمتى خطا المرء خطوات إلى الأمـام إلا وقد بدأت إنسـانيتـه تكتمل ، ويرتفع عن كلّ مـايخلده إلى الأرض من ممارسات هي أقرب إلي الحيوانية منها إلى الآدميّة كفرض الذات بالقوة ،

وتجاوز الأدب في الحوار.

إن الذي سار في موكب الحضارة ، وغاص في منطق الحياة يدرك منطق الحوار وقيمته ، ولذا أولى العلماء المسلمون في العصور المزدهرة آداب البحث والمناظرة عناية كبيرة، ووضعوا القواعد والآداب للمتناظرين كي تجري المناظرة في وسط هادئ ، وتطرح الأفكار والآراء وتدرس دون تعالي أصوات أو إشهار سيوف، أو إراقة دماء.

إن المناظرة مقياس تطور الشعوب ، فهي تبيّن لنا المؤشر لأيّ أمّة في أيّ نقطة من نقاط الحضارة هي، فإن وجدنا حوارا تضبطه قواعد وأصول وآداب ، والغرض منه الوصول إلى الحق من أيّ جهة كان، إن وجد هذا فالأمّة بخير . أمّا إن كانت ارضية الحوار هشة، والسيوف مشرعة تقطع الألسنة والرؤوس فبشّر هذه الأمّة بالخراب.

لقد كانت المناظرات في عهد عزّ الأمّة الإسلامية تملأ المساجد وقصور الخلفاء ، ودور العلم في كلّ مناحي الحياة، فهي تتحرك بحركة المجتمع ، وبتطور آلياته ، " فقد ازدهرت تبعا للشغف العلمي، وطمعا في منائح الخلفاء والأمراء ونيل الحظوة عندهم، ورغبة في الوصول إلى الحقّ" (79).

وكلّ هذا يؤدي إلى طبع هذا المجتمع بطابع المناظرات والمحاورات " التي أصبحت لغة العصر الفكرية، فدائما مناظرات ومجادلات في كلّ مكان ، وفي كلّ موضوع علميّ أو فلسفيّ أو أدبي ، والمناظر ينتصر تارة ، وتارة ينهزم في تلك الساحة الفكرية الكبيرة ، وهم لايكلون ولا يملّون " (80).

وممّا أدى إلى هذا الإتساع في المناظرات:

1- تطور الأحداث وتطور المجتمعات ، ولابّد من ظهور أحداث جديدة، واحتياجات جديدة للمجتمعات ، وقد بدأ ذلك بعد وفاة النبي ﷺ مباشرة.

2- ظهور الخلافات السياسية، وبخاصة بعد حادثة التحكيم.

3- ظهور الفرق والخلافات العقائدية.

---

(79) أحمد أمين ، ضحى الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت ، ط10 ، ج 2، ص 54.

(80) شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، دار المعارف ، مصر ، ط3، 1966م ، ج 4، ص 539، 540.

4 ميل العقول إلى نوع من الترف العقلي بالبحث فيما يعرض من مسبهم أو مشكل واختيار المسائل التي تثيرها دواعي السياسة والاجتماع.

5- مهاجمة اليهود والنصارى والدهريين وغيرهم للدين الإسلامي.

6- طرق باب البحث في موضوعات عويصة كالغيبيات ، فكانت ولاتزال مزالق للباحثين، وميدانا يتفاضل فيه المتجادلون، على أنّ العقل البشري مهما أوتي من الذكاء والفطنة لن يستطيع أن يصل إلى كنهها من طريق التقليد، فالتسليم بها من طريق السمع أولى وأحمد."

"ومن أهم معاهد العلم مجالس المناظرة في الدور والقصور والمساجد، وبين العلماء ، وفي حضرة الخلفاء ، في الفقه، وفي النحو و الصرف،، وفي اللغة، وفي المسائل الدينية ... وكان للخلفاء مجالس مناظرات كثيرة ، ولاسيما المأمون ، فقد كان مثقفا واسع الثقافة، ويجيد فروعا كثيرة من العلوم ، وفي كلها يناظر " (81).

وقد كانت هذه المجالس والمناظرات سببا كبيرا من أسباب الرقيّ العلميّ، فقد حفزّت العلماء للبحث والنظر وحملتهم على الجدّ في تصفية المسائل حتى يظهروا في هذه المجالس مظهر الخبير الثقة الدقيق ، وحتى لا يفشلوا فيكون في هذا الفشل القضاء عليهم.كان العلماء يطليون النظر ، ويعدون العدّة الطويلة لمثل هذا الموقف.

روى عبد العزيز المكي(82) المتكلم فقال: "اجتمعت أنا وبشر المريسي(83)عند المأمون فقال لي ولبشر : قد اجتمعتماا على نفي التشبيه، وردّ الأحاديث الكاذبة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتكلما في الكفر والإيمان، قال المكيّ بعد حديث طويل لبشر هل تذكر شيئا تعرف به صحيح القياس من متنافضه قال بشر:ليس عندي

---

(81) أحمد أمين، ضحى الإسلام ، ج2، ص 57.

(82) عبد العزيز الكناني المكي ت 240 هـ : فقيه مناظر من تلاميذ الإمام الشافعي له تصانيف عديدة، قيل منها الحيدة. الاعلام 28/4.

(83) بشر المريسي: أبو عبد الله بشر بن غياث بن أبي كريمة المريسي الفقيه الحنفي المتكلم، اشتغل بالكلام و جره القول بخلق القران و حكي عنه في ذلك أقوال شنيعة، وكان موجنا وإليه تنسب الطائفة المارسية من المرجئة، ت 219هـ وفيات الأعيان 277/1.

شيء أكثر من هذا ، قلت : ولكن عندي ياأمير المؤمنين ، وهي إحدى المخبآت التي أعددت لهذا المجلس منذ ثلاثين سنة" (84) .

هذه نظرة موجزة عن حال المناظرات في العصور الإسلامية الزاهية التي بها نعطي لأنفسنا الحقّ بالقول إن المناظرات شملت كلّ مواضيع الحياة ، وقد أصبحت لغة العصر، وبخاصة في العصر العبّاسي.

إنّ أول من أشار إلى المناظرات ونوّه بها هو الدكتور (شوقي ضيف) في كتابيه (تاريخ الأدب العربي) و (الفنّ ومذاهبه في النثر العربي)، وقد أشار في الأول إلى الإجحاف الذي ألمّ بالمناظرات إذ يقول : "قلّما عني مؤرخو الأدب العربي بالحديث عن المناظرات التي احتدمت بين المتكلمين والفقهاء وأصحاب الملل والنّحل ... مع أنها كانت من أهمّ الفنون النثرية ، وكانت تشغل أعلى طبقاتهم " (85)

لقد نقل (شوقي ضيف) في كتابه حرارة مجالس المناظرة، واصفا مدى اصطدام الصّراع بين المتناظرين في مجالس الخلفاء وغيرها ، ويورد كثيرا منها ثمّ إن حديثه عن المناظرات إشارة سريعة ، فهو لا يتوقف عند النماذج المختارة كثيرا . وكأن القارئ أمام شريط (فيديو) يعرض صورا مختلفة لأنواع المناظرات في العصر العباسي، وكان شغوفا بأبي هذيل العلاّف ، فأورد مجموعة من مناظراته في العصر العباسي الأول ، وهو ينتقل بين المسائل العقدية إلى ما تمتّع به العقل العربي من مناظرات ذاتية، والتي يسميها غيره مخترعة أو خيالية.

ويأتي العصر العباسي الثاني حيث تهاوى بناء المعتزله، وأفل نجمهم، ولكنهم لم يتراجعوا عن الوظيفة التي ندبوا لها أنفسهم إزاء أصحاب النّحل والملل ، فكانوا بالمرصاد للملاحدة. " وكانت تدور في مجالس أبي عليّ الجبائي (ت 303هـ)(86)

(84) عبد العزيز الكناني المكي. ت 240 هـ . الحيدة (المناظرة الكبرى بين أهل السنة والفرق الضالة) تحقيق علي بن محمد بن ناصر الفقيهي دار الفتح الشارقة. الامارات العربية المتحدة. ص 30

(85) شوقي ضيف. تاريخ الأدب العربي . العصر العباسي الأول. ص 457.

(86) أبو علي الجبائي : محمد بن عبد الوهاب بن سلام من معتزلة البصرة و هو الذى ذلل الكلام وسهله و يسر ما صعب منه وإليه انتهت رئاسة البصريين في زمانه ت 303 هـ. الفهرست 231.

مناظرات كثيرة ، أهمها مادار بينه وبين تلميذه وربيبه أبي الحسن الأشعري (ت 324هـ)(87)، وكانت ترجح لغة الأشعري غالبا.

من ذلك مناظرتهما في الصّلاح والأصلح، وقد سأله الأشعري أثناء احتدام المناظرة عن عاقبة ثلاثة؛ مؤمن وكافر وصبي ماتوا جميعا ، فأجابه بأن المؤمن من أهل الدرجات والكافر من أهل الهلكات ، والصبيّ منّ أهل النجاة.

وأخذ الأشعري يراجعه إلى أن قال له: فلو قال الكافر : يارب علمت حال الصبيّ وأنه لو بقي لعصى وعوقب فراعيت مصلحته ، وعلمت حالي مثله، فهلاّ راعيت مصلحتي؟!

حينئذ انقطع الجبائي . وألزمه الأشعري أنّ اللّه يختص برحمته من يشاء ، ويعقابه من يشاء، وأنّ أفعاله غير معلّلة " (88).

وظلّ (شوقي ضيف) يورد المناظرات ويصف الجوّ المناظري لذلك الوقت ، ويتوقف قليلا عند مناظرة (متى بن يونس)(89) و(السيرافي)(90) فقد ذاع صيتها ، واشتهرت في العصر العباسي، وكان موضوعها : النحو والمنطق أيهما أكثر نفعا في معرفة صحيح الكلام من سقيمه، . وقد روى المناظرة (أبو حيّان التوحيدي)(91) ونقلها عنه (ياقوت)(92) في (معجمه) والطريف أنه يذكر في فاتحتها من كان في المجلس

---

(87) أبو الحسن االأشعري ت 324 هـ : علي بن اسماعيل بن إسحاق أبو الحسن من نسل الصحابي أبي موسى الاشعري مؤسس مذهب الأشاعرة بلغت مصنفاته ثلاثمائة كتاب. الأعلام 263/4

(88) الاشعري (أبو الحسن علي بن اسماعيل تـ 324هـ)، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين. تحقيق. محمد محي الدين عبد الحميد . المكتبة العصرية، صيدا . لبنان . 1990 . ص462.

(89) متى بن يونس : أبو بشر وهو يونان له تفسير من السرياني إلى العربي وإليه انتهت رئاسة المنطقيين في عصره. الفهرست 323،

(90) الصرافي الحسن بن عبد الله أبو سعيد القاضي النحوي. كان أعلم الناس بنحو البصريين. إنباه الرواة 348/1

(91) أبو حيان التوحيدي ت 400 هـ : علي بن محمد بن العباس. فيلسوف متصوف معتزلي نعته ياقوت بشيخ الصوفية وفيلسوف الأدباء قال ابن الجوزي : زنادقة الاسلام ثلاثة: ابن الراوندي و التوحيدي والمعري. وشرهم التوحيدي لأنهما صرحا ولم يصرح. الزركلي 326/4

(92) ياقوت الحموي ت 622: أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي مصنف كتاب إرشاد الألباء إلى معرفة الأدباء. وفيات الأعيان 790/6.

من العلماء والفضلاء ، ويذكر أنهم كتبوا المناظرة في ألواح وبمحابر كانت معهم ، مما يعطي صورة عن مجلس المناظرات.

"كأنما كانت المناظرات المحاورات لغة العصر الفكرية، فدائما مناظرات ومجادلات في كلّ مكان ، وفي كلّ موضوع علمي أو فلسفيّ أو أدبيّ والمناظر تارة ينتصر ، وتارة ينهزم في تلك السّاحة الفكرية " (93).

إن كثيرا ممّا أورده (شوقي) من مناظرات أقرب إلى القصص والحكايات الشعبية منها إلى المناظرات .

وقد عرّج في كتابه (الفنّ ومذاهبه في النثر العربي) على المناظرات لأنها " كانت مشتعلة بين الفرق: أولا بين الفرق السياسية . بين الخوارج نفسها ، ثم بينهم وبين الشيعة ، ومن يميلون إلى طاعة أولي الأمر من الأمويين، ثم اشتعلت بين أرباب الفرق الدّينية التي كانت تبحث في العقيدة والإيمان وصفات اللّه " (94).

كانت المناظرات على أشدها . لذا تستوقف كلّ دارس لهذا العصر، وقد شغف الناس بها أي شغف.

إنه في كتابه يعرض مجموعة من المناظرات. وبهذا العرض يكون قد نقل صورة حيّة عن العصر العباسي . فدراسته لها كانت تاريخية أكثر منها دراسة أدبية.

ولعلّ أول من أفرد للمناظرات مؤلفا خاصا هو (أحمد أمين مصطفى) . سمّاه (المناظرات في الأدب العربي إلى نهاية القرن الرابع).

ودراسته للمناظرات كانت دراسة تاريخية أدبية ، فقد تتبع نشوءها من عصر صدر الإسلام إلى القرن الرابع الهجري ، وهو يرى خلوّ الأدب الجاهلي من المناظرات وتحدث عن عوامل الازدهار المناظرات في العصر العباسي بالخصوص ، إذ أنها بلغت أوجها في هذا العصر ، كما تحدث عن أنواع المناظرات. فهي عنده مناظرات دينية،

---

(93) المصدر السابق . ص 540.

(94) ضيف (شوقي)، الفن ومذاهبه في النثر العربي . دار المعارف . مصر . ط 11. سنة 1990 . ص 78

ومناظرات سياسية، ومناظرات أدبيّة ، ومناظرات نحوية، ومناظرات فلسفيّة ، ومناظرات مخترعة، وأخرى شعرية ، كما تحدث عن خصائصها الفنية واثارها.

ولعلّ الأمر البارز في كتابه هو نفيه أن يكون في الأدب الجاهلي مناظرات فقال:«ففنّ المناظرات لم يعرف إلا بعد مجيء الإسلام ، حيث كثر الجدل بين المسلمين وأعداء الإسلام [...] وكان للجاهلين حياتهم ومشكلاتهم واختلافاتهم، ولكنها نزاعات من أجل الكلأ والماء والسيادة ، وهذه النزاعات تحل عن طريق السيف لا اللّسان وكان العرب أمّة فصيحة، كثر فيها الشعراء والخطباء ، ولكن الشعر والخطابة شيء ، والمناظرة شيء آخر ، وكلّ ماعرفه العرب في الجاهلية هو ما نستطيع أن نسمّيه المنافرة بأن ينفر اثنان متنافسان ، يحاول كلّ منهما أن يثبت مقدرته وتفوقه ، وقد وصلتنا من ذلك صور نثرية وشعرية " (95).

إن الرجوع إلى الأدب الجاهلي يبطل هذا الزعم: فإنه لايخفى على أحد أنّه كانت وقتذاك مناظرات لطيفة جدا في الأدب ، ولم تكن مجرد منافرات يستعرض فيها الشعراء طاقاتهم ، بل إنّ للعرب مناظرات كثيرة كانت تجري بينهم وبين من يترفع عليهم ، ويحاول النيل من آدابهم وسلوكهم ، وكانت هذه المناظرات تتسم بالبلاغة والبيان والحكمة ، والقول السائغ المقنع المفحم.

قدم النعمان(96) بن المنذر على كسرى ، وعنده وفود الروم والهند والصين ، فذكروا من ملوكهم وبلادهم ، فافتخر النعمان بالعرب ، وفضلهم على جميع الأمم. لايستثنى الفرس. ولا غيرهم . فقال كسرى وقد أخذته عزة الملك : يانعمان ! لقد فكرت في أمر العرب وغيرهم من الأمم ، ونظرت في حال من يقدم عليّ من وفود الأمم، فوجدت للرّوم حظا في اجتماع ألفتها وعظم سلطانها ، وكثرة مدائنها ، ووثيق

---

(95) أحمد أمين مصطفى ، المناظرات في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، دار النمر، القاهرة ، 1984، ص 8 .

(96) النعمان بن عمرو بن المنذر الغساني من ملوك آل غسان في الجاهلية ت 312 م الأعلام 38/8.

بنيانها ، وأن لها دينا يبيّن حلالها وحرامها ، ويرد سفيهها ، ويقيم جاهها ، ورأيت الهند نحوا من ذلك ، في حكمتها وطبّها، وكثرة أنهار بلادها وثمارها ، وعجيب صناعتها ، وطيب أشجارها ، ودقيق حسابها ، وكثرة عددها ، وكذلك الصين في اجتماعها ، وكثرة صناعات أيديها وفروسيتها [...] ولم أر للعرب شيئا من خصال الخير في أمر دين ولادنيا، ولا حزم ولاقوة، ومع أنّ مما يدلّ على مهانتها وذلّها صغر همّتها ، ومحلتهم التي هم بها مع الوحوش النّافرة [...] يقتلون أولادهم من الفاقة ، ويأكل بعضهم بعضا من الحاجة ، قد خرجوا من مطاعم الدنيا وملابسها، ومشاربها، ولهوها، ولذاتها [...] وإن قري أحدهم ضيفا عدّها مكرمة ، وإن أطعم أكلة عدّها غنيمة ، تنطق بذلك أشعارهم، وتفتخر بذلك رجالهم [...] ثم لا أراكم تستكنون على مابكم من المذلّة [...] حتى تفتخروا وتريدوا أن تنزلوا فوق منازل النّاس .

قال النعمان : أصلح الله الملك ، حُق لأمة الملك منها أن يسمو فضلها ويعظم خطبها ، وتعلو درجتها، إلا أن عندي جوابا في كلّ ما نطق به الملك في غير ردّ عليه ، ولا تكذيب له، فإن أمنني من غضبه نطقت به، قال كسرى : قل فأنت آمن .قال النعمان: أمّا أمتك أيها الملك فليست تنازع في الفضل لموضعها الذي هي به من عقولها وأحلامها ، وبسطة محلّها ، وبحبوحة عزّها ، وماأكرمها الله به من ولاية أبائك وولايتك، وأمّا الأمم التي ذكرت ، فأية أمة تقرنها بالعرب إلا فضلتها ، قال كسرى : بماذا؟

قال النعمان : بعزها ومنعتها ، وحسن وجوهها ، وبأسها وسخائها ، وحكمة ألسنتها ، وشدة عقولها ، وأنفتها ، ووفائها.

وتطول المناظرة ليتناول دينهم ، والحديث عن معتقداتهم ، وتمسكهم بها ، والحديث عن الوفاء بالعهد ، وردّ عليه في كل مازعمه من حقارة العرب وحقارة حياتهم ، فعجب كسرى لما أجاب النعمان به، وقال له: إنك لأهل لموضعك من الرياسة في أهل إقليمك (97) .

---

(97) الهاشمي (أحمد) جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب ، ج 1 ، ص 224 . 226

إنها مناظرة اكتملت لها كل العناصر والمقومات ، فهي في موكب مهيب حضره السّادة والأشراف والوجوه العالية في امبراطورية كسرى . وقد جرت بين ملكين ، والتزم كلّ منهما بآداب الحديث والسّماع .

وهذه المناظرة نموذج عن نضج فكر الإنسان العربي وقدرته على الحجاج والغلبة. لقد تناول (أحمد أمين مصطفى) قضايا كثيرة عن المناظرات ، فبعد أن عرّف المناظرة ، وتحدث عن شأنها وتطورها ، وتوقف عند دراسة المصادر العربية والأجنبية التي يستمد منها المتناظرين ثقافتهما . بسط الحديث عن موضوع المناظرات .

ورغم أن عنوان الكتاب هو (المناظرات في الأدب العربي) ، إلاّ أنه تناول مناظرات دينيّة ، وأخرى سياسية ، ونحوية وفلسفية، وطبعا لايوجد تعارض فيما اختار من عنوان ، وفيما درس . لأن هذه المناظرات ، نصوصها تعدّ عملا أدبيا يستحق الوقوف عنده واستخراج جمالياته الفنية .

من ذلك موقف أبي بكر و عمر رضي الله عنهما حين اختلفا في قتال مانعي الزكاة،(98) وكان عمر يرى عدم قتالهم. فقال لأبي بكر: كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة و يوتوا الزكاة. فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الاسلام وحسابهم على الله(99)رد أبوا بكر : والله لأقتلن من فرق بين الصلاة والزكاة.

وأورد مناظرة الصحابة في ميراث الأم(100). وقد ذكر مناظرات كثيرة إلا أنه ليس كل ما ذكر يعد مناظرات من ذلك مناظرته لمرتد حمل إلى المأمون من خراسان فناظره(101) "قال له المأمون: لأن أستحييك بحق أحب إلي من أن أقتلك بحق، ولأن

---

(98) الواقدي: (محمد بن عمر ت207 هـ) كتاب الردة مع نبذة من فتوح العراق وذكر المثنى بن حارثة الشيباني. تحقيق يحي الجبوري. دار الغرب الاسلامي بيروت ط1 1990 م ص 52/51.

(99) صحيح البخاري، باب الايمان رقم الحديث 14 ص 22.

(100) ابن قيم الجوزية . أعلام الموقعين عن رب العالمين. دار الحديث مصر. ص312.

(101) المناظرات في الأدب العربي ص113.

أقبلك بالبراءة أحب إلي من أن أدفعك بالتهمة[...] فخبرنا عن الشيئ الذي أوحشك؟ قال المرتد: أوحشني كثرة ما رأيت من الاختلاف فيكم! قال المأمون: لنا اختلافان؛ أحدهما: كالاختلاف في الآذان وتكبير الجنائز والاختلاف في التشهد [...] ووجوه القراءات واختلاف وجوه الفتيا وما أشبه ذلك. وليس هذا باختلاف، إنما هو تخيير و توسعة[...] والاختلاف الآخر كنحو اختلافنا في تأويل الآية من كتابنا، وتأويل الحديث عن نبينا مع إجماعنا على أصل التنزيل واتفاقنا على عين الخبر. فإن كان الذي أوحشك هذا حتى أنكرت من أجله هذا الكتاب، فقد ينبغي أن يكون اللفظ بجميع التوراة والإنجيل متفقا على تأويله كما يكون متفقا على تنزيله. ولا يكون بين جميع النصارى واليهود اختلاف في شيئ من التأويلات، وينبغي لك أن لا ترجع إلا إلى لغة لا اختلاف في تأويل ألفاظها[...]قال المرتد: أشهد أن الله واحد لا ند له ولا ولد وأن المسيح عبده، وأن محمدا صادق وأنك أمير المؤمنين حقا" (102) فلا تعد هذه مناظرة إنما هي تعليم.

وقد ختم عملة بالوقوف على خصائص المناظرات وآثارها . " فقد طرقت المناظرات مواضيع متعددة، وقد بدأت في صدر الإسلام مهمته بالموضوعات الدينية، وشيئا فشيئا بدأت موضوعات سياسية منذ دبّ الخلاف في ربوع الدولة الإسلامية ، فتعدّدت الأحزاب السياسية والفرق الدينية ، وتعددت النظريات تبعا لذلك ، وطرقت المناظرات موضوع النّحو حيث كان الخلاف بين البصريين والكوفيين ،كما وجدت المناظرات الفلسفيّة ، حيث تأثر بعض الفلاسفة المسلمين بالفلسفة اليونانية وخرجوا على حدود النظريات الإسلامية " (103)

وقد احتلّت المناظرات الأدبية حيزا، واشتغل المفكرون ببعض قضاياها في ذلك الوقت " فتناظروا حول القديم والحديث ، وحق المحدثين في الإنشاء والتأليف وتناظروا حول بعض الأدباء وتفضيل بعضهم على بعض " (104) .

---

102 الجاحظ . البيان والتبيين . تحقيق عبد السلام هارون مكتبة الخانجي مصر ج 1 ص 47 ط 2 1960 م

(103)(أحمد أمين) مصطفى المناظرات في الأدب العربي . ص 209.

(104) المرجع نفسه . والصفحة نفسها.

من ذلك مناظرة الحاتمي (105) للمتنبي(106) وقد وردت في معجم الأدباء لياقوت الحموي(107).

وقد ظهر ذلك اللون الجديد من المناظرات المخترعة التي أبدع فيها أصحابها ، والتي كان الهدف منها إظهار المقدرة الفنية. ومن مخترعي المناظرات الجاحظ ولعل أطول المناظرات المخترعة، مناظرة صاحب الديك وصاحب الكلب(108). وهي دراسة واسعة لمزايا كليهما ومساوئهما، وهي مبنية على المعلومات الشائعة عنهما.

إن كتاب (المناظرات) يعمد إلى تعميق فكرتين أساسيتين :

أولهما : أن المتناظرين كانوا على جانب كبير من الثقافة ، فقد تعمقوا في الثقافة العربية ، ففهموا القرآن والحديث ، وعرفوا القصص والأشعار العربيّة ، وأضافوا إلى ذلك الثقافات الأجنبية فناظروا خصومهم ، وأبطلوا الشكوك التي أثيرت حول الإسلام وثبتوا العقيدة في نفوس الكثيرين (109).

ثانيهما : أن المناظرات امتازت على وجه العموم بعمق الفكرة وقوة الحجة ، واعتمدت على النقل والعقل في الاستدلال . والنظرة الفاحصة النافذة إلى أعماق الحياة، والقدرة على الاستنباط ، وتسخير النصوص للهدف المطلوب إثباته . كما امتازت بالدقة في التعبير ، والاختيار الملائم للكلمات، والبعد عن التعقيد والحشو ، ولم تعن كثيرا بالخيال والتصوير . ولم تعن كذلك بالسجع والمحسّنات البديعية فاختارت الأسلوب المرسل (110).

و في الحقيقة أن التراث العربي غني غنى لا يوصف بالمناظرات المنثورة والمبثوثة في كتب التراث، وإن الوقوف على خصائصها الفنية يحتاج إلى وقفة مطولة، ونظرة فاحصة، ودراسة دقيقة لتلك النصوص من جميع حيثياتها.

---

(105) الحاتمي: محمد بن الحسن بن المظفر ت 388 هـ، أديب نقاد من أهل بغداد له الرسالة الحاتمية واسمها الموضحة في نقد شعر المتنبي. الاعلام 82/6، وفيات الاعيان 649/4، معجم الأدباء 313/5.

(106) المتنبي: أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الثمد الجعفي الكوفي أحد مفاخر الأدب العربي. ومن علماء الادب من يعده أشعر الاسلاميين. الاعلام 115/1.

(107) ياقوت الحموي معجم الادباء 316/5.

(108) الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر). الحيوان تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل بيروت 1992 ج1 ص 222 ومابعدها حتي ج2 ص 212.

(109)المناظرات في الادب العربي ، ص 234.

(110) المرجع نفسه ، ص 235

3- الاتجاه المنطقي في دراسة المناظرة:

أحدث القرآن نقلة نوعية في الحياة، فأشاع فيها نور الوحي وهداه ونشّط حركة العلوم ، " فهو أصلها كلها ، فعلم الكلام كلّه في القرآن ، وعلم الفقه كله مأخوذ من القرآن ، وكذا علم أصول الفقه ، وعلم النحو ، وعلم اللغة ، وعلم الزّهد في الدنيا ، وأخبار الآخرة ، واستعمال مكارم الأخلاق " (111).

وخلال نضج العلوم واتساعها يظهر الخلاف الطبيعي في النظريات والفروع ، " فالاختلاف في وجهات النظر ، وتقدير الأشياء ، والحكم عليها أمر فطري طبيعي ، وله علاقة بالفروق الفرديّة إلى حد كبير ، إذ يستحيل بناء الحياة وقيام شبكة العلاقات الاجتماعية بين الناس ذويّ القدرات المتساوية ، والنمطية المتطابقة، إذ لا مجال عندئذ للتفاعل والاكتساب والعطاء ؛ ذلك أنه من طبيعة الأعمال الذهنية والعملية اقتضاء مهارات وقدرات متفاوتة ومتباينة " (112) .

وهذا الاختلاف يؤدي إلى المناظرات التي أقيمت لها مجالس ، كما وضعت لها تآليف على طريقتها في مختلف الميادين ، وظهرت صنوف من الخطابات تقرّ بالمناظرة منهجا فكريا ، مثل (خطاب التهافت)، و(خطاب التعارض) ، و(خطاب الرّد) ، و(خطاب النقض)، وما إليها ، بل حيثما وجدت مذاهب ومدارس واتجاهات في مجال من مجالات المعرفة الإسلامية كانت المناظرة طريقة التعامل بينها ، وهذا شأن الفقه في (باب الخلاف) ، والنحو في (باب القياس) ، والأدب في (باب النقائض) (113).

فقد اكتسحت المناظرة مساحة واسعة من التراث ، " إذ لم يطيق ولم يعمّم منهج على جميع مجالات المعرفة، مثلما طبق وعمّمّ منهج المناظرة في هذا التراث، فأكسبه خصبا فلسفيا متميزا... إذا صحّ أنّ ما يميز الفلسفة عن غيرها من أصناف المعرفة

---

(111) الرازي ، التفسير الكبير ، ج 2 ، ص 116.

(112) العلواني (طه جابر فياض)، أدب الاختلاف في الإسلام ، مركز الفكر الإسلامي، واشنطن، ط3، 1987، ص11.

(113) طه عبد الرحمن ، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ، ص 64.

الإنسانية ، ويمنحها منهجية مخصوصة ، وهو أسلوب (المناظرة) : صحّ معه بالضرورة أنّ كل قطاع معرفي يكون حظّه من العمل الفلسفي على قدر انتهاجه للأسلوب المناظري " (114).

فهذا المنهج الذي طبق على كلّ العلوم يستدعي من " النظار المسلمين أن يضعوا له شروطا وقوانين تنافس في استيفائها وضبطها وصرامتها وترتيبها ضوابط المنطق وأحكامه ، باعتباره علما لقوانين العقل " (115).

وذلك كلّه لضبط الحوار بين المتناظرين ، لكي لا يطغى أحد الجانبين على الآخر، ولن يتسنى هذا إلا بالمنطق " الذي هو اتفاق الفكر مع نفسه ، ومع الواقع ، وغرضه البحث عن القوانين التي يتم بها الاتفاق المزدوج " (116) ، فمجال المنطق واسع اتساع العقل وتطبيقه يقع على جميع العلوم .وقد انطبعت المناظرة بطابع المنطق ، فجاءت دراسات النّظار للمناظرة دراسة منطقية بحتة ، وقد وضعوا إلى جانب ذلك آدابا على المتناظرين الإلتزام بها ." لأنّه كثُر الخلاف بين الفقهاء والأصوليين حول الخلافات الفقهية وأصولها ، واقتضى الأمر ضبط المناظرة ، ووضع قواعد وآداب لها لتكون مثمرة مؤدية هدف الوصول إلى الحق " (117).

ففي المجادلات تكثر الخصومات ، ويجنح المتجادلان إلى اتباع الهوى ، ويكون غرض المجادل الوحيد هو إدكات خصمه، والتغلّب عليه، ولشيوع هذه الظاهرة في مجالس الجدل والمناظرة دعت الحاجة إلى إيجاد قواعد وآداب ، ووضعها في فنّ مستقل يدرس ويتبع.

وكانت جملة الآداب والضوابط التي وضعت ملتزمة فعلا لدى كبار علماء المسلمين : فقد كان الأئمة الأربعة وغيرهم من الفقهاء مصابيح هداية، ونماذج عالية

---

(114) المرجع نفسه ، ص 63.

(115) المرجع نفسه ، ص 64.

(116) مهدي (فضل الله) ، مدخل إلى علم المنطق (المنطق التقليدي) ، دار الطليعة، ط3، بيروت 1985، ص 5.

(117) الميداني، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة ، ص 370.

و في سلوكهم أرقى أساليب الحوار في مناظراتهم، "فقد كانوا غير محتاجين إلى هذه النظم، لما وهبهم الله من سلامة الفطرة وصفاء الذهن ، وكانت أساليب حوارهم ومناظراتهم تجري على وفق القواعد اللازمة من غير أن تكون علما مدوّنا ، فلما طال العهد ، وقصرت القرائح ، احتاج النّاس إلى استنباط قواعد يلتزمها المتباحثان "(118).

غير أنه لاينكر أن المناظرات الفقهية "قد استفادت من المناظرات الكلامية ، وذلك على الأقل في مستوى صياغة العرض ، وإحكام البيان ، وإقامة الاحتجاج" (119). فإنه عند نضج المذاهب الفقهية اشتدّ الخلاف بين أتباع الأئمة الفقهاء ، " فكانت هذه المذاهب في صراع البقاء على الوجود أو الاندثار ... وقد اندفع العلماء في كل مذهب يؤيدون أقواله ، ويستدلون لأحكامه ، ويدعمونه بالأدلة والحجج والبراهين ، وينافحون عن المذهب ، وإمام المذهب ، ويدلّلون على منهجه في الإجتهاد ، وقواعده في الاستنباط ، ومنطقه في الاستدلال ، ويبعدون كلّ شبهة أو شك أو ريب في أصوله ، وأحكامه ، أو قواعده ، أو اجتهاده " (120).

فالصراع كان حادًا بين المذاهب الفقهيه ، " والنتيجة هي ثبوت المذاهب التي توفر لها الأتباع والدعاة والعلماء " (121).

وتبقي المناظرات قائمة في تصحيح كل منهم مذهب إمامه ، " تجري على أصول صحيحة ، وطرائق قويمة ، يحتج بها كلٌّ واحد على مذهبه الذي قلده وتمسك به ، وأجريت في مسائل الشريعة كلّها ، وفي كل باب من أبواب الفقه ... ولمّا كان باب

---

(118) عبد الحميد (محمد محي الدين)، رسالة الآداب في علم آداب البحث والمناظرة ، الاستقامة ، القاهرة، ط3 ، 1942، ص 5.

(119) الباجي (أبو الوليد ت 474 هـ)، المنهاج في ترتيب الحجاج، تحقيق ، عبد المجيد تركي ، دار المعارف الإسلامية ، بيروت، ط2، 1987، ص4

(120) الزحيلي (محمد) ، مرجع العلوم الإسلامية ، دار المعرفة ، بيروت ،ط2 ، 1992 ، ص 736 .

(121) المرجع نفسه ، ص 737 .

المناظرة في الرّد والقبول متسعا ، وكلّ واحد من المتناظرين في الإستدلال والجواب يرسل عنانه في الاحتجاج ، ومنه مايكون صوابا ، ومنه مايكون خطأ ، فاحتاج الأئمة إلى أن يضعوا آدابا وأحكاما ، يقف المتناظران عند حدودها في الرّد والقبول ، وكيف يكون حال المستدلّ والمجيب ، حيث يسوغ أن يكون مستدلا ، وكيف يكون مخصوصا منقطعا ، ومحلّ اعتراضه أو معارضته ، وأين يجب عليه السكوت ، ولخصمه الكلام والاستدلال (122) .

فهذا الفنّ يمدّ المجتهد " بأحسن المناهج ، وأحكمها ، وأدقها ، وأصوبها حتى يستفيد عن خبرة وهدى من المسائل الخلافية المستنبطة عبر العصور المختلفة " (123).

ومن أهم الكتب التي ألّفت في هذا الفنّ ، ووصلت إلينا (مسائل الخلاف) للصيمري الحنفي (ت 436هـ)(124) ، وإحكام الفصول في أحكام الأصول) له أيضا ، ومازال مخطوطا ، وكتاب (الأحكام في أصول الأحكام) و(التقريب لحدّ المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامية ، والأمثلة الفقهية) لابن حزم الظاهري (ت456 هـ) ، وقد طبعا منذ مدّة ، و(إبطال القياس) له أيضا، ومازال مخطوطا ، وإن كان طبع ملخصه ، وكتاب (الوصول إلى علم الأصول) لأبي إسحاق الشيرازي (ت 476هـ) (125) ، و(المعونة في الجدل) ثم (التبصرة في أصول الفقه) له أيضا، وقد طبع الأول ، وكتابا (المستصفى) و (شفاء العليل في بيان مسالك التعليل) وكلاهما مطبوع ، وكتاب (الجدل على طريقة الفقهاء) لابن عقيل (ت513هـ)(126) ، والواضح في أصول الفقه ، له أيضا .

---

(122) ابن خلدون (عبد الرحمن). المقدمة ، دار الرائد العربي، بيروت ، ط5، سنة 1982، ص 456.

(123) الباجي ، المنهاج ، ص 3 م.

(124) الصيمري: الحسين بن علي بن محمد بن جعفر ت 436هـ قاض فقيه كان شيخ الحنفية ببغداد له مسائل الخلاف في أصول الفرق. الأعلام 245/2.

(125) الشيرازي: ابراهيم بن علي بن يوسف الفيروزابادي العلامة المناظر، اشتهر بقوة الحجة في الجدل والمناظرة ، له تصانيف كثيرة منها التنبيه والمهذب والتبصرة وطبقات الفقهاء والمعونة في الجدل. الأعلام 50/1.

(126) ابن عقيل: علي بن عقيل بن محمد البغدادي ت 513 هـ عالم العراق وشيخ الحنابلة ببغداد في وقته، كان قوي الحجة اشتغل بمذهب المعتزلة في حداثته له تصانيف أعظمها كتاب الفنون. الأعلام 313/4.

والتـــأليـف في آداب البـــحث والمنـاظرة له طريـقـتـــان : : طريـقـــــة البـــزدوي(ت482 هـ)(127) ، وهـي خـاصة بالأدلة الشـرعيـة من النّص والإجمـاع والاستدلال ، وطريقة ركن الـدين العميدي(ت615 هـ)(128) وهـي عـامـة في كلّ دليل يستدلّ به من أيّ علـم كان ، والمغالطات فيه كـثيرة إذا اعتبـر بالنظر المنطقي، كان في الغالب أشـبه بالقيـاس المغالطي والسّـوفسطائي ، إلا أنّ صورة الأدلّة والأقـيسة فـيه محفوظة مراعاة ، يتحرّى فيها طرق الاستدلال كما ينبغي . والعميدي هو أول من كتب فيها، ونسب الطريقة إليه. ووضع كتابه المسمّى بالإرشاد مختصرا (129).

وأمّا أوّل (130) من صنّف فيـه من الفقهاء فـهو الإمام أبو بكر محـمد بن علي بن إسماعيل القفّال الشّاشي الشافعي (ت 336هـ)(131).

لقد اتفـقت تعريفات المنـاطقة للمناظرة على أنها مـحاورة بين اثنين مـختلفين في الرؤية لموضوع معيّن قصد إظهار الصواب (132).

أمّا مـوضـوع المناظرة عندهم " فهـو الأبحاث الكليـة التي تندرج تحتهـا أبحاث جزئية ، من حـيث هي موجهة مقـبولة ، أو غير مقـبولة ، فالأبحاث الكلية كـالمناقضة والنقض والمعـارضة للكليـات والأبحاث الجزئيـة المندرجة تحت هذه كـمعـارضة دليل بعينه، وكنقيض دليل خاص ، وقبول ذلك وعدمه يعرف من هذا الفنّ ، فكلّ نقض

---

(127) البزدوي: علي بن محمد بن الحسين فخر الإسلام ت 482 هـ : فقيه أصولي من أكابر الحنفية له تصانيف منها: المبسوط. وكنز الوصول في أصول الفقه، يعرف بأصول البزدوي. الاعلام 328/4.

(128) العميدي: محمد بن محمد بن محمد ركن الدين : ت 615هـ فقيه كان إماما في فن الخلاف والجدل من كتبه: النفائس الطريقة العميدية والإرشاد في الخلاف والجدل، أوراق منه في دار الكتب عن الأسكوريال. الاعلام 27/7

(129) ابن خلدون . المقدمة . ص 456.

(130) خليفة (حاجي) . كشف الظنون عن أسماء الكتب والفنون، ج 1. ص 579.

(131) القفال: ابو بكرٌ محمد بن علي الشاشي الشافعي:ت 366 هـ إمام عصره كان فقيها محدثا أصوليا لغويا شاعرا. وفيات الاعيان 200/4.

(132) عبد الحميد (محمد محي الدين) ، رسالة الآداب في علم آداب البحث والمناظرة ، ص 6 . ومحمد الأمين الشنقيطي ، آداب البحث والمناظرة . ج2 . ص 3 و الميداني ، ضوابط المعرفة . ص 371. وطاش كبرى زاده ، شرح متنه في المناظرات والآداب . ص 4.

بالتخلف واستلزام الفساد فهو وظيفة مقبولة ، وكل إفساد للمقدمة قبل إثباتها مع إقامة دليل الإفساد فهو غصب غير مقبول" (133) .

وموضوع كل فنّ ما يبحث فيه " عن عوارضه الذاتية ، فموضوع علم الطبّ بدن الإنسان ، وموضوع الحساب الأعداد ، وموضوع الفرائض التركات، وهكذا ، وموضوع هذا الفنّ الأبحاث الكليّة المشتملة على الأبحاث الجزئية من حيث أنها موجّهة مقبولة أو غير موجّهة ولا مقبولة "(134).

وقبول هذه الأبحاث الكلية، وعدم قبولها يعرف من أحكام هذا الفنّ، وذلك كما تقول :" كلّ منع يرد على مقدمة معيّنة فهو وظيفة مقبولة ، كما تقول : كلّ ما هو إفساد للمقدمة قبل إثباتها مع إقامة دليل الإفساد فهو غصب غير مقبول، وكما نقول كلّ ماهو نقض بالتخلف أو باستلزام الفساد فهو وظيفة مقبولة مستحسنة " (135)

أما أركان المناظرة فهي عندهم ركنان اثنان :

الركن الأول :موضوع تجري حوله المناظرة.

الركن الثاني : فريقان يتحاوران حول موضوع المناظرة ، أحدهما مدع، أو ناقل خبر ، والآخر معترض عليه،

فإن كان الموضوع تقسيما ، سميّ المعترض عليه (مستدلا) ، وسمّي صاحب التّعريف او (التقسيم) (مانعا).

وإن كان الموضوع تصديقا ، أي قضية منطقية سواء أكانت مصرّحا بها ، أو مفهومة من ضمن الكلام فالمعترض عليه يسمى (سائلا) ، وصاحب التصديق ومقدمه يسمى (معلّلا).

---

(133) محمد الأمين الشنقيطي : آداب البحث والمناظرة ، ص 4.

(134) المرجع نفسه والصفحة نفسها .

(135) عبد الحميد : رسالة الآداب في آداب البحث والمناظرة ، ص 7.

ويكون (المعلّل) في الأصل هو البادئ بالكلام، ثم يوجه (السائل) عليه اعتراضه وقد ينعكس الأمر ضمن المناظرة ، فيتحول (السائل) إلى مقدم تصديق جديد، فيكون حينئذ (معلّلا) ، ويكون مقابله الذي يعترض عليه (سائلا) (136).

لقد نظّر المناطقة للمناظرة ، وبينوا أسسها وطريقتها ، وسمّوا مراحلها واعتنوا بما يجري بين المتناظرين عناية دقيقة .

أمّا ما تجري فيه المناظرة عندهم ، وما لا تجري فيه، فإنهم قسّموا الكلام الدّال على معنى إلى مفرد وجملة ؛ فالمفرد كلّ ما كان من قبيل التصوّرات ، فيدخل فيه الاسم والفعل والحرف ، ويدخل فيه المركّب الإضافي مثل (كتاب الله) ، والمركّب التقييدي مثل (الرّسول الصّادق)، وكل ماليس بجملة تامة من المركبات الناقصة (137)، " والمفرد لا تجري فيه المناظرة ، وقد يجري فيه الاستفسار إن كان غريبا.

والمركّب النّاقص كالتقييدي تجري فيه المناظرة بشرط أن يكون قيدا للقضية والمركّب التقييدي كالحيوان الناطق ، والمركّب الإنشائي التّام كجملة الأمر والنهي والاستفهام والتمنّي، ونحو ذلك ، إن جاء به المتكلم من قبل نفسه فإنه لاتجري فيه المناظرة ".(138)

والجملة هي كلّ كلام أفاد معنى تاما يصحّ السّكوت عليه ، وهي :

1- إمّا أن تكون جملة إنشائية.

2- وإمّا أن تكون جملة خبرية؛ وهي الجملة التي تتضمن (تصديقا) ، أي القضية المنطقية التي حكم فيها بإثبات أو نفي نسبة بين موضوع ومحمول (مسند إليه ، ومسند) .(139)

---

(136) الميداني : ضوابط المعرفة ، ص 374.

(137) المرجع نفسه ، ص 377.

(138) الشنقيطي : آداب البحث والمناظرة ، ص 5.

(139) الميداني : ضوابط المعرفة ، ص 377

والأصل في غير التصديق أن لا تجري فيه المناظرة . لأنه لايشتمل على دعوى تكون محلا للنزاع . أو يسوغ من الناحية الشكلية توجيه الاعتراض عليها، ولكن قد يستفسر عن معناه أو عن المراد منه ، وعند بيان المعنى أو بيان المراد يمكن توجيه الاعتراض باعتبار أن ذلك تصديق قابل للاعتراض عليه، فحين يستفسر السّائل عن معنى كلمة ، فيوضح (المعلّل) معناها، فإن كان قد قدّم بهذا التعريف اللفظي ادعاء معناه هو ما ذكر ، عندئذ يتسنّى (للسائل) أن يناظر (المعلّل) حول هذا الاعاء ، فيطالبه بتصحيح النقل إن كان ناقلا ، أو بالدّليل إن كان مدّعيا.

وقد يتضمن غير التصديق معنى التصديق ضمنا، أو يفهم عن طريق اللّزوم فيسوغ توجيه الاعتراض عليه وإجراء المناظرة فيه، فالجمل الإنشائية لا تجري المناظرة فيها إلاّ باعتبار ما تتضمّنه من حكم خبري ، كاستحقاق الأمر أن يوجّه أمره ، وكاستحقاق منشئ العقد التصرّف فيما أنشأه من عقد بيع أو شراء أو زواج، أو طلاق ، أو عتق، أو نحو ذلك.

وحين تكون الجمل الإنشائية محكيّة عن قائلها، فحكايتها ادّعاء خبريّ (للسّائل) أن يطالب بتصحيح النقل فيه، وتجري المناظرة بناء على جواز مثل هذا التركيب لغة أو فكرا ، أو باعتبار مايشتمل عليه من دعاو ضمنيّة إذا كان جزءا من قضية .

والمركّب التقييدي قد تجري المناظرة فيه باعتبار ما يتضمنه من ادعاء كونه قيدا للموضوع (المحكوم عليه) ، أو قيدا للمحمول (المحكوم به) (140).

والتعريفات تجري المناظرة فيها باعتبارها تتضمن دعاو خبرية، تفيد أنّ هذه الأقسام مندرجة فعلا تحت المقسم، أو أنها حاصرة لكل أقسامه.

فالذي يقول مثلا : (تنقسم الكلمة إلى اسم وفعل وحرف) يقدم دعوى تتضمن أنّ هذه الأقسام هي أقسام الكلمة بطريقة حاصرة ، فللمعترض أن يناظر في هذه الدعّوى ، إذا لم يكن مسلّماً بها (141).

---

(140) الميداني : ضوابط المعرفة ، ص 378.

(141) المرجع نفسه ،ص 379.

والعبارة " وهي كل لفظ يصدر من المتكلم ؛ سواء أكان مفردا أو جملة ، وسواء أكان تعريفا ، أو تقسيما أو خبرا أو إنشاء أو دعوى أو دليلا أو غير ذلك ، تجري المناظرة فيها على أساس صحتها من النّاحية اللفظية، فيرد عليها الاعتراض بالابطال بسبب كونها تخالف قواعد اللغة العربيّة مثلا، ويكون الجواب بما يدفع الاعتراض من المبررات.

واشتهر أنّ الذي يوجّه الاعتراض على العبارة أو التعريف أو التقسيم يطلق عليه اسم (مستدلّ) ، وأنّ المدافع صاحب العبارة أو التعريف أو التقسيم يطلق عليه اسم (مانع).

والنصوص المنقولة " مهما كان مضمونها خبريّا أو إنشائيا مفردا أو جملة تتضمن ادعاء بصحة النقل عن قائلها ، ومناظرة راويها تنحصر بإثبات صحة النّقل ، أما إثبات صحة المضمون فليس مسؤولا عنه، مالم يلتزم الراوي ادعاء صحته فهو عندئذ مدّع صحّة المضمون ، فتجري المناظرة معه على أنه مدّع للقضية، أو القضايا الخبريّة التي اشتمل عليها النّص ، وفي هذا يقول علماء هذا الفنّ : "إن كنت ناقلا فالصحّة ، أو مدّعيا فالدليل " (142)

تطبيقات منطقية على آيات قرآنية

1) : قال الله جلّ وعلا : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَ النَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ - المائدة 20-.

في هذه المناظرة ردّ لمدّعي اليهود والنصارى بالمنع المقرون بالسّند القطعيّ الذي يتضمن لازم نقيض المدّعي ، وتحليلها كما يلي:

---

(142) المرجع نفسه ، ص 380.

المعلل :« اليهود والنصارى »، قالوا:

﴿ نَحْنُ أَبْنَاؤُا اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ﴾ : مدّعى الخصم.

السائل : " الرّسول ﷺ " :

ممنوع : « لم يعذبكم الله بذنوبكم ».

فلو كنتم أبناء الله وأحبّاءه كما تدعون لما عذبكم بذنوبكم.

لكنه عذّبكم بذنوبكم.

وهذا لازم لكونكم لستم أبناء الله وأحبّاءه.

إذاً فادّعاؤكم باطل.

فكان الرّدّ عليهم بإثبات لازم نقيض مدّعاهم (143).

2) قال اللّه جلّ وعلا : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾-المائدة 19-

في هذه المناظرة منع للدّعوى ، ومطالبة بالدّليل ، مع بيان سند المنع.

وتحليلها كما يلي :

(المعلّل) : النّصراني .

﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ﴾ : مدّعى الخصم .

(السّائل) : الرّسول ﷺ .

هذه الدّعوى ممنوعة: ﴿ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾.

وهذا السند يمكن اعتباره من قبيل السّند الحلّي ، فيكون بمعنى : قد تصحّ الدّعوى لو لم يكن المسيح عرضة للهلاك كسائر من في الأرض.

---

(143) المرجع نفسه، ص 393.

ويمكن اعتبـار ه أيضا من قبيل السّند القطعي ، فـيكون بمعنى : كيف يكون هو اللّه وهو عرضة للهلاك كسائر من في الأرض(144) .

وبهذا يكون المناطقة قد أحاطوا بالمناظرة من كلّ جوانبها تنظيرا وتقعيدا لها ، وكلّ ذلك ليحفظ حقّ المتناظرين وأن لايطغى طرف على آخر .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(144) المرجع نفسه ، ص 394.

الفصل الثاني :

دراسة نماذج من المناظرات القرآنية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1- النموذج الأول : مناظرة إبراهيم عليه السلام لنمروذ

تمهيد

2-1-1 أركان المناظرة

4-1 الطرفان

4-2 الدعوى

4-3 المآل

4-4 الأداب

2-1-2 وسائل المناظرة

2-1 الحوار

2-2 الجدل

2- النموذج الثاني: مناظرة موسى عليه السلام لفرعون

تمهيد

2-2-1 أركان المناظرة

4-1 الطرفان

4-2 الدعوى

4-3 المآل

4-4 الأداب

2-2-2 وسائل المناظرة

2-1 الحوار

2-2 الجدل

3- النموذج الثالث: مناظرة الرسول ﷺ لأبيّ بن خلف

تمهيد

2-3-1 أركان المناظرة

4-1 الطرفان

4-2 الدعوى

4-3 المآل

4-4 الأداب

2-3-2 وسائل المناظرة

1-2 الحوار

2-2 الجدل

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1- دراسة النموذج الأول:

مناظرة إبراهيم عليه السلام لنمروذ

تمهيد:

واجه الإسلام كثيرا من دعوات الإنكار، وناظر عن دعوته من تصدوا لجدالها، ولما كان القرآن هو كتاب هذه الدعوة، فقد تضمن الكثير من المناظرات، حيث كانت له وسائله وطرقه وأدلته وأسلوبه.

إن المهمة الأولى التي جاء بها القرآن، هي إنشاء عقيدة التوحيد بين قوم يشركون آلهة أخرى، ويكون من العجب عندهم أن يقول لهم قائل: إن الله واحد ﴿ أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ ﴾.

إن في القرآن الكريم مناظرات واسعة بين الأنبياء لأقوامهم بدءا من نوح عليه السلام إلى آخر الرسل محمد ﷺ، وقد تباينت هذه المناظرات، وتميز كل نبي بطريقة خاصة في المناظرة كسيدنا إبراهيم عليه السلام وموسى عليه السلام والرسول ﷺ.

إلاّ أن عددا من المناظرات تكاد تتشابه بل تكاد تتطابق في سيرها العام، وفيما عالجته من أمور. قال تعالى في سورة هود ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ -هود 50-53.

وقال تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴾ -هود 62-60

وقال تعالى : ﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ – هود83-88 – وتحاول المناظرة بين شعيب عليه السلام وقومه ولكنهم لا يهتدون إلا قليلا ويستعجلون بالعذاب فتأتيهم الصيحة ﴿ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا ﴾. هود66.67

وإنه بين هذه المناظرات ومناظرة نوح عليه السلام تشابه كبير لذلك سأعرج في هذا التمهيد على مناظرته ثم أفرد إبراهيم عليه السلام بدراسة خاصة في مناظرته لنمروذ وموسى عليه السلام في مناظرته لفرعون، والرسول ﷺ في مناظرته لأبي بن خلف.

لعل أول مناظرة في توحيد الله كانت بين نوح عليه السلام وقومه، ونوح هو أبو الإنسانية الثاني، وهو " أول الرسل دعوة إلى التوحيد حين حدث الشرك في بني آدم"(1) فدعا قومه وأبلغهم رسالة الله. فقابلوه بالتهم والمفتريات من الحجاج والنقاش. وظل صابرا يدعوا إلى الله جل وعلا حتى قالوا ﴿ يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ – هود 32–

ولقد وردت قصة نوح عليه السلام في سور عدة منها الأعراف وهود و المؤمنون يقول الله جل وعلا: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ

(1)– ابن كثير(عماد الدين أبو الفداء اسماعيل). تفسير القرآن العظيم. دار الأندلس . بيروت. ج3. ص546.

فَعَمِيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُم مُّلَاقُو رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ وَيَا قَوْمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ اللَّهُ إِن شَاءَ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴾ -هود 25. 35 -.

إنها دعوة صريحة من سيدنا نوح عليه السلام إلى قومه، فهو نذير مبين، وظيفته دعوة قومه إلى عبادة الله وحده، وهو كله مشفق خائف على قومه من عذاب الله الأليم،؟ "ولقد قال نوح هذه المقولة الواحدة، وأنذرهم عاقبة التكذيب بها في إشفاق الأخ الناصح لأخوانه، وفي صدق الرائد الناصح لأهله"(2)

﴿ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴾ ولكنهم يلوون عنق الدعوة ويبعدون حديثهم عن حقيقة ما جاء به نبيهم، ويوجهون الحديث إلى مواضيع أخرى، فيطعنون في شخصه، ويتهمونه بشتى التهم، وهذه المهمة لايقوم بها إلا الكبراء والسادة، فكلما ذكرت قصة نبي إلا وتصدى لها السادة الذين يسمهم القرآن (الملأ) قال الله جل وعلا ﴿ قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ -الأعراف 60 -.

وذكر الرازي (3) أن "الملأ الكبراء والسادات الذين جعلوا أنفسهم أضداد الأنبياء، والدليل عليه أن قوله (من قومه) يقتضي أن ذلك الملأ بعض قومه، وذلك البعض لابد أن يكونوا موصوفين بصفة لأجلها استحقوا هذا الوصف، وذلك بأن يكونوا هم الذين

---

(2) سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق القاهرة ط11 . 1985 م ج12 ص 1872

(3) الرازي (أبو عبد الله محمد بن عمر الطبرستاني) التفسير الكبير، دار احياء التراث العربي، بيروت ط3 ج14 ص150.

يملأون صدور المجالس، وتمتلئ القلوب من هيبتهم، وتمتلئ الأبصار من رؤيتهم، وتتوجه العيون في المحافل إليهم، وهذه الصفات لا تحصل إلا في الرؤساء وذلك يدل على أن المراد من الملأ: الرؤساء والأكابر".

فأول مايبدأون به دفع الدعوة بالطعن في الداعي بأنه بشر وضال ﴿ مَانَرَاكَ إِلاَّ بَشَرًا مِّثْلَنَا ﴾ -هود 27 - وفي آية أخرى ﴿ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ الاعراف 60 - ولايسكت نوح عليه السلام إزاء هذه الدعاوي يقول :﴿ يَاقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ -الأعراف 61- نافيا عن نفسه أي نوع من الضلالات.

ويضطر سيدنا نوح عليه السلام أن يعرف بنفسه مرة أخرى وهم يعلمونه ﴿ إني لكم نذير مبين ﴾ - هود 25 ويزيد الأمر ايضاحا :﴿ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَالَا تَعْلَمُونَ ﴾ -الأعراف 61 . 62

وذكر (ابن كثير ت774 هـ)(4) رحمه الله أن "شأن الرسول أن يكون مبلغا فصيحا ناصحا عالما بالله لايدركهم أحد من خلق الله في هذه الصفات كما جاء في صحيح مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه يوم عرفة وهم أوفر ماكانوا وأكثر جمعا (أيها الناس! إنكم مسؤولون عني فما أنتم قائلون؟) قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت، فجعل يرفع إصبعه إلى السماء وينكسها عليهم ويقول (اللهم اشهد اللهم اشهد) (5) " (6)

ويستمرون في لجاجهم، ورمي التهم والاعتراضات الواهية على دعوة نوح عليه السلام يقول الله جل وعلا : ﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ -الأعراف-63 أي «ليس بعجب أن يوحي الله إلى رجل منكم رحمة بكم ولطفا واحسانا إليكم لينذركم وتتقوا نقمة الله ولا تشركوا به(7)

---

(4) ابن كثير: إسماعيل بن عمر أبو الفد ت 774 هـ حافظ مؤرخ فقيه من كتبه البداية والنهاية في التاريخ وشرح صحيح البخاري لم يكمله وطبقات الفقهاء الشافعيين. الاعلام 320/1.

(5) رواه مسلم في صحيحه، 4/ 4/

(6)- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج3 ،ص183.

(7)- المصدر نفسه، و الصفحة نفسها.

والاعتراض الآخر على الدعوة ﴿ وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴾ إنها نظرة التعالي والكبر وإقصاء الناس من الحياة، ففي نظرهم أن الحق ما رآه أشرف القوم وساداته، أما الأراذل، على حد تعبير الملأ، فلا رأي لهم ولا حق لهم في اتباع الحق حتى وإن تبين لهم أنه حق (أراذلنا) كالباعة والحاكة وأشباههم، ولم يتعبك الأشراف ولا الرؤساء منا، ثم هؤلاء الذي اتبعوك لم يكن عن تروّ منهم ولا فكر ولا نظر، بل بمجرد ما دعوتهم أجابوك فاتبعوك» (8)

والاعتراض الآخر ﴿وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾ إنهم يعتبرون أن القدح في متبعي الحق قدح في الحق نفسه:«فإنه ليس بعار على الحق رذالة من اتبعه، فإن الحق في نفسه صحيح، اتبعه الأشراف أو الأراذل بل الحقّ الذي لاشك فيه أن اتباع الحق هم الأشراف ولو كانوا فقراء، والذين يأبونه هم الأراذل ولو كانوا أغنياء، ثم الواقع غالبا أن مايتبع الحق إلا ضعفاء الناس، والغالب على الأشراف والكبراء مخالفته، كما قال تعالى ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾ -الزخرف -23

وقد جرت سنة الله في الدعوات أن الضعفاء هم أول من يصدق الرسل «سأل هرقل ملك الروم أبا سفيان صخر بن حرب عن صفات النبي ﷺ قال فيما قال أشراف الناس اتبعوه أوضعفاؤهم؟ قال بل ضعفاؤهم فقال هرقل: هم اتباع الرسل (9)

ويعيبون على هؤلاء الاتباع أنهم لم يتروا في اتباعهم هذا، فقد صدقوا بنوح بادئ الرأي أول ماعرض عليهم الحق،«والرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين إنما جاءوا بأمر جلي واضح وقدْ جاء في الحديث أن رسول الله ﷺ قال:«مادعوت أحدا إلى الإسلام إلا كانت له كبوة غير أبي بكر فإنه لم يتلعثم» (10) أي ماتردد ولا تروى ، لأنه رأى أمرا جليا عظيما واضحا فبادر إليه وسارع»(11).

---

(8) - المصدر نفسه، ص547.

(9) - المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

(10) - المصدر نفسه، والصفحة نفسها

(11) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

قال تعالى: ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴾ -هود 28.

دعو ة الرسل ليست قوة على الناس، ولاسيفا مسلطا على رقابهم، ولكنها خطاب مفتوح وحوار هادئ مع العقول والقلوب وجميع المدارك فأي رفق بهم وأي رحمة هذه ﴿فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ﴾ وماقال: فعميتم عليهم، إرخاء للحبل وإشعارا لهم بالأمان ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴾ هل نفرضها عليكم فرضا.

ولكن راجعوا أنفسكم، إنها بينة من ربي و رحمة أتانيها، حجة ظاهرة هي النبوة على ماروي عن ابن عباس رضي الله عنهما وجوز أن تكون هي البينة نفسها جيء بها إيذانا بأنها مع كونها بينة من الله تعالى رحمة ونعمة عظيمة منه سبحانه» (12)

﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا﴾ أي أنكرهكم على الاهتداء فعميت عليكم أي خفيت عليكم فلم تهتدوا إليها ولا عرفتهم قدرها بل بادرتم إلى تكذيبها و ردها.

إن حديثهم عن الارازل وهو تمييز مرفوض الذين اتبعوه يومئ إلى أن دعوة الله لا تفرق ولا تميز بين أتباعها إلا بالتقوى. فكأن الحق حرى به أن يتبعه ذوو السلطان والمال ليصيب الداعي شيئا مما عندهم لذا ردّ نوح هذه الشبهة بقوله ﴿وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ﴾ هود 29 مقابل ما جاءهم به من الوحي والهدى، بل يبذل لهم ذلك الخير العظيم من غير سؤال أجر. وهذا هو شأن كل الرسل قال عز وجل ﴿ قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ﴾ - سبأ 47- ﴿ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴾ -الطور40

﴿ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَاءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴾ -الفرقان 57

﴿ وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ -هود51 -

﴿ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾- الشعراء -127.

---

(12)- الألوسي(أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود ت 1270هـ) . روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. دار الفكر، بيروت. 1403هـ /1983م. ج12،ص41.

سنة سارية في (الملأ) ماذا يريد الرسول بعد الدعوة؟ أيريد مالا؟ كأنهم على يقين أنه يريد المال، لهذا فالقضية تتكرر مع الرسل، فنوح يقولها ﴿وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ﴾.

وقوله ﴿وَمَآ أَنَا بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا﴾ قال ابن كثير (13): «كأنهم طلبوا منه أن يطرد المؤمنين عنه احتشاما ونفاسة منهم أن يجلسوا معهم كما سأل أمثالهم خاتم الرسل ﷺ أن يطرد عنهم جماعة من الضعفاء ويجلس معهم مجلسا خاصا فأنزل الله تعالى ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ﴾

فالدعوة ليست حكرا على جماعة دون جماعة، وأجر المتبعين على الله سبحانه وما على الرسول، إلا البلاغ لكل الناس دون تمييز. قال الله جل وعلا:﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِيٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمْ إِنِّيٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ – هود31.

إنه رسول من الله داع إلى عبادة الله وحده لاشريك له، يدعو من لقيه من شريف ووضيع فمن استجاب له فقد نجا، ويخبرهم أنه لاتصرف له في خزائن الله، ولايعلم الغيب، وليس بملك من الملائكة بل هو بشر مرسل مؤيد بالمعجزات ثم قال لهم:إن من تحتقرونهم وتزدرونهم، لا أقول لكم ليس لهم عند الله ثواب على أعمالهم. الله أعلمْ بما في أنفسهم . فإن كانوا مؤمنين باطنا كما هو ظاهر حالهم، فلهم جزاء الحسنى، ولو قطع لهم أحد بشر بعد ماآمنوا لكان ظالما قائلا مالا علم له به . (14)

لقد طال مقام نوح عليه السلام بين قومه، وطالت دعوته لهم وأكثروا عليه من الدعاوي والتهم، والحط من متبعيه، حتى سئموا منه، ولم يجدوا مايردون به دعوته، فكلما جاءود بدعوى إلا ردها وفقا للشرع والعقل وكان آخر مابقي عندهم أن ينفذ فيهم وعده ﴿قَالُوا يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ

---

(13)-تفسير ابن كثير، ج3 . ص543.

(14)- المصدر نفسه .ج3. ص549

قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ هود-34-33-32

وقد انهوا مناظرتهم مع نبيهم باستعجال العذاب، فكان ماأرادوا.

«لقد كان نوح مبطلا لأدلة المعارضة كونه بشرا، وكونه ضالا، وكونه متبعا من طرف الأراذل، وليس لهم شيء يتفضلون به على الأشراف ..... وقد سلك في مناظرته لهم أسلوبا جذابا راقيا، وقد تضمن الرد على قومه تفنيد شبهاتهم التي اعتبروها، ونقضها واحدة واحدة» (15) بالحجة والبرهان والمنطق السليم، ولكنهم قوم عميت بصائرهم عن معرفة الحق، وركبوا طغيانهم في المعاندة والمكابرة والاستهزاء، بعد أن سلك نوح معهم أرقى الأساليب. وذكرهم بآيات الله، ونعمه عليهم ، فلم يستجيبوا له. بل ﴿ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴾ -نوح -7 ﴿ وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ -نوح 23-22

وحين وصل الأمر ذروته، واستحكم العناد، ولم يعد في القوم أمل لفتح قلوبهم لنور الحق والإيمان ، قال نوح﴿ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾ نوح 27-26 فانتقلت بذلك المعركة الجدلية الكلامية إلى معركة تدخلت فيها يد القدرة الإلهية حين دعا نوح ربه ﴿ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ ﴾ -القمر 10-

فكان نصر الله كما قال سبحانه ﴿ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ ﴾ القمر 14-13-12-11.

لقد أهلكهم الله بحادث الطوفان بعد ذلك المعترك الفكري، وبعد الحرص الشديد من نوح عليه السلام على هداية قومه، ولكنه سبحانه الذي بيده هداية القلوب وتصريف كل شيء. قال تعالى ﴿ وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ - هود -34.

إن دعوة الأنبياء واحدة، ومقاومة أقوامهم لهم واحدة، حتى ليخيل أن المناظرة نفسها تتكرر من نبي لقومه إلى نبي آخر وقومه.

---

(15) - الألمعي، مناهج الجدل في القرآن الكريم ،ص164.

3 - 1 - دراسة النموذج الأول

2-1-1- أركان المناظرة

عندما تذكر (المناظرة في القرآن الكريم) ينصرف الذهن مباشرة إلى مناظرة سيدنا إبرهيم عليه السلام لنمروذ. لما تتميز به من خصوصية ولعل الشيء الذي ميزها هو طبيعة الدليل والمآل فقد كان دليل المناظرة هو الانتقال من دليل الإحياء والإماتة، إلى دليل كوني معروض على الأنظار. فبانتقال سيدنا إبراهيم عليه السلام إلى مشرق الشمس ومغربها، انتقلت أنفاس نمروذ بتسارع ضربات قلبه وارتجاج أواصره فكان المآل أن ﴿ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ﴾ -البقرة 258-.

لعلّ هذه الميزات في مناظرة إبراهيم عليه السلام هي التي وقع الإختيار عليها دون غيرها.

ويحسن الوقوف على هذه المناظرة ببيان معالمها من أركان ووسائل ومراحل.

قال الله جل وعلا: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ -البقرة 258-

للمناظرة أربعة أركان أساسية : الطرفان، الدعوى ، المآل، والأداب

4-1 الطرفان:

إن هذه المناظرة دارت بين نبي سماه الله (أمة) ورجل أتاه الله ملكا فطغى وتجبر، وادعى الألوهية.

فالنظر للطرفين يكون من خلال النص والفكرة المتنازع حولها فإبراهيم عليه السلام نبي مرسل يدعو إلى توحيد الله جل وعلا، فهي له مكانة عالية، ونمروذ ملك أوتي ملكا عظيما فغرّه ذلك فادعى الربوبية، فهو يرى لنفسه مكانة مادية عالية.

إبراهيم عليه السلام يرى أن الربوبية لله وحده، ونمروذ يراها لنفسه، وعلى هذا

الأساس ينظر إلى طرفي المناظرة: إبراهيم ونمروذ.

إن القرآن الكريم كفيل بأن يعطينا الصورة الكاملة الشخصية إبراهيم عليه السلام وتصوير مدى عظمته، وإبراز عناية الله بهذا النبي الذي اتخذه ربه خليلا،والذي أمرنا جميعا باتباع ملته، و"إن العالم كله يتنازعه، كل يريد أن يزعمه لنفسه خاصة دون سواه؛ اليهود يريدونه لأنفهسم، والمسيحيون يحبونه حبا شديدا، فهو جد المسيح، والمسلمون أشد الناس حبا لإبراهيم فهو جد نبيهم كذلك [.....] وقد لا تجد رسولا يجمع عليه أهل الأديان السماوية مثل إبراهيم، إنهم يختلفون في محمد صلى الله عليه وسلم وفي موسى عليه السلام، وفي عيسى عليه السلام، إلا إبراهيم عليه السلام فهم عليه مجتمعون بأنه أصل الشجرة الطيبة شجرة النبوة» (16)

وسنكتفي بالحديث عن سيدنا إبراهيم عليه السلام من خلال النص، ونحاول معرفة أحد جوانب شخصيته وهو قوة الحجة عنده من خلال النصوص القرآنية التي تبرز قوة الحجة في مناظراته، فقد ناظر أباه في أسلوب عاطفي رقيق يسترقه ويسترحمه، ويخاف عليه، وناظر قومه بأساليب عدة ميزتها قوة حجته، قال الله جل وعلا:﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ ﴾ -الأنعام -83 ويذكر (الرازي) أن هذه الحجة «إنما حصلت في عقل إبراهيم عليه السلام بإيتاء الله، وبإظهاره تلك الحجة في عقله، وذلك يدل على أن الإيمان والكفر لايحصلان إلا بخلق الله تعالى وبسبب هذه الحجة رفع الله إبراهيم درجات» (17)

ويحسن ذكر الظروف التي ولد فيها إبراهيم عليه السلام لعلاقة ذلك بموضوع المناظرة، فقد ذكر المفسرون أن نمروذ «رأى في منامه كأن كوكبا طلع، فذهب بضوء الشمس والقمر، حتى لم يبق لهم ضوء ففزع من ذلك فزعا شديدا، ودعا السحرة والكهنة وسألهم عن ذلك، فقالوا: هو مولود يولد في ناحيتك هذه السنة يكون هلاكك وهلاك أهل بيتك عل يديه، فأمر نمروذ بذبح كل غلام يولد في تلك الناحية تلك السنة

---

(16)- شلبي: محمود، حياة ابراهيم، دار الجيل، بيروت، ص5.

(17)- الرازي، التفسير الكبير ج13، ص61

وأمر بعزل الرجال عن النساء... وبعث نمروذ إلى كل إمرأة حبلى بقريته فحبسها عنده إلا ما كان من أم إبراهيم فإنه لم يعلم بحبلها، وذلك أنها كانت جارية حديثة السن»(18)

ولما شب قال لأمه : من ربى؟ قالت : أنا . قال : فمن ربك؟قالت : أبوك. قال : فمن رب أبي؟ قالت: نمروذ. قال : فمن رب نمروذ؟ قالت له: اسكت، فسكت ، ثم رجعت إلى زوجها فقالت: أرأيت الغلام الذي يحدث أنه يغير دين أهل الأرض فإنه ابنك (19) قال تعالى ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَٰلِمِينَ﴾ - الأنبياء -51

إن إبراهيم عليه السلام الذي ناظر أباه، وناظر قومه جميعا بأساليب متنوعة وفي كل منها كان ظافرا عليهم لقوة حجته التي اتاه الله لن يصعب عليه فردا تبوأ مبوأ لايليق به، وافترى افتراء عظيما فقال (أنا أحيي وأميت) ودارت بينهما تلك المناظرة الخالدة.

وأما نمروذ فإن النص القرآني لم يذكر اسمه لأن، ذلك لايزيد للمناظرة شيئا، ولكن القران ذكره بشيء خصه به، وهو الذي دعاه إلى أن يدعي الربوبية. قال ﴿ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ ﴾ -البقرة 258-

قال ابن كثير:«هذا الذي حاج إبراهيم في ربه هو ملك بابل نمروذ بن كنعان بن كوش بن سام بن نوح، ويقال نمروذ بن فالخ بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح. والأول قول مجاهد وغيره قال مجاهد: وملك الدنيا مشارقها ومغاربها أربعة مؤمنان وكافران فالمؤمنان سليمان بن داوود وذو القرنين، والكافران نمروذ وبختنصر والله أعلم» (20)

فهذا نمروذ قال أنا أحيي وأميت أن آتاه الله الملك.

وهذا سليمان ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ وَالشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ

(18) الثعلبي(أبو اسحاق أحمد بن محمد ابراهيم النيسابوري ت 467 هـ). قصص الأنبياء المسمى عرائس المجالس. ط 4 دار الرائد العربي. بيروت ص 73.

(19) المصدر نفسه. ص74

(20)- ابن كثير. تفسير القرآن العظيم. ج1 .ص556.

وءاخرين مقرّنين في الأصفادِ هذا عطاؤنا فامْنُنْ أو أمسِكْ بغيرِ حِسابٍ وإنّ لهُ عندَنا لزُلْفى وحُسْنَ مَئابٍ ﴾ - ص 39,34

﴿ وورِثَ سُلَيْمانُ داوُدَ وقالَ يأيُّها النّاسُ عُلِّمْنا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وأُوتِينا مِن كُلِّ شَيْءٍ وإن هذا لَهُوَ الفَضْلُ المُبِينُ ﴾ النمل16.

فماذا كان من سليمان عليه السلام: ﴿ قالَ هذا مِن فَضْلِ ربي لِيَبْلُوَنِي ءَأشكُرُ أمْ أكْفُرُ ومَنْ شَكَرَ فإنّما يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ، ومَنْ كَفَرَ فإنّ ربي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾-النمل40-.

جاء عن ابن كثير أن نمروذ كان عنده طعام، وكان الناس يغدون إليه للميرة، فوجد إبراهيم في جملة من وفد للميرة، ولم يكن اجتمع به إلا يومئذ ، فكانت بينهما هذه المناظرة، ولم يعط إبراهيم من الطعام كما أعطي الناس، بل خرج وليس معه شيء من الطعام، فلما قرب من أهله عمد إلى كثيب من التراب فملأ منه عديله وقال أشغل أهلي إذا قدمت عليهم. فلما قدم وضع رحاله وجاء، فاتكأ فنام. فقامت امرأته سارة الى العدلين فوجدتهما ملآنين طعاما طيبا فعملت منه طعاما ، فلما استيقظ إبراهيم وجد الذي قد أصلحوه فقال أني لكم هذا؟ فقالت : من الذي جئت به، فعرف أنه رزق رزقهموه الله عز وجل (21)

ولو أن هذه الرواية لاتؤخذ بالتسليم هكذا، لأن الذي أوتي ملك الدينا كيف يجلس ليسأل الناس من ربهم؟ فيعطي من يقو ل بالربوبية ويمنع من ينكر عليه ذلك. هذه الرواية لايقبلها عقل، فابراهيم في هذه الرواية سائل، موقفه ضعيف جدا، وهو يمد يده لغير الله!

قال الرازي:«واختلفوا في وقت هذه المحاجة، قيل إنه كسر الأصنام قبل الإلقاء في النار عن مقاتل. وقيل بعد إقائه في النار» (22).

---

(21) ابن كثير. قصص الانبياء. تحقيق . محمد احمد عبد العزيز. مكتبة دار الثقافة عمان . ط3. 1413هـ 1993م. ص123.

(22) الرازي. التفسير الكبير. ج7 .ص22.

والراجح عند أغلب المفسرين أن زمن المناظرة كان بعد خروج إبراهيم عليه السلام من النار سليما معافى ، قويا في موقعه، منه تستمد القوة للحديث عن الإله الذي منع النار عنه.

إن نمروذ هو أول من تجبر في الأرض وادعى الألوهية (23) ومتى ينزل هذا الذي تجبر إلى ساحة العامة؟ لاشك في أن الأمر خطير، إن إبراهيم لم تحرقه النار، وكانت عليه بردا وسلاما، فهال الأمر الجميع، وتحشد الحشود، وتهيأ للمناظرة التاريخية وتبعأ الجماهير، ويقوى موقع إبراهيم عليه السلام بعد خروجه من النار، وينزل نمروذ وهو يختال ليحاج.

وقد كانت نهايته أسوأ نهاية حيث «أن الله بعث إليه بعد إبراهيم عليه السلام ملكا يدعوه إلى الله أربع مرات فأبى وقال :أرب غيري؟ فقال له الملك: اجمع جموعك إلى ثلاثة أيام فجمع جموعه، ففتح الله عليه بابا من البعوض فطلعت الشمس فلم يروها من كثرتها فبعثها الله عليهم فأكلتهم فلم يبق منهم إلا العظام، والملك كما هو لم يصبه شيء، فأرسل الله عليه بعوضه، فدخلت في منخره فمكث يضرب رأسه بالمطارق. فأرحم الناس به من يجمع يديه ويضرب بها رأسه وكان ملكه ذلك أربعمئة سنة .(24)

4-2- الدعـــــــــوى:

مامن مناظرة إلا وتقوم على دعوى فالأصل في المناظرة هو التنازع حول نقطة معينة كل طرف يشد إلى جهته؛ ولولا هذه النقطة المركزية التي هي الدعوى لما وجدت مناظرة.

وذكر فيما سبق أن الدعوى ينتج عنها أفعال تكلمية أساسية:

3-1- عرض الدعوى، ويسمى (الادعاء).

---

(23)- ابن الاثير (أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني)، تاريخ الكامل ، المطبعة الازهرية ،القاهرة ،ج1،ص40

(24)-المصدر نفسه، ص 41

-3-2 عرض دليل على الدعوى، ويسمى (التدليل).

-3-3 اعتراض على هذه الدعوى، ويطلق عليه (المنع)

ولدراسة الدعوى لابد من دراسة هذه الأفعال التكلمية الثلاثة.

-3-2-1 الادعـــــــاء

كان الادعـاء في المناظرة من إبراهيم عليه السـلام إذ قال (رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ) وهذا يقين إبراهيم الذي يدعو إليه، وقد قال هذه المقولة لما سأله نمرودَ بعد خروجه من النار، فهـو في موقع قوة. وإبراهيم عليه السلام في بداية المناظرة يجيب مختارا عن سؤال جاهل أومتجاهل، إذ الحياة والموت ظاهرتان مكرورتان في الوجود لاتحتاجان إلى أن يدلل عليهما إبراهيم عليه السلام، قال ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ ولم يزد . فلا عاقل ينكر أن وراء هاتين الظاهرتين مدبرا يدبرهما.

والملاحظ أن نمرود لم يطالب بالدليل على الإحياء والإماتة من الله، ولكنه أخذ في المناظرة مأخذا آخر حيث ادعى لنفسه هذه الخصائص وقال (أنا أحيي وأميت) فالجزء الأول من المناظرة لايوجد فيه دليل نصي على الإحياء والإماتة ولكن هناك منع للدعوى، يقول نمرود (أنا أحيي وأميت) فقد منع دعوى إبراهيم، وأصبح منعه دعوى تحتاج إلى دليل من نمرود، وإلى منع من إبراهيم عليه السلام.

سنتحدث في هذه الدعوى عن المنع قبل التدليل.

-3-2-2 المنـــــــع:

لما كان المنع هو الاعتراض على الدعوى فإنه يتصف بكل صفات الاعتراض من كونه فعلا تكلميا استجابيا ادباريا استشاريا تقويميا تشكيكيا سجاليا ومن كون هذه الصفات تجعل موضوعه مرتبطا بموضوع الادعاء، ومنطوقه متصلا بمنطوقه ومقصوده «مفاعلا بمقصوده ، وتجعل حجيته معاكسة في قوتها الادعاء، والتدليل عليه مقيدا بالتدليل على الادعاء»(25).

---

(25) طه عبد الرحمان. في أصول الحوار وتجديد علم الكلام. ص71.

فكيف كان المنع في هذه المناظرة؟ منع نمروذ دعوى إبراهيم بدعوى أخرى ونذكر دائما الجو الذي حدثت فيه هذه المناظرة، ونستحضر تلك الحشود التي تسمع قول إبراهيم ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ .

وكأن نمروذ فهم أن كل خصائص الرب الذي نجى إبراهيم من النار تنحصر في أنه يحيي ويميت، وإذا كانت هذه الخصائص هي التي تخول الربوبية فسيستغل هذه الفرصة ليبرهن لكل من حضر أنه الرب لأنه يحيي ويميت، ففي هذا المنع نفي وإثبات، نفي أن يكون رب إبراهيم هو الرب، وإثبات أنه هو رب. ومادليله؟ لقد استدل على ربوبيته بأن احضر رجلين، رجلا بريئا فقتله، ورجلا سيعدم عفا عنه!! وفي ادعاء إبراهيم أولا لايوجد أي تدليل نصي، لأن ماقاله لايحتاج إلى دليل، إذ القضية بديهية.

إن إبراهيم وقد خرج من النار المعجزة التي لم تحدث، يأمل بأن هذه المعجزة كفيلة بأن تعيد كل الناس لله ربهم فلما يقول ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ دون تدليل نصي، لأن ربه هو من منعّ عنه النار التي رموه فيها ليحرق ويموت، فها هو ذا لم يحرق ولم يمت، بل يحيا لأن الحياة والموت بيد الذي خلق النار ومنعها عنه، وجعلها عليه بردا وسلاما.

ومنع نمروذ اصبح دعوى جديده، دلل عليها بذلك الفعل الاجرامي، ولكن إبراهيم عليه السلام لايسكت، بل يأتيه بما يعجزه ، فيتحداه لما قال أنه يحيي ويميت أن يغير سنة الله في مشرق شمسه، فكان منع إبراهيم قاصما لنمروذ مبهتا له.

فمنعه من جنس دعوى إبراهيم حيث أن نمروذ استند على دعوى إبراهيم فالمنع استجابي إدباري.

إن في المناظرة تمويها، فنمروذ بعد ما قال ﴿ أنا أحيي وأميت ﴾ عهد إلى رجلين فقتل أحدهما وعفا عن الآخر معتقدا أنه استند على ما يثبت منعه لدعوى إبراهيم، فقد قوي اعتراضه بالسند فكأنه قال :(إني لا أسلم لك هذه الدعوى فأنا من يحيي ويميت) وإنه لايستقيم هذا (السند) إلا إذا كان هو عين نقيض الدعوى المعترض عليها أو كان

قضية مساوية لنقيضها أو قضية يلزم عنها نقيض الدعوى(26) ومنع نمروذ هو عين نقيض الدعوى المعترض عليها، إبراهيم قال (ربي الذي يحيي ويميت) ونمروذ قال (أنا أحي وأميت) فقد غير نسبة الفعل في الدعوي ونسب الفعل إلى نفسه.

إن من حق المدعي أن يدفع المنع بتوضيح مراده من الدعوى إذا كانت من البديهيات، وهذا مالم يفعله إبراهيم عليه السلام رغم أنه يعلم أن إحياء الله للأموات وإماتته الأحياء بدهية لا مراء بين العقلاء في التسليم بها، كما أنه لم يبطل سند منع نمروذ ولكنه انتقل من دعوى إلى دعوى أخرى ليمنع منع نمروذ.

3-2-3- التدليـــل:

إن طرفي المناظرة يتداولان الأدوار، تبدأ مدع ومانع، ثم يصبح كلام المانع ادعاء، والمدعي مانعا، فقول نمروذ (أنا أحي وأميت) وتدليله على ذلك يعتبر دعوى جديدة في المناظرة، وهذه الدعوى ستمنع بما يبهت مدعيها، فالشرط الجوهري في التدليل هو اقناع المعترض بالعدول عن منعه.

لقد اعتقد نمروذ ان الذي أخرج إبراهيم من النار لايفعل أي شيء سوى الإحياء والإماتة فأراد أن يلبس بهما، وقام بتلك المسرحية الإجرامية لإيهام كل من حضر أنه يحيي ويميت، فانتقل إبراهيم عليه السلام من صفة الإحياء والإماتة إلى تدبير الكون، وقال له ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾ فإبراهيم لم يقل له :(ربي يأتي بالشمس من المشرق) ولكنه قال له (فإن الله) كان ربا يحيي ويميت والآن سماه باسمه الأعظم وهو (الله) فخرج من مجال الربوبية التي تحمل معاني الخلق والملك والتدبير إلى الإشارة إلى الألوهية التي يستحقها الخالق المالك المدبر.

فهذا التحول في حديث إبراهيم عليه السلام من الإحياء والإماتة إلى الظواهر الكونية هو ماسماه العلماء بالانتقال.

---

(26)- المرجع نفسه، ص 76

«وهو أن ينتقل المستدل إلى استدلال غير الذي كان آخذا فيه لكون الخصم لم يفهم وجه الدلالة من الأول»(27)

قال إبراهيم ردا عليه (ربي الذي يحي ويميت) أي هو الذي يهب الناس الحياة ويسلبهم إياها على ماتقتضيه الحكمة، فقال نمروذ (أنا أحي وأميت) ومعناه: أنا وحدي لاغيري الذي يحيي ويميت، أي أن نمروذ لا يقبل الشركة ولايريد أن يعترف بأن لإبراهيم إلها غيره ، فليس المعنى: أنا أيضا أحيي وأميت كما يفعل إلهك، وإنما المعنى أنا الذي أحيي وأميت وحدي دون غيري، ومعنى الإحياء في كلام نمروذ العفو عن المحكوم عليه بالقتل والإماتة في كلامه أن يقتل من يشاء . فلما لم يفهم نمروذ وجه الدلالة في الدليل ، أوفهمه وغالط وكابر، لم يشأ سيدنا إبراهيم أن يستمر معه في الجدل في هذه الحجة مع لزومها وإفحامها ، أراد أن يختصر الطريق ليفحمه على وجه قاطع لايستطيع معه اللف والدوران، فانتقل إلى حجة أخرى تتعلق بالأفلاك السماوية، وقد أتى هذا الانتقال (28) بثمرته ﴿ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَ ﴾ -البقرة 258-

وهذا الانتقال الذي حدث في المناظرة، أوجد جدالا عنيفا بين المفسرين : فمنهم من يرفضه، ومنهم من يقبل به على أنه انتقال في المثال وليس في الدليل، وكل هذا لأن أساس الانتقال أن تكون الحجة الأولى غير ملزمة فيتركها المستدل إلى حجة أخرى ملزمة، وهذا لايليق بمعصوم يدعو الناس إلى توحيد الله، ومن يكون؟ إنه إبراهيم الخليل أصل شجرة النبوة.

إن بعض العلماء يقررون الانتقال في الآية الكريمة، مبينين أن حقيقته الاصطلاحية انتقال المستدل من دليل إلى آخر لتفهم الخصم وجه الدلالة في الدليل أو لمغالطته ومكابرته وعناده، تنطبق على الآية تمام الانطباق ما فهمه نمروذ ليس هو

---

(27) السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، دار الفكر، بيروت ص172.

(28)- حسين حسن ، علوم القرآن (علم الجدل)، مجلة الأزهر، المجلد السادس عشر، الجزء السادس، جمادي الآخرة 1364هـ ص267.

مراد إبراهيم عليه السلام، وبعض العلماء يمنع الانتقال في الآية كدليل ويجيزه في المثال. أي أن الآية كلها دليل واحد ليس فيه انتقال، والانتقال إنما هو في المثال.(29)

قال المجيزون: من المقرر أن الشبهة إذا كانت في غاية السقوط ونهاية البطلان كان الاشتغال بدفعها وإبطالها ضربا من العبث ولكن الخصم متمسك بها لعدم وجود غيرها مع تفاهتها، فوجبت على المستدل أن ينتقل إلى دليل آخر بعيد عن التمويه والمغالطة وهذا الذي حدث مع إبراهيم عليه السلام . فإنه لما علم أن نمروذ متمسك بهذه الشبهة الساقطة وهي جواز حمل الإحياء على العفو والإماتة على القتل، لم يشأ أن يجاريه في الاشتغال بدفع هذا الهذيان . فإن ذلك لايليق بمقام إبراهيم عليه السلام، فانتقل إلى دليل يقطع به الخصم ويفحمه إفحاما يبهته ويسكته.

قال المانعون: إن الخصم إذا ذكر شبهته ووقعت في أسماع الناس وجب على المستدل المحق ذكر الجواب عنها وإزالة أثرها في قلوب الناس وأسماعهم،خصوصا إذا كان المستدل معصوما، فالاشتغال بازالتها من باب الواجب المضيق، إزالة للتلبيس والجهل عن العقول، فكيف يليق بالمعصوم ترك الدليل مطعونا فيه والانتقال إلى دليل آخر (30)

وإن أقوى حججهم أن قاعدة الانتقال تقضي بأن يكون الدليل المنتقل إليه أوضح من الدليل المنقول منه، وهنا الأمر ليس كذلك لأن جنس الحياة هو مناط الدليل الأول ﴿ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ لا قدرة للخلق عليه إطلاقا، بخلاف جنس تحريك الأجسام، وهو مناط الدليل الثاني، فلا يبعد وجود ملك عظيم الجثة يكون محركا للسموات (31)

قال المانعون: لايجوز لرسول عليه السلام وهو المعصوم الذي يدعو إلى توحيد الله ونفي الشرك والوثنية أن يترك دليله مطعونا عليه من قبل الكافر، وينتقل إلى

---

(29)- المرجع نفسه، المجلد السادس عشر، الجزء السابع، رجب ، ص

(30) الألوسي، روح المعاني، ص17

(31)- المصدر نفسه، والصفحة نفسها .

دليل اخر بل يجب عليه وجوبا مضيقا أن يرد الطعن، ويصحح الدليل، لأن تركه الدليل هكذا مما يوجب سقوط وقع الرسول وحقارة شأنه وإن ذلك غير جائز.

والجواب من قبل المجيزين أن ذلك إنما يسلم لو أن الطعن على الدليل مقبول ولو بوجه من الوجوه لكن إذا كان الطعن ساقطا من نفسه. ولم يغير اتجاه الدليل مطلقا ولم يؤثر في نفس السامعين أثرا ما كان الاشتغال بدفع مثل هذا الطعن ضربا من العبث لا يليق بالمعصوم.

ويريد المانعون أن يشتغل الرسول بدفع هذا الهذيان الذي يسمونه طعنا على الدليل ويقرون أن ذلك واجب مضيق. ومادام لم يفعل ذلك كان لابد من تقرير أن الآية كلها دليل. (32) كيف ذلك؟

يفهم من كلام نمروذ أن الإحياءوالإماتة تحتاج إلى وسائط فقد تكون حركات الأفلاك هي الوسائط وقد ذكر الرازي أن إبراهيم قال : "هب أن الإحياء والإماتة حصلا من الله تعالى بواسطة الاتصالات الفلكية إلا أنه لابد لتلك الاتصالات والحركات الفلكية من فاعل مدبر فإذا كان المدبر لتلك الحركات الفلكية هو الله تعالى كان الإحياء والإماتة الحاصلة بواسطة تلك الحركات الفلكية أيضا من الله تعالى ، وأما الإحياء والإماتة الصادران عن البشر بواسطة الأسباب الفلكية والعنصرية فليست كذلك لأنه لا قدرة للبشر على الاتصالات فظهر الفرق" (33) وبهذا يصبح الدليل دليلا واحدا.

قال المانعون قولا غريبا، ويكاد يكون مضحكا قالوا: فيجب ألا يكون المنتقل إليه أوضح وأقرب، وفي هذا المثال حدث العكس، لأن الإحياء لا قدرة للخلق عليه، أما تحريك الأجسام فللخلق قدرة عليه فلا يبعد وجود ملك عظيم الجثة يكون محركا للسماوات. فعلى هذا فالاستدلال بالإماتة والإحياء أظهر وأقوى من الاستدلال بطلوع الشمس، فكيف يليق بالنبي المعصوم أن ينتقل من الدليل الأوضح إلى الدليل

---

(32) حسين، حسن، المقال السابق، ص394

(33) الرازي، التفسير الكبير، ج7 ص 34

الخفي(34) وإذا كان ذلك كذلك فلا يكون في الآية الكريمة انتقال لعدم جريانه على قاعدته.

وأجاب المجيزون بأن قاعدة الانتقال المذكورة مسلمة ، ولكنا لانسلم أن ليس الدليل المنتقل إليه بأوضح من الدليل المنتقل منه، بل هذه مكابرة ظاهرة بدليل أن نمروذ لم يجد في الدليل الثاني مجالا للقول مطلقا، الا ترى إلى قوله تعالى ﴿ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ﴾ -البقرة 258-.

وهنا يطرح تساؤل :هل يعيب مانعو الانتقال على إبراهيم عليه السلام تركه دليل الإحياء والإماتة، وانتقاله إلى آخر، أم المسألة مسألة مصطلحات بأن هذا مثال ثان وليس دليلا ثانيا لأن الأول موفي بالغرض والثاني أقل أهمية من الأول؟!

لا أحد يعلم ملابسات هذه المناظرة، ويعلم توجه الطرف الثاني فيها مثل سيدنا إبراهيم ، وقد سارت المناظرة مسارا أوصل إلى النتيجة التي أرادها سيدنا إبراهيم عليه السلام، وهو أعلم من غيره بصلاحية هذا الدليل أو ذاك ووضع كل دليل في مكانه المناسب واللائق به وهو الذي اتاه الله الحجة.

لقد ركز المفسرون المانعون للانتقال نظرتهم على الدليل الأول وذهلوا عن هذه المباراة العظيمة التي احتشد لها الناس من كل حدب وصوب ينتظرون الغلبة لمن تكون ، ألربهم نمروذ الذي ادعي الإحياء والإماتة أم تكون لرب إبراهيم الذي نجاه من النار؟ ذهل المانعون عن الطرف الثاني في المناظرة، هل يستحق الوقوف معه على دليل الإحياء والإماتة بحمقة وسذاجة تفكيره وكبره ويبقى إبراهيم يقنعه بالحياة والموت التي يقصدها، وهو يماريه ويموه عليه كلامه، والجماهير تنظر.

إن الواجب المضيق في هذه اللحظة حقيقة هو الانتصار للحق وكسر جبروت نمروذ أمام جموعه، ولن يحدث للدليل الأول شيء ولن يعلق في أذهان الناس أن رب

---

(34) الالوسي، روح المعاني، ج3، ص17.

إبراهيم لايحيي ولايميت، ولكن غلبة الثاني ستقوى الدليل الأول لأن رب إبراهيم أقوى. إن الحق أعلى من الناس. والحياة والموت باقيتان مابقيت الحياة. فلن يخاف إبراهيم على هذا الدليل ولن يحقر من شأنه وإنما واجبه هنا أن يعرف نمروذ عندحدود نفسه ﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾ وسكت!!

لو استمع إبراهيم إلى مانعي الانتقال هل تراه يتوقف عند الإحياء والإماتة؟! عليك سلام الله ياإبراهيم فقد ناظرت فأفحمت كل من تسمى اك.

وعلى الرغم من كل ذلك يبقى في خلد النبي إبراهيم عليه السلام شيء من الاحياء والإماتة . بعد ما تهدأ نفسه، ويطمئن لنصرة الحق يسأل ربه «رب أرني كيف تحيي الموتى» وهو يعلم أن الذي قصده مع نمروذ ليس هو الذي قام به اللعين، ولكنه كان يريد شيئا آخر هو الذي كان يريد الآن أن يراه «رب أرني كيف تحيى الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي» كيف غابت هذه الآية عن مانعي الانتقال؟

4-3 المـــــــآل

لابد في المناظرة من الانتهاء (35) بعجز أحد المتناظرين عن دفع دليل الآخر. فإن كان العاجز هو (السائل سمي (ملزما) وسمي عجزه (إلزاما)، وإن كان العاجز هو (المعلل) سمي (مفحما) وسمي عجزه (إفحاما)

وقد انتهت هذه المناظرة القرآنية الإبراهيمية بأن بهت الذي كفر وكيف له أن يأتي بالشمس من المغرب وهو عاجز حتى عن أن يمنع عن نفسه بعوضة كانت سبب هلاكه.

والمآل هو أحد مراحل المناظرة:«فكل مناظرة سليمة تنقسم إلى ثلاث مراحل:

3-1- مرحلة (المبادئ) وفيها يتم تعيين محل النزاع حتى لايتشتت الفريقان في أ-ا ف غير متناطبقة، وحتى لايتكلم كل منهما في واد غير الوادي الذي يتكلم فيه مناظره» (36)

---

(35) الميداني . ضوابط المعرفة، ص455

(36)- المرجع نفسه. ص376.

وقد كان إبراهيم عليه السلام واضحا في تقديم مايؤمن به من أن الله يحيي ويميت ولم يكن يشعر بنزاع ليحدد محله ولكنه يتحدث عن يقينه لماسئل عن ربه أجاب جواب نبي موقن عين اليقين فقال «ربي الذي يحيي ويميت» فيصبح الإحياء والإماتة مدار الحديث وينسبها نمروذ له فيقول ﴿ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ ﴾

3-2 مرحلة الأواسط (37) ، حيث تقدم الدلائل التي يظهر فيها لزوم المطلوب، وهي المرحلة التي تتصارع فيها الدلائل فبعد أن قال إبراهيم «ربي الذي يحيي ويميت»، ومنع نمروذ الدعوى بأن جعل نفسه المحيي المميت، انتقل إبراهيم عليه السلام الى عالم الأفلاك فقال ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ ﴾.

3-3 مرحلة (المقاطع) (38). وهي مرحلة إذا انتهى البحث إليها انقطع. وهو ينقطع إذا انتهى إلى الضروري ، أو هو اليقين الذي يجب التسليم به بالضرورة العقلية، أو إذا انتهى إلى الظني الذي يسلم به، الخصم، وهو المآل.

لقد أوهم نفسه نمروذ، وأوهم الناس معه انه يستطيع أن ينقض دليل إبراهيم بأنه هو من يحيي ويميت فلما سمع قول إبراهيم وتحديه له بأن يغير سنة الله في كونه، صعقة الدليل وأبهته فسكت ولجأ بعدها إلى العنف.

لقد كان نمروذ عظيما، لاتساع ملكه، وزهوه بما آتاه الله حتى جعل من نفسه ربا، وهاهو الآن يتهاوى ويسقط أمام إبراهيم عليه السلام، فبأي وسيلة سيغير مشرق الشمس؟ لقد بهت وقصرت دونه كل الحيل.

وبهذا المآل "يعلم المسلم انتهاج مسلك إبراهيم عليه السلام في الاستدلال، وأن لايراوغ من المضللين من يحاولون أن يموهوا الحقائق على البسطاء من الناس باللجوء إلى الأساليب الشاذة التي يخدعون بها الناس، سواء في ذلك مايتعلق بشؤون العقيدة ومايتصل بأمور الحياة "(39)

---

(37)- المرجع نفسه والصفحة نفسها.

(38)- المرجع نفسه ، والصفحة نفسها.

(39) حسين فضل الله ،الحوار في القرآن ، ص261.

... عن عليا رضي الله عنه تعلم من إبراهيم عليه السلام عندما قال لليهودي ... ت أقدامكم من فلق البحر حتى قلتم اتخذ لنا آلهة كما لهم آلهة» (40)

4-4 الآداب:

إن وصايا القرآن في الدعوة إلى الله مرتبطة ارتباطا وثيقا باتباع أحسن ... ق في الجدال والآيات في ذلك كثيرة.

قال الله تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم ... ي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ -النحل 125-.

وقال: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ -العنكبوت 46-

وقال: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ... -الأنعام 108-.

وجملة ﴿بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ تشمل بعمومها الأساليب الفكرية والقبولية الدعوية وبهذا يتبين لنا أن المطلوب من المسلم أن يكون في مجادلته على حالة أرقى وأحسن من الحالة التي يكون عليها من يجادله أدبا وتهذيبا : قولا وفكرا.

وقد أتى الله إبراهيم قوة حجة وقدرة على الجدال للإلزام بالحق وهذا ما تكشفه لنا جدلياته التي قصّ الله علينا في القرآن طرفا منها وأثنى على حجته بقوله ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ الأنعام 83

وقد كان إبراهيم من مناظرته لنمرود يمثل قمة التسامي مع ذروة القوة والقوة. فلما سئل عن ربه أجاب بأنه الذي يحيي ويميت، ولم يقل له إن ربي أكبر من

---

(40) السلفوني، فيرن المناظرات، ص 67

أن يحده تعريف، ولقد أظهر نمروذ تفاهة وحقارة لما ادعى الإحياء والإماتة. كيف يتجرأ هذا العبد الذي يسري عليه قانون الموت والحياة...؟ فإن كنت تحيي وتميت فمن أحياك أنت وأوجدك؟ ومن كان يحيي ويميت قبل وجودك؟!

فإبراهيم عليه السلام في هذه اللحظة يملك كل الحق في أن يهزأ به، ولكنه أكبر من أن يتوقف عند هذا، إنه يستطيع أن يقول له: إن كنت تحيي وتمتي فامنع الموت عن أقربائك ثم عن نفسك؟! ومر إبراهيم عليه السلام على هذا الدليل دون أن يتوقف لحمق الذي يناظره.

إن عقل نمروذ أضيق من أن يستوعب الإحياء والإماتة اللتين تكلم عنهما إبراهيم عليه السلام، لأن الملك أعماه وأبطره.

إن الوقت الذي أخذه نمروذ لعرض مسرحية الدليل بأن عفا وقتل دون أن يمنعه إبراهيم ويعترض على فعله لدليل على أن نمروذ يستمد ربوبيته من قوة موقع إبراهيم عليه السلام بعد حادثة خروجه من النار سليما معافى.

إن الدليل الذي استند إليه نمروذ يسير عكس مايرمي إليه إبراهيم عليه السلام في دعوته. فابراهيم يدعو إلى توحيد الذي يحيي ويميت. ولما يقتل نمروذ ويعفو فقد ضرب صميم دعوة إبراهيم عليه السلام.

ولكن الخليل يتأنى حتى يقتل نمروذ ويعفو ويكتمل له الدليل الموهوم، والكل يسمع ، ومنهم من يغره هذا الفعل. وينسى أن المجرم قد يمسك رجلين فيقتل أحدهما ويفر الآخر أيكن هذا المجرم ربا؟. ولكنهم سذّج غيب الإذلال والتجويع عقولهم فهم يصفقون لهدا الفعل، وينبهرون بقول رجل اتاه الله الملك، يرجون رضاه، ويرغبون فيما عنده من رغيف.

إن الضعفاء الجبناء السذج التبع هم الذين يصنعون الجبروت على الأرض، هم الذين ينفخوا الكبر والتعالي في نفس عميت عن الحق ونسيت أنها من تراب وإليه مرجعها.

فإبراهيم نبي حكيم أوتي الحكمة وفصل الخطاب، سكت عن مسرحية نمروذ

وترفع عن البقاء مع هذا الدليل، لأن منافذ الإدراك عند نمروذ مقفلة دون الحقيقة.

وبعدما استكان نمروذ لدليله، وظن أنه رب يحي ويميت وقد توفرت له كل أساليب الشعور بالأمان على قوله ودليله ، يباغته النبي الداعية الغيور على دين ربه، ويفاجئه بما لاقبل له به، بنقله من مجرد التحكم في اثنين إلى هذا الملكوت الكبير، إلى عالم المشرق والمغرب :«فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب»

أسلوب المفاجأة المبتهة التي لم يلق لها نمروذ بالا فصعقته.

وقلما يتوفر هذا النمط من الاستدلال لأحد، وهو الخروج من حصار دليل الخصم وترك المجال الذي يريد أن تبقى المناظرة فيه تدور. فأسلوب المفاجأة هذا كسر كل أسوار نمروذ.

إن دليل الإحياء والإماتة وجد فيه نمروذ متنفسا ووقتا واسعا لأن يموه ويجادل فمن أين له الآن بحيلة أخرى للحديث؟

والدليل الثاني أكبر من كل منافذ الإدراك عند نمروذ، فلما استوعب صعقه وأذهله فبهت وتهاوى اقرارا بعظمة هذا الإله الذي يأتي بالشمس من المشرق، وقد رأى كيف نجى نبيه من النار.

فإبراهيم يرخي له الحبل ليبين هداه أوضلاله وهو يوقن أن نمروذ ضال منذ قال ﴿ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾ ولكن وقوفا عند الآية ﴿ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ –سبأ24 -

ففي هذه المناظرة اتساع، كل من طرفيها أمهل الآخر وسمع منه دون مصادرة أو غصب، إبراهيم داعية إلى الله يملك من الحجة واليقين والثقة ما يخول له أن يجادل هذا الذي يملك الأرض ويدعي أنه رب، ،ونمروذ يمهل إبراهيم لأنه منه يستمد قوة الربوبية من خلال رب إبراهيم الذي نجاه من النار. هذا هو منطق نمروذ في إمهال إبراهيم عليه السلام.

وكان الأدب الرباني هو المهيمن على النبي الداعية ﴿ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾– سبأ24 –

«ولما كان موضوع المناظرة الذي وردت فيه هذه الآية في صدد توحيد الخالق أو الإشراك به وهما أمران على طرفي نقيض، لالقاء بينهما بحال من الأحوال. وهما يدوران حول أصل عظيم من أصول العقيدة الدينية، كان من الأمور البدهية أن الهداية في أحدهما إذ هو الحق، وأن الضلال المبين في الآخر إذ هو الباطل، ومن أجل ذلك كانت عبارة إعلان التخلي عن التعصب لأمر سابق تتضمن الاعتراف بهذه الحقيقة» (41) وقد تخلى إبراهيم عن التعصب لرأيه.

«ومن الآداب التي يجب التقيد بها ألا يكون في الدعوى أو في الدليل الذي يقدمه المناظر تعارض، أي ألا يكون بعض كلامه ينقض بعضه الآخر فإذا كان كذلك كان كلامه ساقطا بداهة»(42) ودليل نمروذ مغلوط مموه فهو ساقط بداهة، وعلى الرغم من ذلك لم يطعن فيه إبراهيم لأن من آداب المناظرة "عدم الطعن في أدلة المناظر إلا ضمن الأحوال المنطقية أو القواعد المسلم بها لدى الفريقين المتناظرين" (43)

إن أشد الدليل على نمروذ بأن بهت تقبل صريح لنتيجة المناظرة واعتراف علني أن الله هو الرب، وما نمروذ إلا مخلوق ضعيف يكون سبب مماته (بعوض وهي أضعف خلق الله)

2-1-2 وسائل المناظرة

إن المناظرة نظام قائم بذاته، له أركان يقوم عليها، وإن انخرم ركن سقط البناء، وله مراحل لابد من استيفائها، وله وسائله ، فللمناظرة وسيلتان اثنتان هما الحوار والجدل وقد سبق الحديث عن هذا.

---

(41) الميداني، ضوابط المعرفة، ص364

(42) المرجع نفسه، ص369.

(43) المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

1-2 الحـــوار:

لقد كان إبراهيم عليه السلام في هذه المناظرة محاورا عندما سئل عن ربه ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ في هدوء ويقين.

إن الحوار هو أسلوب الأنبياء في رسائلهم الإلهية إلى الإنسان... ولقد جاءوا ليعلموا الإنسان طبيعة الكلمة التي تأخذ وتعطي ليتعلم كيف يعالج أموره من خلالها، لأنها تمثل النافذة التي يطل منها الإنسان على مافي داخل الآخرين عندما تجد صداها الإيجابي في كلماتهم الهادئة أو الصاخبة وقد كانت الفكرة أن يتعلم كيف يتطلع إلى النور الآتي من الله، وتحرك الإنسان في الاتجاه السلبي للرسالة فأنكرها وحاربها وتمرد عليها وكفر بها، وهاجم الأنبياء حتى الموت، وصبر الأنبياء من موقع الوعي الرسالي لطبيعة المرحلة وشعروا أنهم نجحوا في افساح المجال لهذا الإنسان أن يشك ويناقش ويعيش الحيرة والقلق في داخله، وبدأ الإنسان يحاور الأنبياء حوارا عنيفا يبرر تمرده... ووقف الأنبياء أمامه يحاورونه حوارا يخفف من تمرده (44) وتمرد نمروذ وجادل وقال ﴿أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾ ، إن مهمة رسل الله أن يبلغوا للناس الدين الصحيح فينتزعوهم من الضلال والجهل إلى المعرفة الصحيحة لله أولا، ثم يبنوا لهم الأسلوب الأمثل لتطبيق شريعة الله. إن دعوة الرسل تستلزم الحوار الدائم والمتواصل بينه وبين المرسل إليهم، وهو يريد أن يقنعهم بدعوته وهم يجادلونه للتمسك بتقاليدهم (45) فكان إبراهيم في المناظرة محاورا وكان نمروذ مجادلا.

إن الفنون الأدبية في معظمها تقوم على الحوار: "لأنه محرك للأحداث ومصور للشخصيات، ومبلغ إلى الصراع ومؤد الى الهدف ومظهر للمغزى (46).

والمناظرة في حقيقتها ليست صراع الحجج المنطقية فقط وإن كانت كذلك في أغلب مناظرات الفلاسفة،ولكنها في القرآن الكريم عمل أدبي رفيع المستوى يستقي منه

---

(44) حسين فضل الله، الحوار في القرآن من المقدمة.

(45) عبد الحليم حفني . أسلوب المحاورة من المقدمة.

(46) بكري شيخ أمين، التعبير الفني. دار الشروق، القاهرة، ط4 ، 1400 هـ/ 1980م ، ص223.

الفنان ليبني فنه وليحكم قوله ، وإن كان "الحوار في كل أحواله يمثل موقف المحاور ورأيه وحجته، وفوق ذلك فإنه يمثل شخصيته ومقدار عقله وتفكيره ، فأما شخصيته فتبدو من خلال طريقته في المحاورة ومدى حرصه على بلوغ هدفه ومدى مقدرته على محاصرة منافسه أو خصمه. وأما عقله وتفكيره فيبدو من خلال حجته التي يسوقها ومن خلال ترتيب أفكاره ،وتسلسل المقدمات والنتائج في حديثه .(47).

وفي المناظرة كان لإبراهيم عليه السلام قولان اثنان:

﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ ، ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ ﴾ – البقرة 285–

إن إبراهيم عليه السلام قد آتاه الله علما وحكمة وقوة حجة، يلمس ذلك من خلال حواره كله في القرآن الكريم مع أبيه ومع قومه ومع نمروذ.

إن الجانب الأول من حوار إبراهيم عليه السلام جاء هادفا متساوقا مع مهمة النبي، أن يعلم الناس ويهديهم بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن قال ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ ، قالها مختارا ولكن لم يكن محاوره في مستواه فقد كان جبارا عنيدا ، كان يريد أن يهزم رسالته من خلال كلماته ومواقفه..... ويصبر النبي ليعلم كيف يكون الصبر في موقع الصراع.... الصبر على النوازع الذاتية، وعلى التحديات المضادة، وعلى الوقوف مع الحقيقة بقوة، وعلى روحية الحوار التي توحي له بالانفتاح الرحب على كل مافي الحياة من قضايا، كانت تلك هي الدروس الأولى التي تعلمها الإنسان في الحوار من خلال الأنبياء....

ويبقى الحوار في الحياة حوارا يهدر، وينبوعا يتفجر وحركة تحرك الفكر والعاطفة والوجدان، ومنهجا للسير بالحياة إلى أهدافها الكبيرة (48)

---

(47) عبد الحليم حنفي ، أساليب المحاورة، ص16.

(48) حسين فضل الله ، الحوار في القرآن، المقدمة.

فالجزء الأول من الحوار كان فيه النبي مختارا أما الجزء الثاني فقد استدعته ضرورة الواجب المضيق لتضييق الخناق على هذا الذي تأله. ووقف إبراهيم موقفا حاسما قويا ووجهه إلى تحد صارخ يناسب هذا المتحجر الساذج، لأن الحياة والموت فيهما سرية لايعلمها إلا الله كيف يهب الحياة ويسلبها، فلا أحد يرى الحياة كيف تنفخ في الجسد، ولا أحد يعلم كيف تغادر هذه الحياة الجسد، فاستدعى الموقف واضطره الى دليل تجتمع فيه صفات وخصائص تناسب هذا المتكبر الجبار الساذج، فوجهه إلى الشمس، وهي من خلق الله، ولكنها مرئية للعيان، مشرقها لايختلف فيه اثنان فأت بها من المغرب يانمروذ.

لقد بعث الانبياء ليهدوا الناس، كما بعثوا لينصروا التوحيد ويضعوا كل جبار عنيد موضعه فإن قال الله لموسى وأخيه ﴿ اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾- طه 43. 44 - فقد قال إبراهيم لنمروذ قولا لينا وهو يحاوره فلما أيقن أنه عدو لله دحضه بدليل لايقدر عليه، ولاننسى أن إبراهيم قد تبرأ من والده لما جحد وأنكر ومات على ذلك، فكيف بهذا الذي قال ﴿أنا أحي وأميت﴾ ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴾- التوبة -114.

تبقى الإشارة إلى طبيعة هذا الحوار، فالمستمع لهذه الآية القرآنية التي هي نص المناظرة يشعر أنه واحد من حاضريها وشاهديها، وأن الأشخاص واقفون أمامه، كل يؤدي دوره "فالحوار بمجمله، وعلى مختلف ضروبه في القرآن لايوضع على ألسنة الشخصيات، وإنما ينطلق منها انطلاقا طبيعيا أو تلقائيا دون أن يحس القارئ بشيء من آثار الصنعة أو التكلف. أما أسلوب الحوار فهو أسلوب القرآن ذاته، إذ لايهبط في ناحية ويسمو في أخرى تبعا لاختلاف الظروف والشخصيات ومستوى الأداء عند الكتاب من البشر العاديين "(49).

---

(49) بكري شيخ أمين، التعبير الفني في القرآن الكريم، ص233.

إنه الأسلوب والمنهج النبوي في التربية والتعليم وطرق الحوار.

إنه الأسلوب الرباني الذي يسري أثره فينا لنعيد بناء منهج حياتنا ونصحح مسارها وفق الأسلوب القرآني في التوجيه، فالقرآن يزخر بالأدب النبوي و بالرجال الذين هيأهم الله لحمل الوحي فكانوا خير خلق الله للدع نوازع الأنانية والذاتية فينا ولنتغاض عن كل ذلك، ونصبر نصرةللحق اقتداء برسل الله عليهم السلام.

2.2- الجـــــدل:

الجدل ثاني وسائل المناظرة، وهو "المشادة الكلامية التي تهدف إلى تحقيق الغلبة لما اعتنق من مذهب، ولما اتخذ من رأي، وإلحاق الهزيمة بالمخالف» (50)

والجدل في القرآن الكريم منسوب إلى الكفار، ﴿ مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ - غافر 4-.

إن الجدل بالباطل يعمد إلى تغطية الحق وطمسه ﴿ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ ﴾ -الكهف 56-.

وإذا وضعنا في تصورنا المعنى اللغوي العام لما تقتضيه كلمة (الكفر) من أنها تعني تغطية الشيء وستره وحجبه عن الأنظار، والمعنى الشرعي الخاص من أنها تعني "إنكار الوحدانية، وتكذيب النبوة، و رفض الشريعة، مع وجود الأدلة القاطعة وتوفر الآيات الواضحة، أدركنا أن هذه النسبة تومئ إلى أنه جدال، كان القصد منه تغطية الحقيقة وتغييبها" (51)

لقد كان نمروذ بقوله ﴿ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ ﴾ مجادلا، داحضا للحق ، منكرا للوحدانية مكذبا للنبوة، مع وجود الأدلة القاطعة، وهي التي رآها بأم عينه، خروج إبراهيم عليه السلام من النار سالما.

---

(50) محمد التومي ،الجدل في القرآن الكريم، شركة الشهاب، الجزائر، ص14.

(51) المرجع نفسه ص15.

إن الجدال يعطي منحى آخر للمناظرة لأنه يكشف عن شخصية المجادل، فالمجادل عادة، لاحجة عنده ﴿ الَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِي ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ ﴾ -غافر35-

وإذا كان الجدال غير مدعم بسلطان من نقل وغير مؤيد بدليل من عقل فعلى أي شيء يعتمد؟

في مناظرة إبراهيم يكون نمروذ مجادلا لسببين اثنين، هما:

1- الكبر: إن المتكبر يتناسى مافيه من ضعف ويدفعه تجبره إلى أن يعتقد أنه بما حاز من امكانات، وبما نال من مهيئات يمكن أن يقول للشيء كن فيكون،ويمكنه أن يعلن صراحة دون تردد أنا أحيي وأميت.

ويبدي أن هذا الإحساس بالغبطة المفرطة لايرضى بالتنازل عما اتخذه من مواقف(52) ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِي ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ ﴾ -غافر 56-

2- المكانة الاجتماعية: من الثابت أن المرء حريص على ما تميزه به البيئة الإجتماعية من مكاسب، واستفادات كالحفاظ على المركز الاجتماعي والتشبث بأدبيات النفوذ والانتساب إلى الطبقة ذات الجاه والسلطان.

وهذه الاعتبارات بحكم اندراجها ضمن الخصوصيات التي تتعارض عادة والحق المطلق، وتتنافى والعقلية المجردة، فنمروذ الذي تعود أن يتصرف تصرف الآلهة وقد مكنته بيئته من ذلك بحكم كونها رضيت بالعبودية، واستساغت الذل و الهوان (53) ونسيت أو تناست أنها بقبولها للهوان وسكوتها عنه تزيد لهيب السياط على ظهرها.

---

(52)- المرجع نفسه، ص18.

(53) المرجع نفسه ، ص23

فهذه الألوهية التي تعودها نمروذ جعلته يرفض كل كلام أو نظام أو قانون يفسد عليه نظامه وقانونه مهما كان، حتى وإن كان حقا فلن يتقبله، وهو يعلم أنه حق لأنه سيفسد له الهيكل الذي بناه في مجتمعه الذي هو إلهه فدخول كلمة (أن رب إبراهيم يحي ويميت) في النظام الذي رسمه نمروذ، هذا سيخرق ما تعوده الناس ومابناه نمروذ، وقد هيأ لذلك خدما وحشما ومالا ووقتا لكي يصير هو من يحيي ويميت، وتصبح هذه هي عقيدة شعبه، فيجادل مع هذا الحق ويموه الحقيقة أمام جماهيره الغافلة المستذلة التي غيب الإذلال عقولها، فأضحت بطونا خاوية يكفيها أن تملأ بأي ثمن.

فيقول مجادلا ﴿ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ ﴾ وبهذا الجدل يتأهب إبراهيم عليه السلام لأن يناظر بأسلوب غير الذي اتبعه في المرة الأولى، سيغير لهجة الخطاب وطريقة الحديث ودليل الألوهية ليقول كلاما يتناسب مع هذا الجدل الذي كشف له عن نفسية وشخصية واهية، وقدرة عقلية لهذا الذي يناظره ضعيفة فيقولها قوية لا تقاوم ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ ﴾ يقول الله جل وعلا: ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾ -الأنبياء 18-

فيأتي الحق من إبراهيم ليكون المآل إفحاما لنمروذ ﴿ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ .

وإن لإبراهيم عليه السلام في الدعوة إلى التوحيد طريقه تختلف عن باقي الرسل، ولكن تبقى الدعوة هي عبادة الله وحده، إنه لم يكتف بمناظرتهم بالقول فقط، ولكنه فتح مجالات أخرى، حيث وجه قومه إلى الكون لينظروا إلى هذه الكواكب التي يعبدون، هل حقا تصلح أن تكون الهة تعبد ؟! ... وكسر أصنامهم وسخر منها لعل ذلك يحدث في قومه صحوة، لكنه مع أبيه اتخذ في دعوته منهج اللطف واللين؛ فرق له ودعاه، وفي دعوته البنوة المطيعة الخاضعة تغمره عاطفة حب جياشة إلى أبيه خوفا عليه من عذاب الله، واتخذ في دعوته مع الملك نمروذ منهجا آخر؛ منهج التحدي والمواجهة والإفحام.

1-مع قومه:

دعوة سيدنا إبراهيم فيها تنوع، و علم راسخ ويقين، مع قوة وشدة ولين ولطف، فيها محاربة ومواجهة للآلهة التي يعبدون، وقد أيده الله بمعجزات باهرات، "ومناظرة إبراهيم عليه السلام لقومه تعطينا صورة حية للمواقف المثالية في الدعوة، والمناهج الرائعة في الأساليب الجدلية عندما يدعو لتحرير العقول لتخليصها من ظلام الوثنيات، وعبادة للهياكل، وقد ظهر ابراهيم عليه السلام فوجد قومه يعبدون الكواكب(54) ملة له ثم يحكي القرآن الكريم بهذا الصدد أسلوب إبراهيم عليه السلام في التنزل إلى عقول هؤلاء لاقناعهم ببطلان ألوهيتها، ودعوتهم إلى عبادة الله وحده ببيان أنها تغيب وتتغير، والإله لايغيب ولايتغير قال الله جل وعلا ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَا كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ فَلَمَّا رَأَا الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ فَلَمَّا رَأَا الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ – الأنعام 76-79.

ذكر (الألمعي) في كتابه (مناهج الجدل) : أنه (لئن كان سيدنا إبراهيم عليه السلام في هذا الموقف ناظر فقد توجه بالفطرة السليمة من قبل الرسالة إلى الله الحق، وذلك أكثر لزاما للقوم، وأفحم لهم بالطريق الأولى، لأنهم ينتسبون إلى رجل رفض الكواكب والأصنام بفطرته التي فطره الله عليها قبل أن يكون رسولا ولئن كان مناظرا فقد أفحم قومه، وحدد معالم عقيدته التي جعلها الله في الدنيا لأبناء إبراهيم حنيفا مسلما وما كان من المشركين، فهم ينستبون إلى التوحيد فأية حجة بعد لمن ينتسب إلى هذا الموحد، إما بالنسبة وإما بالنسب، ثم يدعي أن الكواكب أو مايشابهها ملة له أودين» (55)

---

(54) الألمعي: مناهج الجدل في القرآن الكريم، ص 172

(55)- المرجع نفسه ، ص193.

أما الأسلوب الآخر الذي اتبعه النبي إبراهيم في حواره مع قومه عندما قام بتكسير الأصنام، فقد وضعهم أمام الأمر الواقع، وأراهم تفاهة الأصنام، وحقارتها، وأنها لو كانت آلهة لدافعت عن نفسها، وبهذا الفعل فتح المعركة التي تفسح له المجال للدخول في الحوار الذي يصل به الى الهدف الذي يريد الوصول إليه بمواجهتهم بالخطأ الكبير في عقيدتهم أو في سلوكهم، ودفعهم إلى أحد الموقعين، إما موقف الاعتراف بالحقيقة من خلال اكتشاف الخطأ وإما موقف الظهور بمظهر العناد والمكابرة الذي يفقدهم الشعور بالاحترام لدى أنفسهم ولدى الآخرين فيفقدون بذلك كل قوة للتأثير على الآخرين في السير على خطى الضلال والانحراف.

قال جل وعلا: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَٰذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ قَالُوا مَن فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنطِقُونَ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ -الأنبياء51-67.

"إن إبراهيم قد نسب العمل إلى الصنم الكبير، وهو غير صحيح، ولكنه لم يرد أن يطرحه ليقر ويعترف به بل ليسجل من خلاله على عبدة الأصنام الاعتراف بخطأ عقيدتهم من حيث لايشعرون (56).

---

(56)حسين فضل الله ، الحوار في القرآن الكريم، ص62.

لقد حاصرهم سيدنا إبراهيم عليه السلام وأحرجهم، وجعلهم أمام الحقيقة الناصعة، ولن يكون هناك سوى جواب واحد لاغير، فمن هذا الذي يصدق أن الصنم هو الذي كسر الأصنام الأخرى ﴿ ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنطِقُونَ﴾ وهناك يأتي البيان بعدما هيأ الأجواء المناسبة، هيأ النفوس، وهيأ العقول والقلوب ﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾.

ومن عبد إلها عاجزا لاينطق إذا حل به مكروه، ولا يتكلم إذا ناله سوء فهو رجل أحمق، قد سفه نفسه وغيب عقله، وكيف يستحق العبادة إله ليس له من صفه الكلام ماتعلم به أوامره ونواهيه، أم كيف يكون له رسل يبشرون وينذرون ويبلغون دينه، وماسمعنا في الأولين ولا في الآخرين أن صنما أمر بكذا أو نهى أو أرسل رسولا، أو بعث كتابا.

فسيدنا إبراهيم عليه السلام اتخذ في مناظرته مع قومه منهجا تحرك فيه جميع المدارك، النظر، والتفكر، والتدبر، صدع عقولهم بالحقائق الكونية من خلال توجيههم إلى النظر في الكواكب، وأيقظ فيهم حقيقة تفاهة الأصنام بتكسيرها وعجزها.

اتبع الكواكب، ونظر فيها ، فألفاها تغيب والإله لايغيب، فإن غاب فمن يدبر أمر مخلوقاته، فأبعد هذا الاحتمال أن تكون العبودية للكوكب، ثم اتجه إلى الأصنام فأراد أن يعرف الناس حقيقتها، فإن كانت إلها حقا فإنها ستعاقب من يقربها بسوء، لكن سيدنا إبراهيم راغ عليها ضربا، فلم يجد منها حراكا، وبهذا يكون قد أسقط جميع الاحتمالات لألوهية الأصنام، وبهذا تكون قد ظهرت الذهنية العاقلة التي تدرك وتعي حقائق الأمور من جميع العبادات الواهية ﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾. ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾.

إن المقدمات التي قدمها باستقراء، حقائق ماهو معبود من كواكب وأصنام، سيوصله حتما إلى فساد هذه العبادة، وتسمية من يعبد من لايستحق أن يعبد ثم ترسيخ العقيدة الصحيحة السليمة وعبادة من خلق ورزق وأمر أن يعبد.

مع أبيه:

إن أساليب الدعوة لدى الداعي تختلف بحسب مدعويه، وهذا مايلمس ويشاهد مع سيدنا إبراهيم عليه السلام إذ أنه أفرد لأبيه في الدعوة منهجا خاصا أكثر لطفا وأكثر تواضعا، خافضا له جناحه. قال الله جل وعلا ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴾ – مريم -45-41.

بهذا اللطف في الحديث والأداب الجم في الخطاب يتوجه سيدنا إبراهيم إلى أبيه الذي يحاول أن ينقذه من الضلالة ويهديه إلى الخير الذي هدي إليه وعلمه الله اياه، وبألفاظ المحبة والنداء الرضي «يأبت» في حنان الابن البار ﴿ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴾ ، فالأصل في عباده الإنسان أن يوجه بها إلى من هو أعلى وأقوى وأعظم من الإنسان فكيف تتوجه بالعبادة الى صنم أصم أبكم قعيد لاينفع ولايضر فهو في مرتبة ادنى من الحيوان ثم يعزز هذه الدعوة المؤدبة بأنه لايقول هذا من عنده إنما هو العلم الذي جاءه من عند الله، وهو إن كان ابنا فإن المدد الإلهي وهبه من الفقه والعون ماجعله يفقه ويعرف الحق، فهو ينصح من هو أقرب إليه، ولاغضاضة في أن ينصح الولد والده مادام قد جاءه من العلم مالم يأتي أباه.

وبهذا كشف سيدنا ابراهيم لأبيه عن حالتين:

الأولى: تفاهة الأصنام وحقارتها عقليا وواقعيا

الثاني: المصدر الذي يتلقى منه الدعوة ويعتمد عليه في التبليغ فينتقل إلى الغاية من الدعوة.

ولكن الأب واجه هذه البنوة الحانية وهذا اللطف بالاستكبار والتهديد ﴿ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴾ ، جهالة قاسية مقابل أدب جم ، ولكن الداعية لم يغضب ولم يرد أن يفقد بره مع أبيه «رد عليه ﴿سَلَامٌ عَلَيْكَ﴾ فلا مراء ولاجدال، ولا أذى ولا

رد على التهديد ولكن إبراهيم سيتوجه إلى ربه بالدعاء لعله يهديه.

وبذلك تتحدد خطوات الداعية في التعامل مع الناس دائما.

- أن يقدم الدعوة بقلب صادق واثق ، وأسلوب رفيع مهذب.
- أن لايجابه التحديات بعنف أو بمثيل لها.
- أن يتخذ موقفا ذاتيا حازما على طريقته التي يدعو الناس إليها

ولقد تبرأ سيدنا إبراهيم من أبيه ومن قومه﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ -الأنعام 74- هكذا يقول لأبيه من وصفه ربه بالأواه الحليم المنيب، إنه سمح لين رضي الخلق، ولكن الأمر هنا أمر حزم وتمييز بين الحق والباطل، فهي العقيدة التي تعلو وتسمو فوق روابط الأبوة والبنوة، وفوق مشاعر السماحة واللين والحلم، وإبراهيم قد أراده الله أن يكون قدوة لمن تبعه، إماما لهم فأعلنها ﴿ إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ -الانعام 74-.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

3 - 2 - دراسة النموذج الثاني:

مناظرة موسى عليه السلام لفرعون

تمهيد

إن أول من خلقه الله من البشركان نبيا فنزل من السماء إلى الأرض موصولا بالله إعلانا من الله أن الذي أنزله سيعيده إليه يوما ما ،وجاءت الأجيال تترى، جيلا يدفع جيلا والأنبياء يبعثون، ينعشون ذلك التواصل لئلا ينقطع، ويبقى البشر على الدوام يعبدون إلها واحدا، هو الخالق وهو المحيي والمميت وهو الذي يبعث من في القبور، لتقف الخلائق كل الخلائق أمامه ليس لأحد إلا ماعمل في دنياه.

وقد ركب في البشر ما يشدهم إلى الأرض كما جعل فيهم مايرفعهم إلى علويات السماء .ومتى تقادم العهد عليهم، ووكلوا إلى أنفسهم و غابت عنهم هدايات السماء وجدتهم يخوضون في الحياة مغربين ومشرقين تسوقهم الأهواء والشهوات، ويبقى ذلك الحنين الفطري إلى قوة عظيمة «فالنفس الإنسانية تنطوي على توق فطري إلى كائن عظيم تنسب إليه صفات الكمال وتنشد عنده الحماية والأمن والطمأنينة ،وهذا شعور يجده كل إنسان في نفسه في لحظات الضعف والفزع وعند مشارف الهلاك مهما شط به الغرور في أوقات السعة وزمن الهدوء (57)

وقد ضاعت أمانة الدين، مادام في النفوس شر وأهواء متغلبة، فأمانة الدين من آدم الى نوح إلى إبراهيم وإسماعيل إلى موسى إلى عيسى قد ضاعت، وتشوشت الفكرة واختلطت الحقيقة بخلافات البشر وتغيرت على حسب أهوائهم، فضاع الناس، وقد تفننوا في اتخاذ معبودهم ."إن البشرية تبدأ طريقها مهتدية مؤمنة موحدة ثم تنحرف إلى جاهلية ضالة بفعل العوامل المتشابكة المعقدة في تركيب الإنسان ذاته، وفي العوالم والعناصر التي يتعامل معها،وهنا يأتيها رسول بذات الحقيقة التي كانت عليها

---

(57)- عبد المجيد النجار خلافة الانسان بين الوحي والعقل بحث في جدلية النص والواقع شركة الطباعة والنشر، حلق الوادي، تونس ص23.

قبل أن تضل وتشرك فيهلك من يهلك،ويحيا من يحيا،والذين يحيونهم الذين ابوا إلى الحقيقة الإيمانية الواحدة ؛ هم الذين سمعوا قول رسولهم :﴿ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ ﴾ (58) . فالتوحيد هو أول دعوة الرسل وأول منازل الطريق وأول مقام يقوم فيه السالك إلى الله سبحانه وتعالى ، قال تعالى :﴿ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ ﴾ - الأعراف 59 وقال﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ -النحل36 فما قاله نوح عليه السلام لقومه قاله كل الأنبياء لأقوامهم ﴿ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥ ﴾ هود 84-61-50

فهي حقيقة واحدة يقوم عليها دين الله كله، ويتعاقب بها الرسل جميعا على مدار التاريخ ،فكل رسول يجيء إنما يقول هذه الكلمة لقومه الذين اجتالهم الشيطان عنها فنسوا حظا مما ذكروا به، وضلوا وأشركوا مع الله آلهة أخرى على اختلاف هذه الآلهة في الجاهليات المختلفة ،وعلى أساسها تدور المعركة بين الحق والباطل ،وعلى أساسها يأخذ الله المكذبين بها وينجي المؤمنين .والسياق القرآني يوحد الألفاظ التي عبر بها جميع الرسل صلوات الله عليهم مع اختلاف لغاتهم :يوحد حكاية ماقالوه ويوحد ترجمته في نص واحد﴿ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ ﴾ وذلك لتحقيق معنى وحدة العقيدة السماوية ولأن عرضها في السياق بذاتها يصور وحدة العقيدة تصويرا حسيا (59) فقد جاءت الرسل بالتوحيد الخالص تدعو لتوحيد الله دون الحديث عن وجوده لأنه لاينكر وجود الله إلا مكابر أو معاند كنمرود وفرعون .ولذا جاء في كثير من الآيات القرآنية مايدل على أنه لا أحد ينكر وجود الله قال تعالى :﴿ قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ يونس31 وقال ﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَهُمۡ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ الزخرف 87 وقال ﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِ مَوۡتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾. العنكبوت 63

---

(58) سيد قطب في ظلال القرآن ج3 ص1304

(59)- المرجع نفسه . الصفحة نفسها .

إن معرفة العرب بالله الخالق راسخة لديهم ولكنهم يعبدون الأصنام وإذا سئلوا عن عبادتها قالوا: ﴿مَانَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ الزمر 3 .

جاء في تفسير ابن كثير :"كان أول ما عبدت الأصنام أن قوما صالحين ماتوا فبنى قومهم عليهم مساجد وصوروا صورأولئك فيها ليتذكروا حالهم وعبادتهم فيتشبهوا بهم فلما طال الزمان جعلوا أجسادا على تلك الصور فلما تمادى الزمان عبدوا تلك الأصنام وسموها بأسماء أولئك الصالحين، ودا وسواعا ويغوث ويعوق ونسرا" (60)

وإذا كان التوحيد ثلاثة أنواع، توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات، فإن العرب أقرت بتوحيد الربوبية زمن الرسول ﷺ .

أما توحيد الألوهية فهو الذي وقع فيه النزاع في قديم الدهر وحديثه وهو توحيد الله بأفعال العباد كالدعاء والنذر والنحر والرجاء والخوف والتوكل والرغبة والرهبة والإنابة.

والنوع الثالث: توحيد الذات والأسماء (61) والصفات قال تعالى :﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَاكَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ الأعراف 180.

فمدار الحديث والخلاف والدعوات عن توحيد الألوهية :لمن يكون الحكم والأمر والعبادة ألله ؟ أم لأسماء سموها ماأنزل الله بها من سلطان؟ إن الإسلام جاء ليبني عقيدة جديدة ،عقيدة صافية نقية واضحة . وقد جاءت دعوة الإسلام في وسط مشبع بعقائد أخرى : عقائد " أصبحت قداستها في النفوس شيئا يشبه الحقيقة المطلقة التي تصل إلى مستوى البديهيات الوجدانية التي يبادرالوجدان إلى رفض كل ما يخالفها لأول بادرة، معارضة دون مناقشة أو تأمل" (62) لذا قالوا في استغراب وتعجب

---

(60) ابن كثير. تفسير ابن كثير . دار الأندلس بيروت،ج2 ص 182

(61)- ا بن تيمية و أخرون،مجموعة التوحيد ،دار الفكر بيروت ،ص4-3

(62) حسين فضل الله . الحوار في القرآن ، قواعده . اساليبه . معطياته .دار التعارف للمطبوعات ، بيروت ط 5 1987,ص 69

﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا واصبروا على الهتكم إن هذا لشيءٌ يُرَادُ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَٰذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ﴾ إن طبيعة المرحلة تقتضي أن تكسر هذه المفاهيم وهذه العقائد ولقد اتبع القرآن الكريم في إثبات وحدانية الله مسلكين اثنين:

أولهما: هدم الشرك وضرب قواعده وزعزعة نظامه القائم في النفوس والمتغلب على العقول. وفي هذا المجال تتسع المناظرات على المساحة القرآنية.و لعل أصعب شيء في الوجود هو تغيير العقيدةو كيف تفرغ نفوس وعقول مما تشربت به زمنا طويلا، وأصبح في تكوينها العقدي والسلوكي لنقوم عملية أخرى مصاحبة وهي بناء العقيدة الجديدة.

ثانيهما: هو توجيه الإنسان إلى الكون لينظر ويستيقن آيات الله وليجعل من الكون وانتظامه وتنا سقه طريقا سليما وقويا لمعرفة وحدانية الله، وأن الذي خلق هذاالكون ليس اثنين أو ثلاثة ولم يكن صدفة ، بل هو تقدير وتدبير من عزيز عليم.

وقد اتسعت المناظرات القرآنية مع أهل الكتاب: اليهود والنصارى ورفض ادعاءاتهم بأن كلا من العزير والمسيح ابنا الله ذلك قول اليهود والآخر قول النصارى.

وجانب آخر تناولته المناظرات القرآنية وهو عرض دعوة الأنبياء السابقين وما حدث لهم مع أقوامهم وهي أمثلة تطبيقية لمآل الكفر والإيمان كما أنها عرض حقيقي لمكابدة الأنبياء من أجل توصيل دعوة الله وبيان صعوبة ومشقة هذا التوصيل وهذه المهمة وسنتناول في هذا السياق دراسة مناظرة موسى عليه السلام لفرعون من خلال ما ورد في سورة الشعراء بدءا من الآية 19 ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ﴾ إلى ﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾ الشعراء50.

وسنتناول في هذه الدراسة:

1- 1-2 أركان المناظرة

1-4 الطرفان

2-1 موسى عليه السلام

2-2 فرعون

-2-4 الدعوى

1-2-3 الادعاء

2-2-3 المنع

3-2-3 التدليل

4-3 المآل

-4-4 الاداب

2-1-2 وسائل المناظرة

-2-1 الحوار

-2-2 الجدل

2-1-1 أركان المناظرة

1-4 طرفا المناظرة

-2-1 موسى عليه السلام

موسى بن عمران كليم الله، واحد من أولي العزم عليهم السلام، **هيأه** الله من ولادته إلى بعثته إلى لقاء موعود إلى فرعون زمانه.

وقد تحدث القران الكريم عن سيرة موسى عليه السلام، وأسهب في الحديث عنه، فما ترك شاردة ولا واردة إلا قصها من يوم ولادته.

والسؤال المطروح: لماذا تكررت قصة موسى بالذات مع فرعون في القرآن الكريم بهذا الكم الواسع؟

إن نظام حكم فرعون اكتمل واكتملت المؤسسات الحكومية الفرعونية، وقنن

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

لنظرية أولوهيـة فرعون عـبر كل الأصعـدة والمؤسسات، فـموسى عليـه السلام دخل مملكة مكتـملة البناء المؤسـساتي قـامت على نظرية واحـدة، فـهو لن يجـابه فرعـون الشخص، ولكنه سيـجابه حضارة ونظام حكم قائم رصـين البناء متين الأساس. ولذلك نجد أن دعوة موسى عليـه السلام طغى عليها الخوف ، حيث يـرى أنه غير قادر على الوقوف ضد هذه المملكة الفرعونية بمفرده لأن سلطان فرعون وصل الى أبعد مدى، ولذلك طلب مـوسى عليـه السلام المدد من الله جل وعـلا ﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِن لِّسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي هَارُونَ أَخِي اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴾ طه 32-25.

وقد آتـاه الله جل وعلا سـؤله وزاده معـجزتي العـصا واليـد لتكتمل له وسـائل المواجهة، ووسائل النصر ليظهر الحق أمام فرعون وملئه وحاشيته.

والسؤال الآخر: مامدى تكافؤ شخصية موسى عليه السلام مع فرعون؟

2-2 فرعون:

إن فرعون ملك جبار، هيأ الله له من أسباب القوة والسلطان مالم يتهيأ لغيره في زمانه ،وقد طغى وتجبر وادعى الألوهية :فهو يحتل مكانة مادية عالية.

وموسى هيأه الله سـبحانه لردع فرعون عن طغـيانه والعمل على هدايته، فبـعثه رسولا إلى فرعون وهي مكانة عالية ليس فوقها مكانة.

فهناك تكافؤ من ناحية المهمة الرسالية لموسى عليه السلام فدعوة موسى موجهة بالدرجة الأولى الى فرعون ومواجهة موسى لفرعون أمر إلهي.

وفـرعون لقب لكل ملك فـي مصـر ولكنه في القـرآن الكريم يراد به ملك مصـر المعاصر لموسى عليه السلام.

وماتحـدث القرآن عن طاغـية أو مدع للألوهية مـثلما تحـدث عن فرعون حتى أصبح رمز كل ظلم وتكبر وعناد فقد تهـيأ له من أسباب الملك والقوة والمـدنية أقصى مايتاح لملك ،فقد بلغ من التفرد بالملك والسلطان مايدل عليه قوله ﴿ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ

﴿وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي﴾-الزخرف 51- وبلغ من أسباب المدنية ومايترتب عليها من الصناعة ووسائل الحضارة مايدل عليه مثل قوله ﴿يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾ غافر 37-36. فكونه يطلب هذا معناه أنه يستطيع أن يبني صرحا إذا لم يبلغ السموات فعلى الأقل يناطح سحابها.

"إنه لم يكن من الفراعنة فرعون أعتى منه على الله، ولا أعظم قولا، ولا أطول عمرا في ملكه منه، ولم يكن من الفراعنة فرعون أشد غلظة، ولا أقسى قلبا ولا أسوأ ملكة لبني اسرائيل منه يعذبهم فيجعلهم خدما وخولا وصنفهم في أعماله فصنف يبنون، وصنف يحرثون، وصنف يزرعون له، فهم في أعماله ومن لم يكن منهم في صنعة له من عمله فعليه الجزية، فسامهم سوء العذاب، وفيهم مع ذلك بقايا من أمر دينهم لايريدون فراقه" (63)

ومابين قصتي فرعون ونمرود تشابه كبير، فكلاهما ادعى الربوبية، وكلاهما بشره منجموه أن أوانه قد آن، فإنه "لما قارب زمان موسى أتى منجمو فرعون إليه فقالوا: تعلم أنا نجد في علمنا أن مولودا من بني اسرائيل قد أظلك زمانه الذي يولد فيه يسلبك ملكك ويغلبك على سلطانك، ويخرجك من أرضك، ويبدل دينك، فلما قالوا له ذلك أمر بقتل كل مولود يولد من بني اسرائيل من الغلمان وأمر بالنساء يستحيين فجمع القوابل من نساء أهل مملكته فقال لهن: لايسقطن على أيدكن غلام من بني اسرائيل إلا قتلتموه فكن يفعلن ذلك، وكان يذبح من فوق ذلك من الغلمان، ويأمر بالحبالى فيعذبن حتى يطرحن ما في بطونهن" (64)

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ القصص 4.

---

(63)- الطبري، أبو جعفر بن جرير، تاريخ الرسل والملك، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، دار المعارف، مصر 1960 ج1 ص387.

(64)- المصدر نفسه، والصفحة نفسها

وظل يذبح الأبناء «حتى أسرف في ذلك، وكاد يفنيهم. فقيل له: أفنيت الناس وقطعت النسل، وانهم خولك وعمالك. فأمر أن يقتل الغلمان عام، ويستحيوا عاما، فولد هارون في السنة التي يستحيا فيها الغلمان وولد موسى في السنة التي يقتلون فيها فكان هارون أكبر منه بسنة» (65)

وقد استنتكح من بين إسرائيل آسيا بنت مزاحم من خيار (66) النساء المعدودات، فهي التي قالت لفرعون لما وجدت موسى ﴿ قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا ﴾ القصص 9 . وكانت في عداد أول من آمن بموسى ومن أسعده انتصاره على السحرة في المناظرة الخالدة.

4-2 الدعوى:

هذه مناظرة بين نبي الله موسى والطاغية فرعون الذي تكبر وتجبر وادعى الالوهية ﴿ فَحَشَرَ فَنَادَى فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴾ النازعات 25-24 .ويأتيه موسى عليه السلام بدعوة تخالف دعواه بل تهدمها داعيا إياه إلى عبادة رب العالمين.

نحاول دارسة دعوى هذه المناظرة ادعاء ومنعا وتدليلا

3-2-1 الادعاء يبين موسى ماجاء من أجله بعد أن اختصر النص القرآني مراحل كثيرة من البعثة الى الوصول الى فرعون ﴿ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ الشعراء 17-16

وفرعون لايلتفت اطلاقا إلى هذا الكلام فكأنه هو الذي له حق اختيار موضوع الحديث، ولموسى ذنب اقترفه، وقد خرج هاربا من مصر كافرا بنعمة فرعون على حد رأي فرعون﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ الشعراء 19-18 ، فهناك قضية ملحة بالنسبة إلى فرعون

---

(65)- المصدر نفسه ص388

(66)- المصدر نفسه ص/387.

فهو في غنى عن أن يسمع لموسى أي حديث حتى يجيبه عن الفعلة الشنيعة التي قام بها موسى تجاه احسان فرعون له وموسى عليه السلام لايتجاهل الأمر بل يجيبه الجواب المفحم:﴿ قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾الشعراء 22-20

إنه القول البليغ المفحم ، ففرعون لم يجد الاستكانة والخضوع وتقديم الاعذار ورجاء العفو وإنما وجد كلاما لرجل لايشعر أنه عبد إلا لله جل وعلا، فهي لهجة أخرى لم يتعود فرعون سماعها، فالفعلة التي فعلها موسى عليه السلام فعلها وهو بعد ضال ،فخرج خائفا من بطش فرعون وجنوده بعد تآمرهم على قتله ،أما تربيته في بيته فكانت نتيجة لاضطهاد فرعون لبني اسرائيل ولولا ذلك لكانت أم موسى في غنى على وضع رضعيها في اليم ليقع في يد فرعون.

وعاد فرعون يسأل عن دعوة موسى قائلا ﴿ومارَبّ العلمين﴾ الشعراء 23.

إنه يسأل أي شيء يكون رب العلمين الذي تقول إنك من عنده رسول؟ وهو سؤال المنكر للقول من أساسه المتهكم على القول والقائل المستغرب للمسألة كلها حتى ليراها غير ممكنة التصور، غير قابلة لأن تكون موضوع حديث.

﴿ قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴾ الشعراء 24 .يقول الرازي:"واعلم أن السؤال: (بما) طلب لتعريف حقيقة الشيء، وتعريف حقيقة الشئ إما أن يكون بنفس تلك الحقيقة، أوبشيء من أجزائها ، أو بأمرٍ خارج عنها، أوبما يتركب من الداخل والخارج وأما تعريفها بنفسها فمحال لأن المعرف معلوم قبل المعرف فلو عرف الشيء بنفسه لزم أن يكون معلوما قبل أن يكون معلوما وهو محال ،أما تعريفها بالأمور الداخلة فيها فههنا في حق واجب الوجود محال لأن التعريف بالأمور الداخلية لايمكن إلا اذا كان المعرف مركبا وواجب الوجود يستحيل أن يكون مركبا لأن كل مركب يحتاج إلى كل واحد من أجزائه، كل واحد من أجزائه محتاج إلى غيره، فكل مركب محتاج إلى غيره، وكل ماالحتاج الى غيره فهو ممكن لذاته، وكل مركب فهو ممكن، فما ليس بممكن يستحيل أن يكون مركبا فواجب الوجود ليس بمركب، وإذا لم يكن مركبا

استحال تعريفه بأجزائه ،ولما بطل هذان القسمان ثبت أنه لايمكن تعريف ماهية واجب الوجود إلا بلوازمه وآثاره ،ثم إن اللوازم قد تكون خفية ،وقد تكون جلية ،ولايجوز تعريف الماهية باللوازم الخفية بل لابد من تعريفها باللوازم الجلية ،وأظهر اثار ذات واجب الوجود هو هذا العالم المحسوس ،وهو السموات والأرض ومابينهما ،فقد ثبت أنه لاجواب البتة لقول فرعون ومارب العالمين إلا ماقاله موسى عليه السلام" (67)

موسى عليه السلام يشرح ويوضح ادعاءه من خلال ماخلق الله رب العلمين فموسى لم يجعل لفرعون أية فرصة ليوهم الناس انه ربهم وهو يعلم أن ملكه وسلطانه عريضان في مصر، فموسى قد اغلق كل الأبواب أمام فرعون بجوابه ذاك، فهل يملك فرعون أن يقول: أنا ربهما، إنه لايستطيع إنه ادعى ربوبية الناس «فقال أنا ربكم الأعلى» النازعات 25 ولم يجرؤ على قول، أنارب السماوات والأض ومابينهما.

ويضيف موسى عليه السلام ﴿إِن كُنتُمْ مُّوقِنِينَ﴾ الشعراء 24 وهي دعوة منه قوية لفرعون ومن حوله لتشغيل عقولهم ليعلموا الحق أن فرعون ليس ربا ولن يكون كذلك. اسألوا أنفسكم: من رب السماوات والأرض ومابينهما؟ إنه الله .لافرعون.

ويبقى موسى يبين عظم سلطان الله وملكه ﴿قَالَ رَبُّكُم وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ الشعراء 26 ، ﴿قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ الشعراء 28.

يذكر الرازي أن موسى "وكأنه عدل عن التعريف بخالقيه السماء والارض إلى التعريف بكونه تعالى خالقا لنا ولآبائنا وذلك لأنه لا يمتنع أن يعتقد أحد أن السماوات والأرضين واجبة لذواتها فهي غنية عن الخالق والمؤثر ،ولكن لايمكن أن يعتقد العاقل في نفسه وأبيه وأجداده كونهم واجبين لذواتهم بما أن المشاهدة دلت على أنهم وجدوا بعد العدم، ثم عدموا بعد الوجود وما كان كذلك استحال أن يكون واجبا لذاته، ومالم يكن واجبا لذاته استحال وجوده إلا لمؤثر فكان التعريف بهذا الأثر أظهر، فلهذا عدل موسى عليه السلام من الكلام الأول اليه(68).

---

(67)- الرازي . التفسير الكبير، ج24، ص128.

(68)- المصدر نفسه . ج24، ص129

ومـوسـى عليه السـلام ينتقـل في اثار الخالق من أثر الى أثر ،قـال ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ "فعدل إلـى طريق ثالث أوضح من الثاني. وذلك لأنه أراد بالمشرق طلوع الشـمس وظهور النهار، وأراد بالمغرب غـروب الشمس وزوال النهار، والأمر ظاهـر في أن هذا التدبير المستمـر على الوجه العجيب لايتـم إلا بتدبير مدبر، وهـذا بعينه طريقـة ابراهيم عليه السـلام مع نمروذ، فإنه اسـتدل أولا بالإحـياء والإماتة، وهو الذي ذكـره موسى عليـه السلام (69) هـهنا بقـوله ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ فأجـابه نمروذ بقوله ﴿أَنَا أُحْيِۦ وَأُمِيتُ﴾ فقال ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ ﴾ وهو الذي ذكره مـوسى عليه السـلام هنا بقوله ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَابَيْنَهُمَا﴾.

وما كان من فرعون تجاه هذا الكلام إلا التهكم والـسخرية لتغطية اندهاشه لهذه الدعـوة القـوية الـتي جـاء بهـا مـوسى عليـه السـلام ،فـهـو لمـا يقـول لمن حـوله ﴿أَلَا تَسْتَمِعُونَ﴾ الشعراء 25 ثم يقول :﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِيٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ الشعراء 27- فقـد أحس بالضعف، وقلت أمـامه الحيـلة أمام هذا الرب العظيم الذي يدعـو إليه موسى عليه السلام.

﴿قال لئن اتخذت إلها غيري لأجعلنك من المسجونين﴾ الشعراء 29.

فرعون يفصح بكـل جرأة أنه الإله ولاينبغي لموسى أن يتخذ إلها غـيره فالصراع بين موسى وفرعون صراع الوهية، أهي لله أم لفرعون؟!

3-2-2. المنـــــــع

اعتـرض فرعون على دعوى مـوسى عليه السلام بادعـاء مثله، بأنه الإله، ولا إله سواه، ﴿قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ الشعراء29-

---

(69)-المصدر نفسه،ج24،ص130.

سنوات عديدة والفراعنة تعبد، وقد ورث فرعون الالوهية أبا عن جد، ورسخ له كل من حوله هذا اليقين بعبادتهم له ثم يأتي موسى ليقول ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ الشعراء126.

إن الهيكلة العامة لبناء المجتمع الفرعوني تقتضي التصديق والإيمان بألوهية فرعون. فهذه قاعدة بنى عليها فرعون حكمه، وإذا حدث وأن دخلت البناء فكرة كهذه، بأن هنا ك الإله الحق الذي خلق فرعون.وشعب فرعون وكل ما حول فرعون ، فهذه الفكرة الجديدة يرفضها فرعون، ويحاربها لأنها ستهدم البناء والسلطان وهكذا حال الطغاة في كل زمان ومكان يرفضون الدعوات لأنهم يعتبرونها تغييرا في نظام البنية الفوقية لهم.

﴿قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ﴾ يريد أن يتوقف حواره مع موسى هنا بأن يتخذه الهه ، وإن لم يفعل فسينتهي أمره إلى السجن، ولكن موسى عليه السلام يفاجئه بشيء آخر ﴿قال أولوجئتك بشيء مبين﴾ الشعراء30-.

3-2-3 التدليل:

مدارك الإنسان ضيقة عن معرفة الحق إن أغلق منافذها عن النور وطمس بصيرته، وكذا فرعون ومن حوله لم يستوعبوا ماجاء به موسى عليه السلام ولم يقنوا ولم يعقلوا.

﴿ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴾ فموسى عليه السلام لم يجد لما قاله صدى لاعند فرعون ولا عند من هم مع فرعون،﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴾ الشعراء 33-32.

" روي أنها لما انقلبت حية ارتفعت في السماء قدر ميل ثم انحطت مقبلة الى فرعون وجعلت تقول ياموسى مرني بما شئت ويقول فرعون: ياموسى أسألك بالذي أرسلك إلا أخذتها فعادت عصا أراه يده ثم أدخلها جيبه ثم أخرجها فإذا هي بيضاء

يضيء الوادي من شدة بياضها من غير برص لها شعاع كشعاع الشمس"(70)

إن الله جل وعلا أيد نبيه بمعجزة تكون البينة والدليل بأنه مرسل من الله سبحانه وتعالى فتحولت العصا إلى ثعبان مبين، وتحولت يده بيضاء ناصعة من غير سوء ليعلم فرعون أن موسى نبي من الله فعلا.

وبعدما رأى البينة والدليل على صدق موسى عليه السلام وهو المكابر المعاند لجأ إلى الحرب النفسية لتعمية الحق في نفوس الحاضرين حوله، ولما أحس بقوة الحق في نفسه وجه الحديث للملأ احتماء بهم، وطلبهم إلى جنبه في هذا الموقف العصيب عليه ﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ﴾ الشعراء37-34

ذكر فرعون في الحجة أمورا:

- إن هذا لساحر عليم
- يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره.
- فماذا تأمرون

إن الزمان كان زمان السحرةو وعند كثير منهم أن الساحر قد ينتهي بسحره إلى هذا الحد، فلهذا روج عليهم هذا القول، كما أنه نفرهم عنه لئلا يقبلوا قوله، والمعنى يريد أن يخرجكم من أرضكم بما يلقيه بينكم من العداوات فيفرق جمعكم، وتفارقوا أوطانكم، ومفارقة الوطن من أصعب الأمور، فنفرهم عنه بذلك، وهذا نهاية ما يفعله المبطل في التنفير عن الحق، أما ثالثها ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ أي فما رأيكم فيه وماالذي أعمله؟ يظهر من نفسه أنه متبع لرأيهم، منقاد لقولهم، ومثل هذا الكلام يوجب جذب

---

(70)- المصدرنفسه.ص131.

القلوب وانصرافها عن العدو، فعند هذه الكلمات، «اتفقوا على جواب واحد وهو قولهم ﴿ أرجه ﴾ (71)

وما من شك أن فرعون ظن أنه سحر فعلا، وإلا لما طلب هذا اللقاء الذي سيحرجه وسيغلب فيه لا محالة.

ففرعون يرفض دليل دعوى موسى عليه السلام ويقابله بفعل مثله ﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ﴾ الشعراء 37-36.

لقد تغير مجرى المناظرة من مناظرة كلامية بين موسى وفرعون في الألوهية الى تصارع قوة موسى وقوة فرعون ممثلة الأولى في المعجزة، والثانية في سحر السحرة.

وبعد التهيئة العامة للمناظرة يجتمع السحرة وموسى في مكان معلوم، وزمان موقوت ليظهر سحر أيهما أقوى وأقدر.

"كانت بلاد مصر في ذلك الزمان مملوءة سحرة فضلاء في فنهم، فاجتمع منهم خلق كثير و جم غفير" (72)

واختلفوا في عددالسحرة، قيل سبعون ألفا وقيل بضع وثلاثون ألفا وقيل تسعمئة وقيل اثنان وسبعون ساحرا، اثنان من القبط وسبعون من بني إسرائيل (73)

ويجدر بالذكر هنا أن السحرة هنا ليسوا طرفا في المناظرة وإنما هم وسيلة فرعون الاستدلالية لإثبات قوة سحره وضعف ماعند موسى فالسحرة هنا لا نزاع بينهم وبين موسى حول قضية جوهرية ،فالنزاع الحقيقي بين موسى وفرعون في أحقية الالوهوية، فإن غلب سحر السحرة عصا موسى فذلك يبين أن فرعون إله وإن غلبت حية موسى فذلك بين أن اله موسى أحق بالألوهية من فرعون.

---

(71)- المصدر نفسه والصفحة نفسها

(72)- ابن كثير (الامام أبي الفداء اسماعيل)، قصص الأنبياء تحقيق محمد احمد عبدالعزيز ،مكتبة دار الثقافة، عمان ط3، 1412هـ، 1993م ص279.

(73) الفخر الرازي ،التفسير الكبير، ج22، ص83.

فالسحرة وسيلة فرعون في المناظرة وعونه ومدده، وإنهم يرجون عطاء منه ماديا، أجرا على غلبتهم لموسى لأن مجرد الغلبة لايعنيهم في ذلك شيئا، فلا عداوة بينهم وبين موسى، فهم يطلبون الاجر لأن نتائج غلبتهم موسى تعود لفرعون.

﴿ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ الشعراء 42-41.

4-3 المـــــــآل:

حدد الزمان والمكان واجتمع الناس، وكلهم فريق واحد ﴿ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِن كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ﴾ الشعراء40- كل الناس في وجه اثنين :موسى وهارون، ويتوسط موسى حشود السحرة وكلهم ينظر ويرقب إلى من تؤول هذه المواجهة.

﴿ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ أَلْقُوا مَا أَنتُم مُّلْقُونَ فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ﴾ الشعراء 44-43. ولقد جاءوا بسحر عظيم ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴾ طه67-66 وقال الله جل وعلا ﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴾ الاعراف 116 ﴿فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾ الشعراء43-45.

" وتعمل المفاجأة عملها في تملي موقف السحرة، والتأثر البالغ بإيمانهم المفاجئ العميق، وثباتهم وتضحيتهم، بدأوا الجولة كفرة، وانتهوا منها شهداء ويترك المشهد للخيال أن يصور مدى خنق فرعون وغيظه، ومدى الهرج الذي أصاب الحشود المجتمعة، ومدى الشك الذي خامر نفوس الناس في مكانة فرعون بعد انتصار موسى وهزيمة السحرة وإيمانهم وهم دعائم ملك فرعون وكهنة ألوهيته» (74).

---

(74)- محمد شديد ، منهج القصة في القرآن، شركة مكتبات عكاظ السعودية ط1.1984م ص46

﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ فهي لاتسعى ولا تتحرك، وإنما هو تخيل يلقى في نفوس الرائين ومنهم موسى، وهكذا السحر، فالسحر في حقيقته ليس في الأشياء المسحورة، وإنما في نفس الرائي لها وبصره، وهو معنى في غاية الأهمية حيث يشير إليه القرآن في وضوح (75) ﴿ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴾ طه65.

«وقد كان السحرة أسرع الناس استجابة [قال جل وعلا] ﴿**إنما يخشى الله من عباده العلماؤ**﴾ فاطر 28، وليس المراد وصفهم بالعلم لذاته وإنما المراد أن كونهم عالمين بالسحر جعلهم أعرف الناس بأن مافعله موسى عليه السلام يستحيل أن يكون سحرا ولايستطيع بشر قط أن يفعله وإنما يستطيع أن يفعله واحد فقط، هو الله سبحانه فلا أحد يستطيع إطلاقا أن يخلق حياة إلاهو، ولذلك انقلبوا فجأة إلى ماوصفهم به القرآن" (76)

﴿ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴾ والحشود التي حضرت هده المباراة رأت هذا المآل العجيب، أن السحرة الذين جاء بهم فرعون لينصروه قد اتبعوا موسى وءامنوا بربه "وإن الطغيان لايخشى شيئا كما يخشى يقظة الشعوب، وصحوة القلوب، ولايكره أحدا كما يكره الداعين إلى الوعي واليقضة" (77)

وقد كان المآل دعوة لإيقاظ الشعوب، وهذا المآل نصر لامثيل له لموسى عليه السلام ، فالسحرة لم يؤمنوا فقط، وإنما عبروا عن هذا الإيمان بالفعل بأن سجدوا وبالقول عندما قالوا ﴿ءَامَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾ رب العالمين بالتعبير الأول الذي دعا إليه موسى عليه السلام ﴿ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

---

(75)- عبد الحليم حنفي ،أسلوب المحاورة في القرآن الكريم، ص177

(76)- المرجع نفسه ص180.

(77)سيد قطب . في ظلال القرآن . ج5. ص2593.

يعتبر إيمان السحرة انتهاء للمناظرة من جميع نواحيها فقد ظهر الحق وسطع، ولكن فرعون في هذا الموقف تناسى القضية الأساسية التي من أجلها جاء السحرة واحتشدت الحشود، ليتجه إلى السحرة ويعنفهم على خروجهم عن سلطانه ﴿ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ ۖ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ -الشعراء -49.

ولكن قوة الحق في نفوس السحرة (بعدما اتضح لهم) جعلتهم أمام هذا التهديد والوعيد دعاة الى الله أمام هذه الحشود ﴿ قَالُوا لَا ضَيْرَ ۖ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ۝ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَن كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾- الشعراء 50. 51 .

وبدءا من إيمان السحرة لجأ فرعون إلى أعمال العنف، وهو منطق الطغاة في كل زمان ومكان يفقدون الدليل على باطلهم.

وهكذا انتهت المناظرة بنصرة الحق انتصارا لم يتوقعه أحد حتى موسى عليه السلام فقد خاف لما رأى سحرهم، ولكن الله الذي وعد رسوله بالحق نصر الحق نصرا مبينا.

4-4 الآداب:

إن موسى عليه السلام مرسل من الله داع إليه وقد بعثه الله إلى فرعون ليحد من طغيانه ويعود إلى صوابه، وقد شعر موسى عليه السلام بثقل المسؤولية، ففرعون وكل من حوله يبعث في النفس الرعب، ولذلك كثر استعمال الخوف في دعوته ﴿إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَىٰ﴾- طه 44- «فأخاف أن يقتلون» الشعراء 13 ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴾ -الشعراء-12

فالمسؤولية التي ألقيت على عاتق موسى عليه السلام ثقيلة ثقل الجبال ورغم قوة موسى وبأسه يقول ﴿ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴾ -الشعراء -13 فعلمه الله كيف يدعوه ﴿اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ۝ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ۝ قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَىٰ ۝ قَالَ لَا تَخَافَا ۖ إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ -طه 44-

ن رسالة الأنبياء رسالة سلام فكيف يواجه النبي هذا الطغيان والظلم؟ يواجهه لين ﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا ﴾ طه 43.

إن المنهج النبوي الدعوي واحد نراه مع موسى عليه السلام ﴿فقولا له قولا ينا﴾ –طه -43. ومع النبي ﷺ ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم لَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ –النحل 124– لقد حمل موسى عليه السلام الرسالة كما هي ﴿فَأْتِيَا عَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَن أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ –الشعراء 17-16–.

وفرعون في هذه المناظرة عدم كل اداب الحديث وأول مافعله هو عدم اهتمامه دعوة موسى وراح يسأله عن جرم قديم ويمتن عليه ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ بِنَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ –الشعراء -18.

واستهزأ فرعون من دعوة موسى ﴿قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ﴾ –الشعراء 25-

إنه قول المتهكم المستهزئ ﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ –الشعراء

2 - كل هذا لوقف موسى عن الحديث عن رب العالمين الذي يدعوا إليه.

وفرعون لايستعمل ولايقبل منطق الحوار أبدا، وسلاحه في ذلك القوة فهي سلته في توطيد ملكه.

عندما يشعر الباطل بالهزيمة يثير الفوضى لكي لايسمع الحق ﴿ قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ هًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴾ –الشعراء 29–.

إن استعمال القوة واللجوء اليها في المناظرة هزيمة لستعملها لأن منطق الحوار اب، إذ أن فرعون كان مستعليا ويرفض أن يسوى بموسى ويحاوره رجلا لرجل؛ فرعون يرى نفسه إلها لموسى إلا انه كان إلها مضحكا وهو يطلب المشورة من ملئه ا رأى معجزة موسى﴿ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾ – الشعراء -35 ومضحكا لما حول حديث المناظرة من موسى إلى السحرة وأخذهم بذنب إيمانهم بإله موسى قبل إذنه .رفض فرعون الاعتراف بالحق لما ظهر.

لقد غيب فرعون أدبَ الحديث ولكن قوة أدب موسى عليه السلام حافظت على وازن المناظرة إلى نهايتها لأن غايته ظهور الحق فعليه أن لايلفتفت إلى سوء أدب

فرعون وبطشه وهويعلم أن الله ناصره.

فقد اتهمه أولا بالجنون ثم بالسحر وهما لايلتقيان أبدا، فالجنون غياب العقل وفقدان الوعي فيما يصدر منه من أفعال والسحر ذكاء ود هاء وفطنة وحنكة لايؤتاها إلا من علمها وتدرب عليها فكيف يلتقي الجنون بالسحر!.

2-2-2 وسائل المناظرة:

أعلن موسى من بداية البعثة أن الأمر فوق طاقته فطلب العون من الله ممثلا في فك عقدة لسانه وتيسير أمره وبعث هارون معه.

وقد اعتمد فرعون في المناظرة على ثلاثة وسائل: القوة وتبعية الملأ والسحر. ويظهر في المناظرة بين النبي موسى والمدعي للألوهية فرعون وسيلتان اثنتان كل استعمل واحدة منهما الحوار والجدل.

2-1 الحوار:

الحوار وسيلة في المناظرة لإدارة الحديث «فهو الروح الذي يسري في كيان العمل المناظري وحين نقف بين يدي موقف من تلك المواقف التي أراد فيها القرآن الحوار بين الشخصيات المتناظرة نجد المشهد كله حاضرا مشخصا يملأ الأسماع والأبصار بكل خلجة أو خاطرة وقعت فيه (78)

وإن للحوار في القرآن الكريم سمة خاصة لا نجد لها أثرا في الأعمال الأدبية على الإطلاق "وهي تلك الذاتية التي يحتفظ بها الحوار لشخصيات المتحاورين ذلك أننا في الحوار القرآني لا نجد فرصة أبدا نتغلت فيها من هذا الشعور الذي يستولي علينا من أننا إزاء شخصيات واقعية لها وجودها الذاتي ولها منطقها وتفكيرها، ولها منزعها وإرادتها في الموقف الذي تقفه في الحديث وفي الأسلوب الذي تعبر به عن موقفها،

---

(78)عبد الكريم الخطيب ، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، دار المعرفة، بيروت ،ص124.

دون أن نستشعر بأن ملقنا وراءها يلقنها الكلمات التي تلقيها" (79). وقد جعل موسى عليه السلام اللسان مطلبا أوليا يدعو ربه أن يحققه له ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾- طه 28- فقد ربط بين جوهر رسالته وهو ايصال الدعوة ﴿يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾ ووسيلة الدعوة ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي﴾ لأنهم إذا لم يفقهوا قوله فقد انفصمت الرابطة بينه وبينهم لانعدام وسيلة الاتصال والتفاهم.

ويصر موسى على أن يكتمل هذا السلاح الذي لابديل له عند الداعية وهو البيان ممثلا في اللسان وحينما كلفه ربه إعلان رسالته وتبليغها إلى أعتى طغاة عصره (فرعون) لم يطلب موسى قوة ولاسلاحا في هذا الصراع الرهيب المقدم عليه سوى لسان كامل البيان ، فطلب الاستعانة بأخيه الفصيح ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾ -القصص 34 - وحين يكتمل مالدى موسى من شخصية قوية، وعلم واسع وحجة دامغة، بما لدى هارون من طلاقة لسان في حسن العرض والصياغة البليغة يتوجه إلى فرعون لدعوته.

وتبدأ المناظرة مناوشة وتحرشا فتجد في كلماته تثاقلا وبطئا تجد في أسلوبه امتدادا وطولا ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ -الشعراء 18- إنك لو ذهبت تسرع في القراءة بهذه الآيات لما استجاب لك لسانك ولما استطعت أن تمضي بها في غير الوقت المقدور لها دون أن يضطرب ويتعثر لسانك ﴿قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾- الشعراء20 -.

ثم بعد أن حمي الصراع واشتد، تجيء كلمات الحوار قوية متقطعة تجري في خفة واندفاع وتراشق أشبه بالرمي بالسهام.

---

(79)- المرجع نفسه ص125.

﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ -الشعراء23 -

﴿ قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ -الشعراء 24-

﴿ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ؟﴾ -الشعراء 25 -

﴿ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴾ -الشعراء26 -

﴿ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴾ -الشعراء27 -

﴿ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ -الشعراء28-

﴿ قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴾ -الشعراء29-

﴿ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ﴾ -الشعراء 30-

﴿ قَالَ فَأْتِ بِهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ -الشعراء 31-

إنها كلمات بل هي سهام تنطلق من أقواسها بلا توقف أو انحراف، فهذا العرض السريع الذي تنتهي به الحركة البطيئة التي بدأت بها المناظرة هو تصوير صادق دقيق لسير الانفعلات المتولدة في الحوار ونموها حتى إذا بلغت غايتها وامتلأت بها الصدور انطلقت في قوة واندفاع كما يندفع الماء من وراء السد حين علاه وجاوز مداه، فموسى عليه السلام انطلق في عرض دعوته بين يدي فرعون بلسان مبين ﴿ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ دون أن يلتفت إلى استهزاء فرعون بقوله فقد كان يعلم موسى مسبقا بأنه سيكذب وربما حتى يقتل ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي﴾ والذي خافه موسى وجده؛ فهو ذا فرعون يسد عليه منافذ الحديث تضييقا لصدره، ولكن موسى بعون الله لاينسى ما جاء من أجله ولا يلتفت إلى تعليقات فرعون، الذي مرة يسميه مجنون ومرة ساحر عليم، ومرة كبير السحرة وكل ما كان يهم موسى في تلك المناظرة هو ظهور الحق وقد ظهر بسجود السحرة وإيمانهم .

2-2 الجدل:

كان فرعون في المناظرة مجادلا عنيدا لموسى مسخرا كل قوته لاسكات الحق

وإيقـاف سيله المتـدفق، فقلـد اعلن في الملأ إنه هو رب الناس الأعلى فـإذا دعا مـوسى لعبادة رب العالمين فإن فرعون يجن جنونه ويفـقد صوابه ليجابه دعوة موسى بحديث لاجدوى من ورائه سوى إسكات الحق.

يدعو موسى عليه السـلام فرعون إلى عبادة رب العالمين ولكن فرعون يـثير معه حديثـا مضت عليـه سنوات طويلة ويمن عليه ويعنفـه على فعلتـه ليجـعله في صورة المذنب الكافر للنعمة.

﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ -الشعراء18 - 20 -.

ويسأل سؤال المستهـزئ المستهتر ﴿ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ -الشـعراء 22- و(ما) للسـؤال عن مـاهية الشيء، فـأي شيء يكون رب العـالمين ومـوسى يجـيب عنه بآثار صنعة الله وملكه، ويلوي فرعون عـنق الحديث ليغير مجراه على حسب هواه لتـعمية الحق واسكات الخصم ويتمكن من التـحكم في مواضيع الحديث ﴿ أَلَا تَسْتَمِعُونَ؟! ﴾ -الشعراء24 -

إنه الاتجاه إلى الحرب النفسية لزعزعة الأرضية من تحت أقدام موسى الداعية.

إن مناظرة موسى لفرعون من أطول المـناظرات في القرآن الكريم وقد كررت في سنور عـديدة وقد اعتنـى.القرآن بموسى عليـه السلام وبولادته وخـروجه من مـصر وورود ه ، مدين، وعـمله وزواجه وعودته. كل ذلك تـهيئة لـلقاء تاريخي تبقى الأجـيال ترد ده ويستمد منه الحق القوة .

ويبقى فرعون مدى الدهر مضرب مثل لكل طاغية .

3-3 : دراسة النموذج الثالث:مناظرة الرسول ﷺ لأبي بن خلف

تمهيد:

هب أن لا وجود لليوم الآخر، وأن لاحياة بعد الموت ، ترى كيف ستكون الحياة؟.... يولد المرء فيجد نفسه امام حياة ممتدة ومحدودة في نفس الوقت، ولاشيء بعد هذه الحياة سوى قبر ينتظر. لاشك أن الحياة ستكون عبثا ولاريب، لانه لايوجد أي مبرر يجعل الحياة على نظام والبشر على استقامة.

وقد أثيرت قضية البعث هذه منذ القدم وأملوا أن تبقى هذه الحياة لاتزول فحنطوا موتاهم ودفنوا معهم أشياءهم ، " فالبشرية على طول ماجاهدت مستبسلة للفرار من فكرة العدم قد لبثت على مدى الحقب والأدهار غير مطمئنة إلى تلك المحاولات القديمة التي التمست بها الأمل؛ أن يكون الموت هو النهاية الأخيرة لقضية الإنسان" (80). تساؤلات كثيرة تطرح أمام الحياة المفتوحة والموت المنتظر تلح أن الموت ليس هو النهاية الحقيقية للفرد : "هل يكون للخير جولة مثل ما جال الشر وصال؟ هل من لقاء مع من عرفناهم في الدنيا؟ هل مصير الإنسان المعزز المكرم مثل مصير أي حشرة أو دابة على الأرض؟ من هذه الينابيع التي تفجرت في الضمير الإنساني واحدا بعد الآخر، فاضت فكرة العالم الآخر (81)

إن الجدال في البعث والجزاء من الموضوعات المهمة التي شغلت الفكر الإنساني منذ القدم، وتصارعت فيها الأفكار بين السلب والإيجاب، فالبشرية بما هو مرتكز في فطرتها من حب البقاء تقاوم فكرة العدم المحض لأنها تحس بالحسرة الصارخة عندما تختنق فيها بواعث الأمل باستمرار هذه الحياة الدنيا. فهي ترى مظاهر الموت على قدم وساق، حيث تسلب الحياة من هذه الأجساد ثم لاتلبث أن تتحول إلى رفات. فإذا كان مصير الإنسانية إلى هذا الفناء الرهيب فما أبشعها من حياة! (82)، ورغم ذلك فقد

---

(80)- عائشة عبد الرحمان، القرآن وقضايا الانسان ،ط2، دار العلم للملايين، بيروت، ص159.

(81)- سيد قطب، مشاهد القيامة في القرآن الكريم، دار المعارف ، مصر 1966م ،ص14 بتصرف.

(82) زاهر عوض الألمعي، مناهج الجدل في القرآن الكريم، ص308.

استبعدت فكرة العودة مرة أخرى أو الحياة بعد الموت وذهب أناس يتغنون أن الحياة بعد الموت، "فماهي إلا أرحام تدفع وأرض تبلع"، لذا "واجه الإسلام مع فكرة البعث واليوم الآخر التحديات المضادة التي وقفت لتنكرها أو تسخر منها وتعتبرها [illegible] لاتتصل بالحقيقة من قريب أو من بعيد، ولم يكن لأصحاب هذه التحديات [illegible] على ذلك إلا الظن والاستبعاد فهم يستبعدون الفكرة من خلال استبعاد أن يتحول الجماد من جديد إلى إنسان حي" (83) ، فبدأ الأسلوب القرآني يتجه إلى عدة ألوان من تقريب الفكرة إلى الأذهان ليدفع الاستبعاد من جهة وليركز الفكرة على قاعدة أساسية من جهة أخرى.(84) إن البعث أمر واقع لاريب فيه وقد رد الله سبحانه على تساؤلاتهم بما يزيل اللبس عن عقولهم.

جاء في القرآن الكريم على لسانهم قوله.

﴿ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ -الرعد 5-

﴿ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَدِينُونَ ﴾ -الصفات 53-

﴿ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ﴾ -ق 3-

﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا ﴾ -التغابن 7-

﴿ أَئِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ -السجدة 10-

إن النص القرآني كلا لا يتجزأ لأنه يهدف إلى غاية واحدة وإن تنوعت عناصر تعبيره، وينطلق من فلسفة منسجمة وإن تبين للناظر إلى سطح الأمور تنوعا في القضايا. لذلك يجب التسليم بأن الآيات التي تدور على قضية واحدة وإن وجدت في مواطن متفرقة من المصحف ، لها ثابت بنيوي تنطلق منه لتفصله أو تكمله أو تبينه في الآيات المكية أو لتخصصه أو تقيده في الآيات المدنية، ولكنه مهما كان الحال فإنها

---

(83) حسين فضل الله. الحوار في القرآن الكريم. ص89.

(84)- المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

لاتناقضه ، وكذلك الأمر في الآيات التي تتحدث عن قضية واحدة كآيات البعث مثلا (85) .

إن تساؤلاتهم تبين أنهم يستبعدون أن تكون هناك قوة حقيقية تقدر أن ترجع الجسم بعد ما توارى في التراب، وقد كانت واضحة صريحة تخاطب العقل بمنطق سهل واضح لا يخفى على أحد ولايمكن لعاند أو مكابر أو أي أحد أن ينكر الأدلة التى اعتمدها القرآن لاثبات اليوم الآخر. وجاءت البراهين مبنية على ثلاثة أصول.

3 1 كمال حكمة الله:

إن الله سبحانه وتعالى حكيم ومن حكمته أنه لم يترك ما خلق عبثا ولكن كل شيء عنده لحكمة وبمقدار قال تعالى ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ -المؤمنون 115 - وقد اقتضت حكمته أن يجعل وراء هذه الدار دارا يرى فيها المرء جزاء أعماله، إن خيرا فخير وإن شرا فشر، ولذا كان من مقتضيات الإيمان ومن كماله الإيمان باليوم الآخر "وهو أن يؤمن المسلم بأن الله تعالى يعيد الرفات من أبدان الأموات ويجمع ماتفرق منها في البحار وبطون السباع وغيرها حتى تصير بهيأتها الأولى ثم يجمعها حية فيقوم الناس كلهم بأمر الله تعالى"(86)

3-2 كمال قدرة الله:

إن الذين أنكروا البعث وصفوا الله سبحانه وتعالى بالعجز يعني أن الله تعالى عاجز عن إعادة الرفات أحياء مثل ما كانت ﴿ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ﴾ -ق3-.

---

(85) محمد مفتاح ، دينامية النص - تنظير وانجاز - المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط1 1987 م ، ص 192 .

(86) البيهقي(أبو بكر احمد بن الحسين ت 458 هـ) شعب الايمان، تحقيق أبي هاجر محمد بن سعيد زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1 1990 م ج1 ص 239

ورغم تعجبهم فإنك إن تسألهم عن خالقهم أو خالق السموات والأرض ليقولن الله. تناقض غريب أتقرون أن الله خلقكم وخلق السموات والأرض وتنكرون أنه سيعيدكم؟! قال تعالى :﴿ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ ﴾ يس77-.

3-3 كمال علمه:

إن المنكرين يتسبعدون قضة البعث من حيث استحالة جمع الأجزاء بعد تفرقها وإعادة الحياة إليها بعد فنائها وهذه الشبهة لاتكون إلا بالقدح في كمال علم الله بكل شيء وكمال قدرته على كل شيء.

والله سبحانه وتعالى يبين لنا أن مايدل على كمال علمه وكمال قدرته وكمال حكمته ظاهر للعيان، وللحديث عن كمال علم الله يحسن تتبع الينابيع الثلاثة.

1- النشأة الأولى

2- إخراج النار من الشجر الأخضر

3- خلق السموات والأرض

وهذه الينابيع الثلاثة جمعتها آية يس من 76 إلى 84

ويعد هذا النص مناظرة في إقرار يوم البعث.

قال تعالى ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ -يس81.76-.

سنتناول دراسة هذه المناظرة من حيث

أركانها:

4-1 طرفاها

4-2 دعواها

4-3 المآل

4-4 الآداب

2-1-1 أركان المناظرة

4 – 1 طرفا المناظرة:

إيذن لي يارسول الله أن أتعد حدود نفسي لألج صرحك وأتحدث عن شخصك الكر يم من خلال نص آية «يس» والحديث في الآية موجه إلى الرسول ﷺ وهو الذي يعرفه كل مسلم ، ويعرف سيرته جملة وتفصيلا.

إن الله خلقك بشرا سويا، ولكنك فوق سائر البشر، وآثارك التي حملتها الأجيال من بعدك فوق القدر. ونحن معشر المتبعين لك إن كان فينا شرف هذا الاتباع إنما ندرك بالتصوير أمثالنا. فمن خواطرنا و منازع نفوسنا نتعرف نفوس غيرنا ونحكم على أحوالهم وإن حاولنا أن ندرك من هو أعلى منا، فإنه يجب أن يكون علوه على مرأى أنظارنا ، وفي مطالع آفاقنا ، فعندئذ نحاول وقد نصل. ولكنك يا رسول الله في علو لا نصل إليه، وفي سماك لا نراه، وليس منا من يضاهئك حتى نتمثله ونتخيله. فأنى لأمثالنا أن يكتب في شأنك وأن يعلو إلى شأوك. إن ذلك أمر فوق المنال ويعلو على مدارك الخيال. ومن أجل هذا نضرع إلى الله أن ينالنا بغفرانه (87).

إن مناظرات الأنبياء الآخرين لأقوامهم مناظرات مباشرة بينهم وبين أقوامهم قال نوح: وقال شعيب وقال صالح، وقال هود وقال موسى ،وقال عيسى وقال إبراهيم، إلا مناظرات الرسول ﷺ فإنه لايكون فيها طرفا مباشرا وإنما يحاور بالتلقين ولذا

---

(87) محمد أبو زهرة، خاتم النبيين ﷺ ، المكتبة العصرية صيدا ج1 ص 11.

يكثر التعبير بلفظ (قل) في مناظرته "إن النبي ﷺ كان عماده في مجادلة المشركين واليهود وغيرهم: القران الكريم: أن يحتج به عليهم لإثبات دعواه وكلما أوردوا اعتراضا نزل في الرد عليهم قران كريم فيتلوه عليهم النبي ﷺ ويعلن لهم وضح الحق إن كانوا معاندين مستكبرين (88)

ان صحابة الرسول ﷺ لم يكونوا يجادلونه أو يعترضون عليه بما جاء به الوحي ولكنهم كانوا يسمعونه ويطيعونه ومنه يتعلمون وإذا استعصى عليهم فهم شيء أتوه سائلين متعلمين. ويأتي السياق القراني يرسم هذا الأسلوب الفذ في العلاقة بين النبي وأتباعه.

﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾ البقرة 188

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ ﴾ -البقرة 213-

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ﴾ البقرة 215

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ ﴾ -البقرة 185-

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ ﴾ -البقرة 216-

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ ﴾ -البقرة47

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ ﴾ -البقرة 218

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنفَالِ قُلِ الْأَنفَالُ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ ﴾ -الانفال1 - ، فهي علاقة (تعلم) بين الرسول ﷺ واتباعه الذين امنوا به وصدقوه.

---

(88) محمد ابو زهرة، تاريخ الجدل، ص59

واختلف في الانسان الذي عني بقوله ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ ﴾ قال بعضهم عني به أبي بن خلف وقال آخرون بل عني به العاص بن وائل السهمي، وقال آخرون بل عني به عبد الله بن أبي بن سلول. فال ابن كثير: وهذا منكر لأن السورة مكية وعبد الله بن أبي بن سلول إنما كان بالمدينة.(89)

قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين بن الجنيد حدثنا محمد بن العلاء حدثنا عثمان بن سعيد الزيات عن هشيم عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن العاصي بن وائل أخذ عظما من البطحاء ففته بيده ثم قال لرسول الله ﷺ: أيحيي الله هذا بعد ما أرى؟ فقال رسول الله ﷺ نعم، يميتك الله ثم يحييك ثم يدخلك جهنم.

ولكن أكثر المفسرين يذكرون أبي بن خلف(90)، قال مجاهد وعكرمة وعروة بن الزبير والسّدي وقتادة :جاء أبي بن خلف -لعنه الله- إلى رسول الله ﷺ وفي يده عظم رميم وهو يفته ويذروه في الهواء وهو يقول: يامحمد أتزعم أن الله يبعث هذا؟ قال ﷺ: "نعم يميتك الله تعالى ثم يبعثك ثم يحشرك إلى النار"(91) وقد قتله الرسول ﷺ في أحد بيده(92).

ففي هذه المناظرة جوابان، جواب الرسول ﷺ لأبي بن خلف أو للعاص(93): جواب مباشر يعني شخصا بعينه " نعم يميتك الله تعالى ثم يبعثك ثم يحشرك الى النار" هذا جواب الرسول ﷺ للسائل ذاته ولكن ماقاله أبي أو العاصي يقوله غيره ، والإنكار ليس مرتبطا بواحد بعينه وإنما هذه القضية يكثر وجودها وتكرارها من بني الإنسان ؛ فهم يستبعدون البعث. ولأن القضية أزلية جاء التعبير القرآني بـ(الإنسان)

---

(89)الطبري: جامع البيان، ج 23 ص 21/20 .ابن كثير: تفسير ابن كثير، ج1 ص 631.

(90) أبي بن خلف بن وهب بن حذافة. ابن هشام: سيرة النبي ج1 ص 385.

(91) الواحدي(أبو الحسن علي بن أحمد النيسابوري ت 468 هـ ، أسباب النزول، دار المعرفة بيروت، ص 274.

(92) ابن هشام: سيرة النبي ج3 ص 82.

(93) العاص بن وائل السهمي من نزلت فيه سورة الكوثر. كان إذا ذكر الرسول ﷺ قال دعوه فإنما هو رجل أبتر لا عقب له لو قد مات انقطع ذكره واسترحتم منه فأنزل الله في ذلك إن شانئك هو الأبتر. سيرة النبي ج1 ص 421.

(أل) هنا للجنس، فالحديث غير مقيد وإنما هو الإنسان ينسى مصدره، ويسأل ﴿من يحيي العظام وهي رميم﴾ ويأتي جواب القرآن يناسب قول كل منكر لهذه القضية.

فجواب الرسول ﷺ موجه للشخص الذي يسأل. وجواب القرآن لكل من يسأل؛ لذلك جاء الجواب غير مرتبط بمصير أحد وإنما جاء يخاطب العقل البشري بالمنطق القرآني الذي ليس بعده منطق ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾ - يس 84-.

يخاطب النص القرآني الجنس الإنساني ويأتي الجواب خالدا بخلوده لأن القرآن لكل البشر إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

ويرتبط جواب الرسول ﷺ بالشخص الذي يسأل وهو يرى الآيات تنزل ويسأل الرسول : هل يقدر ربك أن يحيي هذا بعد مارم؟!!

فالطرف الآخر في مناظرة الرسول ﷺ مشافهة هو شخص بعينه سواء كان أبي أو العاصي، لكن الطرف الآخر في النص القرآني هو الإنسان المنكر للبعث.

فالرسول اعتبر في رده المخاطَب والقرآن لم يعتبره " إن الرأي الغالب لدى باحثي الإسلام هو التقليل من أهمية المخاطب في تكييف عملية الخطاب وإن قالوا : إنّ الشريعة جاءت لمصالح المكلفين وهم يفرقون بين ما أنزل بمكة وما أنزل بالمدينة .لهذا فإننا نستثمر هذه المؤشرات (مصالح العباد، ومقتضيات الأحوال) لندفع بها إلى أقصاها فنمنح دورا للمخاطب أساسيا في تكييف الخطاب . ذلك أن القرآن بُلغ منجما لمدة ثلاث وعشرين سنة، وكان الرسول ﷺ يواجه أناسا متعددي المعتقدات ومتنوعي الثقافة ومختلفي البيئة وتبعا لهذا الإختلاف كان الرسول يكيف خطابه الموحى إليه به بحسب نوعية المخاطب. وكتب السيرة والحديث والآثار مليئة بهذه المحاولات التكييفية ، إنها عملية تربوية ضرورية ؛ إذ ليس من الحكمة أن يخاطب أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعلي"(94) ... بنفس المستوى الذي يوجه به الكلام إلى بدوي أعرابي أتى وعظمه الرميم في يده يفته أمام النبي.

---

(94) محمد مفتاح. دينامية النص ص 195.

4-2 الدعوى:

إن دعوى هذه المناظرة في إنكار البعث واستبعاد وجود حياة بعد الموت "وإن الجدال في البعث والجزاء من الموضوعات المهمة التي شغلت الفكر الإنساني منذ القدم وتصارعت فيه الأفكار بين السلب والإيجاب.

إن العقل البشري لا يستطيع أن يطلع على الغيب أو يدرك ما بعد الموت ، فمنافذ الإدراك عند الإنسان قاصرة عن معرفة الجانب الغيبي في العالم الأخروي ، لذا فإن الله تعالى يسعف البشر برسل من عنده ليهدوا الناس إلى الطريق القويم ولينيروا جوانب من العلم لابد فيها من الوحي السماوي ينقله الرسل عليهم السلام.

وتأتي هذه الدعوى في هذا السياق ، باحثة عن العلم الذي يكشف حقائق مصير الإنسان وهو رفات . فلنتبع هذه الدعوى بادعائها وتدليلها ومنعها .

3-2-1 الادعاء

إن الادعاء في هذه المناظرة هو العجز على بعث العظام وهي رميم فمنذ جاء الاسلام وبعث محمد ﷺ وهو يدعو إلى الإيمان بالله وبرسوله وباليوم الآخر واستمر يغرس هذه العقيدة في النفوس والضمائر ﴿قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ -يس 77- وما أكثر الآيات التي تبين استبعاد الكفار ليوم البعث ﴿ زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا﴾ -التغابن 07-

وقالوا ﴿ أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَدِينُونَ ﴾ -الصافات 53-.

﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ -الرعد 5-

فالإنسان الذي يرى الحياة تتجدد والأطفال يولدون ولم يكونوا شيئا من قبل، لم تسترعه هذه الحياة ولم يسأل من أين ؟ ولما غاب عن حسه البعث ولم يره بعينه سأل ﴿ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾ - يس77-

والحقيقة أن إيجاد طفل من عدم أغرب وأعجب، وقد غاب أيضا عن حواسه ومداركه الخلق الأول لهذا الجنين.

3-2-2 التدليل:

عندما جادل أبي بن خلف في البعث رسول الله لم يكن له سوى الكفر. وماكان له من دليل إلا أن فت العظم الرميم لأنه قاصر عن إدراك القوة التي تجمع هذا الرذاذ وتبعث الحياة فيه من جديد، فلا بعث في منطق أبي لأن العظم رم وفتت جاء في القرآن على لسان منكري البعث ﴿ أَئِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ .

فحقيقة الإنكار مرتبطة بقضية استحالة جمع رذاذ الميت ولمّ رفاته وهذه الشبهة لاتكون إلا بالقدح في كمال علم الله المحيط بكل شيء، وكمال قدرته على كل شيء، قال تعالى ﴿ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾– يونس 61–.

إن سؤال أبي لرسول ﷺ ينطوي على كبر وطفولية وعمى في العقل طمس على بصيرة هذا الجاحد ، فلو كان أبي يسأل لأنه يدرك عجزه في استيعاب الفكرة باحثا عن الحقيقة ، فليست هذه هي الطريقة لسؤال متعلم. ونذكر في هذا المقام حال موسى عليه السلام مع الخضر وكيف تصاغر للعلم لأنه أراده لذاته فهو يبحث عن ما خفي عليه ، ولكن عظم علم الخضر استوقف موسى مرات كثيرة، فراح يسأل حتى فوت الفرصة عن نفسه لأخذ المزيد . فسؤال موسى عليه السلام مع الخضر سؤال عن كنه شيء رأه يناقض الواقع والمنطق ، فهو يسأل لأنه بين أمرين لم يقدر الجمع بينهما ؛ إن الله لايرضى الفساد ، وإن المبعوث إليه مرضي عنه وإنه يرى في عمل الخضر فسادا . فما عساه يفعل؟! سيسأل ليجد الجامع الذي يزيل عنه هذا التناقض .

أما سؤال أبي فهو سؤال جاهل معاند .

3-2-3 المنع:

اقتضت حكمة الله أن يجعل وراء هذه الدار دارا يرى فيها المرء جزاء أعماله إن خيرا فخير وإن شرا فشر، ولذا كان من مقتضيات الإيمان ومن كماله الإيمان باليوم الآخر.

وقد اهتم القرآن بشأن البعث والدار الآخرة اهتماما عظيما فقلما توجد سورة لا تتحدث عن اليوم الآخر ولا تقرر أمره على نحو ما، وكثيرا ما نجد سورا تقوم بأسرها على هذا الشأن: فتفيض فيه مابين تذكير وبيان وضرب للأمثال، ونفي للشبه وغير ذلك وإنما عني القرآن بهذه العقيدة لأنها أصل عظيم من أصول الصلاح والإصلاح في العالم فلو أن الناس جميعا قد استقرت فيهم هذه العقيدة وآمنوا إيمانا لا يخامره شك لاستقامت أمورهم وكثر فيهم الخير والإحسان وقل بينهم الشر والفاسد (95)

وقال تعالى: ﴿وَمَاخَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَابَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ﴾ -الدخان 38-

وقال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَاتُرْجَعُونَ﴾ -المؤمنون115-

قال ابن القيم(96): "إن المعاد معلوم بالنقل مع الشرع وان كمال الرب تعالى وكمال أسمائه تقتضيه وتوجبه وأنه منزه عما يقوله منكروه كما ينزه كما له عن سائر العيوب والنقائص ثم أخبر سبحانه أن المنكرين لذلك لما كذبوا بالحق اختلط عليهم أمرهم ﴿ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ ﴾ مختلط لايحصلون منه على شيء" (97).

فكيف منعت دعوى هذه المناظرة ممن أنكر البعث ،قال تعالى ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾ -يس77-.

تغيب الحقائق على العقل البشري وينسى أو يتناسى أنه ما كان إلا نطفة مهينة وأصبحت النطفة إنسانا سويا يجادل ربه في البعث ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾ -يس76-

لماذا تصدق أيها الإنسان أن تكون النطفة بشرا حيا ناطقا وتنكر ان يكون الرفات يوما ما بشرا سويا ويعود على هيئته الأولى؟!!

---

(95) طباره: روح الدين الاسلامي ص 65.

(96) ابن قيم الجوزية: محمد بن أبي بكر بن أيوب الدمشقي أبو عبد الله شمس الدين ، من أركان الاصلاح الاسلامي و أحد كبار العلماء تلميذ شيخ الاسلام ابن تيمية و هو الذي هذب كتبه ونشر علمه وسجن معه في قلعة دمشق. الاعلام 56/6.

(97)- ابن القيم. الفوائد. مكتبة النهضة العلمية. السعودية. ص7.

تأتي الحجج القرآنية فتضرب على العقل البشري ليرى ويتدبر بالمقياس البشري: ﴿ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾- يس78-

﴿ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ -الروم 27 -ويتدرج مع العقل البشري في إفهامه القضية على وجهها الصحيح ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ -يس78-.

ألانها أصحبت ذرات واختلطت بأخرى يصعب على الله تمييزها؟!

قال تعالى﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ ﴾ -ق4 -

وقال تعالى﴿ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ -يونس 61 -

وبعدها تأتي استدلالات أخرى تدعم إمكان البعث لوجود النار من الشجر الأخضر وتختم بالقانون الإلهي الخاص به ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ فَسُبْحَانَ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ -يس84-.

وفي القران الكريم ايات كثيرة تستدل بالنشأة الأولى على البعث قال تعالى ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ الأنبياء- 104 -.

وقال تعالى:﴿ وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنغِضُونَ إِلَيْكَ رُؤُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴾-الإسراء 50-51 - "فمهما تفرقتم وعلى أية حال كنتم، فالله قادر على بعثكم وإعادتكم حتى ولو تحولتم إلى حجارة أو حديد، فالله قادر على إعادة الحياة إليكم مرة أخرى -مع المنافاة بين الحجرية والحديدية - والمنافاة بين الحديد وقبول الحياة أشد من المنافاة بين العظم وبين قبول الحياة ذلك أن العظم قد كان جزءا من بدن الحي، أما الحجارة والحديد فما كان حيين" (98) وقال تعالى ﴿ قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ استدلال بالنشأة الأولى على الثانية وقال تعالى ﴿ وَيَقُولُ الْإِنسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ﴾ -مريم 66-.

---

(98) المصدر نفسه الصفحة 7.

إن استدلالات القرآن مبنية على مايوافق العقل البشري ومايستطيع أن يحيط به ويقرب الفكرة بضرب الأمثلة "فالقرآن لم يسلك في بيان البعث مايسلكه طوائف أهل الكلام حيث يثبتون الإمكان الخارجي بمجرد الإمكان الذهني فيقولون: هذا ممكن لأنه لو قدر وجوده لم يلزم من تقدير وجوده محال والمحال هنا أعم من المحال لذاته أو لغيره والإمكان الذهني حقيقة عدم العلم بالامتناع وعدم العلم بالامتناع لايستلزم العلم بالامكان الخارجي وهذا هو الإمكان الذهني"(99)

كثيرا ما يستدل القرآن على البعث بالنشأة الأولى بقياس التمثيل والتمثيل أن يقيس المستدل الأمر الذي يدعيه على أمر معروف عنه من يخاطبه أو على أمر بدهي لاتنكره العقول وتقر به الأفهام ويبين الجهة الجامعة بينهما وأن القرآن الكريم قدسلك لهذا المسلك على أدق وجه وأحكمه مقربا مابين الحقائق القرآنية والبدائه العقلية .وكثير من استدلالات البعث فيها تقريب وتمثيل البعث وقدرة الله تعالى عليه بمايرون من إنشاء ذلك الكون البديع)(100)

وإلى جانب الاستدلال على البعث بالنشأة الأولى هناك دليل آخر، إخراج النار من الشجر الأخضر، قال تعالى﴿ **ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ** ﴾- يس 72- فظهور النار على حرها ويبسها من الشجر الأخضر على نداوته ورطوبته دليل على جواز خلقه الحياة من الرمة البالية والعظام النخرة (101).

إن الله تعالى مثل لقضية البعث بالنشأة الأولى وبإحياء الأرض بعد موتها في آيات كثيرة من القرآن الكريم وهما أمران واضحان في الذهن يسهل الجمع بينهما وإن هذا يؤدي إلى ذلك لكن يستعصي فهم إخراج النار من الشجر الأخضر وأنها دليل على البعث ولعل التفسير العلمي لهذه القضية يقرب الفكرة "إن حرارة الشمس تمتصها

---

(99) ابن تيمية: مجموع فتاوي شيخ الاسلام المدني تيمية، جمع وترتب عبد الرحمان بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي الحنبلي وساعد ابنه رحمهما الله، ج3 ،ص298.

(100) أبو زهرة، المعجزة الكبرى، ص347.

(101) البيهقي، شعب الإيمان . ج1، ص241.

الأشجار الخضراء امتصاص الرضيع ثدي أمه وبذلك الامتصاص تشيع الحرارة في كل خلاياها وتخزنها وتظل هذه الطاقة الحرارية قابلة للاشتعال والإيقاد سواء تحول الشجر الأخضر إلى فحم عادي أوفحم حجري إذا تطاولت عليه الأزمان وهو في مخازنه في الجبال أو تحول سائلا قطرانيا في أعماق الأرض" (102) هذا احتمال، أما الاحتمال الثاني فهو أن الأوكسجين الذي هو عنصر حراري وقاد إذا فقد وجوده من الهواء فإن الحياة تفقد على الأثر في الإنسان والحيوان ومن النار، والأوكسجين جزء من أجزاء الهواء وكذلك الشمعة المشتعلة تنطفئ إذا حجب عنها "وقد ثبت أن الكربون الذي يخمد النار ويطفئ الحياة لايحوله إلى أوكسجين إلا الشجر الأخضر ولكن بمعونة ضوء الشمس نهارا لأن الأشجار كافة تتنفس ليلا كما يتنفس الإنسان وتحول الأوكسيجين إلى كربون أيضا فلولا وجود الشجر الأخضر لفقد الأوكسيجين من الهواء، ولو فقد الأوكسجين من الهواء لما اشتعلت نار بل لما عاش حيوان" (103). قال الفخر الرازي في قوله تعالى «الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فاذا أنتم منه توقدون» ووجهه هو أن الأنسان مشتمل على جسم يحس به حياة سارية فيه وهي كحرارة جارية فيه فإن استبعدتم وجود حرارة وحياة فيه فلا تستبعدوه فإن النار في الشجر الأخضر الذي يقطر منه الماء أعجب وأغرب وأنتم تحضرون حيث منه توقودن وإن استبعدتم خلق جسمه فخلق السموات أكبر من خلق انفكسم فلا تستبعدون ممن خلق السموات والأرض (104) وفي هذا عبرة عظيمة فإن الله جمع في الشجر الأخضر بين الماء والنار والخشب فلا الماء يطفئ النار ولا النار تحرق الخشب.

ووجه دلالة النار على البعث أن النار تكمن في الشجر مثلما أظهرت الدراسة العلمية إن في الأشجار حرارة كامنة وهي تخزينها للأوكسيجين. ثم تظهر هذه النار بالقدح وتشب بالنفخ وكذلك الأموات سنبعث يوم ينفخ في الصور.

---

(102) المدني هاشم محمد سعيد، د فتردار، معجزات قلب القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط4 ، 1989، ص382

(103) المرجع نفسه والصفحة نفسها.

(104) الزاري، التفسير الكبير، ج26 ص 110.

لم يكن لمنكر البعث إلا مجرد التعجب والاستبعاد قال تعالى ﴿ وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ -الرعد 5- إن كان لك عجب من شيء فمن إنكارهم البعث، فاعجب لأن العجب ماندر وجوده وخفي سببه، وليس هذا مما ندر وهم يشاهدون إحياء الأرض بعد موتها واكتساء الأشجار بعد عريها وعود النهار بعد زواله والليل بعد ذهابه وإخراج الحي من الحي والميت من الحي ولا مما خفي سببه فإن الله سبحانه هو الفاعل لذلك والمخترع له والقادر عليه وحكمته إظهار ما استتر عنه خلقه من تدبيره وما النشأة الثانية بأعجب من الأولى. (105)

لقد رد القرآن على زعم كل منكر بأسلوب مناظري مفحم فيه وقوف عند قدرة الله سبحانه وتعالى وخلق الكون دليل على البعث قال تعالى﴿ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ ﴾- يس 84 - وقال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ؟ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ -الأحقاف88 -.

"والسموات والأرض خلق عجيب هائل دقيق، هذه الأرض التي نعيش عليها ويشاركنا ملايين الأجناس والأنواع ثم لانبلغ نحن شيئا من حجمها ولاشيئا من حقيقتها ولا نعلم عنها حتى اليوم إلا القليل. هذه الأرض كلها تابع صغير من توابع الشمس التي تعيش أرضنا الصغيرة على ضوئها وحرارتها"(106) قال تعالى ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ -الروم27-

إنه لايستعصى على الله شيء والسماوات والأرض وما بينهما تحت طوعه ، فيكفي أن يلتقي الكاف والنون (كن)فيكون ما أراد الله. إن البعث إقتضاه الله وأراده.

---

(105)- الحنبلي، ناصح الدين، كتاب استخراج الجدل من القرآن الكريم. ص98.

(106) سيد قطب. في ظلال القرآن ،ج5، ص2978.

3-4 المـــــــآل:

إن عظم الدليل ووضوح وقـوع البعث أغنى عن التصـريح بمآل هذه المناظرة بين الفكرتين فكرة إنكاره وفكرة تأكـيد وجـوده ولايملك المنكر لهذه القضـية إلا السـجود والخضوع لهذه القدرة الإلهـية التي تعيد الحياة للعظام الرميمة وقـد خلقتها من قبل ولم تك شيئا.

ولعل هذا المآل الذي ألغى الطرف المناظر المـهزوم تطور في المناظرة القـرآنية لأن عمـاد النزاع هو الفكرة وليس صـاحبهـا فقـوة الحق أغنت عن ذكر المناظِـر وأخرست صيحة الباطل.

إن نمروذ وفرعون ادعيا الأولوهية لذلك كان مآلـهما واضحا لجرأتهما على الله ؛ فرسم مآل المناظرتين السـابقتين حقارتهمـا وذلهما ومهانتهـما .إنه لايوجد في مناظرة الرسول لأبي ﴿ فبهت الذي كفر﴾ .

في مناظرة إبراهـيم عليـه السـلام نسيـج عجـيب وربط رائع بـين بداية المناظرة ونهايتها ففي بدايتها (حاج) بكبريائها وزهوها تقابلها في نهاية النص (فبهت) الصفعة التي تكسـر غرور (حـاج) وفي نص يس﴿ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ .فكلمـة (ملكوت) تملأ القلب والوجـدان وتفتح آفـاق ومدارك الإنسـان عن حقيقة عظم الله ﴿ وإليه ترجعون ﴾ القرار الأخير والأكيد -الرجوع إلى الله-

4-4- الآداب:

لأن الإنسان ينسى سيظل إنكار البـعث قضـية ترددها الأجـيال ويبقـى القرآن الكريم بادلتـه التي تنساب في النفوس والـعقول وتعـيدها الى الحق لتعـلم أن البعث حق. فلإن الإنسان ينسى يسأل ﴿ قال من يحيي العظام وهي رميم ﴾، فالرسول ﷺ يقول لسائله: نعم يميتك الله تعالى ثم يبعثك ثم يحشرك إلى النار، فهذا الجواب يلائم العناد والإصرار على الكفر لأن سائله لايسأل ليعلم ولكنه سؤال المعاند المستهزئ.

وفي القرآن الكريم الجـواب الكافي للإنسان الذي من خـصائصه النسـيان، نسي

كيف جاء إلى هذه الدنيا. ومتى .ومن أوجده ويسأل عن البعث مستنكرا ومستبعدا وقوعه فيأخذ القرآن بيده ويجيبه الجواب الذي يقنعه بالبعث ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ تذكير بما نسيه ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ ﴾ ويظل القرآن الكريم يفتح منافذ الإدراك بالأدلة والبراهين الساطعة على وجود يوم البعث؛ أدلة تناسب هذا العقل البشري القاصر .

في الآية إعتذار لمن يسأل عن البعث فقد قدمت النسيان على السؤال ﴿ ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم﴾

إن الاسلام دين هداية هداية الناس جميعا فلم يبعث الرسول ﷺ جلادا يصادر الآراء ووجهات النظر ولكنه بعث معلما ومبشرا ومنذرا. وإن الاسلام بنى عقيدته على العلم واليقين عكس " النصرانية التي تقوم على أن الإيمان قضية لا علاقة لها بالفكر، بل هي ضده فهي لا تدخل في دائرة العقل والعلم، بل في نطاق الوجدان والقلب. وليس من شرط العقائد أن تكون في مستوى العقل بل يحسن بها أن تكون شيئا فوق العقل. ولهذا كان من الشعارات المرفوضة عند النصارى: إعمال الفكر في الدين "(107) قال تعالى ﴿ يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل و أضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل﴾ المائدة 77.

إن الاسلام منذ جاء دعى إلى التفكر والتدبر وإعمال العقول لمعرفة الحق، فقد اهتم ببناء اليقين لدى المسلم في المعرفة والاعتقاد، قال تعالى ﴿ فاعلم أنه لا إله إلا الله﴾ محمد 19 و قال﴿وليعلم الذين أوتوا الكتاب أنه الحق من ربك فيومنوا به فتخبت له قلوبهم﴾ الحج 54، والآيات التي تدعوا إلى بناء الاعتقاد على علم كثيرة.

لذا فلا يؤاخذ الانسان إذا سأل عن حقيقة البعث لأن هذا الدين يدعو إلى السؤال والسؤال طريق المعرفة.

---

(107) جمال الدين القاسمي، دلائل التوحيد، ضبط و تعليق خالد العك، دار النفائس، بيروت ط1 1991م ص112.

2-3-2 الوسائل:

2-1 الجدل:

إن الذين تصدوا للدعوة الاسلامية لم يدخروا جهدا ولا وسيلة في إفشالها: بكل قول مشين وعمل مهين، وهذا السلوك من مَن فت العظم الرميم واحد مما تعوده الرسول ﷺ من مشركي مكة وصناديد قريش الذين انتحلوا الجدل ليدحضوا الحق، قال ﷺ: «ما ظل قوم قط إلا أوتوا الجدل»(108) ، والجدل تدافع وتنافي(109) و الذي قال هذه المقولة قالها بين مرحلتين؛ مرحلة الضعف نسيها و هو طفل صغير لا يقوى على شيء، ومرحلة مازالت لم تأت. الشيخوخة لما يهرم فيعجز عن كل شيء، وهو الآن في مرحلة القوة بين ضعفين نسي ما مضى وغفل عما هو آت لذا قال مقالته. وهذا عي في الذهن و قصور في التفكير وعمى في البصيرة، قال تعالى ﴿ أولم يروا أن الله الذي خَلَقَ السماوات والأرض وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ وقال ﴿ أفعيينا بالخلق الأول بل هم في لبس من خلق جديد﴾ قال ابن القيم يقال لكل من عجز عن شيء عي به و منه قوله تعالى ﴿ ولم يعي بخلقهن﴾ وليس المراد بالاعياء في هذه الآية التعب كما يظن من لم يعرف تفسير القرآن بل هذا المعنى هو الذي نفاه عن نفسه(110) ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ فأبي يعلم علم اليقين أن الاسلام حق وأن البعث حق ولكنهم حسدوا الرسول على الرسالة فناصبوه العداء فأعموا بصائرهم على رؤية الحق. ولو سألوا عن جهل لوجدوا القرآن المعين الذي لا ينضب ماؤه ودلائله واضحة. فقد سلكت الآيات القرآنية التي تضمنت الحجاج عن

مطالب العقيدة مسالك عقلية، فجاءت أدلتها حاسمة قاطعة لكل أنواع الإنكار أو الشك أو الظن أو التردد، بل في الغالب ما تتعدد الأدلة الكثيرة على المطلب الواحد،

---

(108) أخرجه الترمذي في سننه، تفسير سورة 43. ابن ماجه مقدمة 7

(109) الجويني، الكافية في الجدل، ص 49

(110) ابن القيم، الفوائد ص 9.8.

ويكون كل واحد منها مستقلا في دلالته كافيا في الوفاء بما سيق من أجله، وذلك ليحصل بمجموعها زيادة يقين.

قال أحد المتكلمين: "أفنيت عمري في الكلام أطلب الدليل، وأنا لا أزداد إلا بعدا عن الدليل، فرجعت إلى القرآن أتدبره وأتفكر فيه فإذا أنا بالدليل حقا معي وأنا لا أشعر به، فقلت: والله ما مثلي إلا كما قال القائل:

ومن العجائب والعجائب جمة قرب الحبيب وما إليه وصول
كالعيس في البيداء يقتلها الظما والماء فوق ظهورها محمول"(111)

وكذا الحال مع هؤلاء المجادلين لو استمعوا إلى الرسول الكريم لعلموا أن الله قد فضلهم على أمم كثيرة إذ كان آخر رسله عربيا، ولكنه الحسد يعمي ويصم.

و مهما يكن من أمر فإن جدال أبي بن خلف كان دعوى عالجها القرآن وفصل القول فيها وغض الطرف عن قائلها .

2-2 الحوار:

قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ النحل 125، أي أدع أيها الرسول من أرسلك إليهم ربك بالدعاء إلى شريعته التي شرعها لخلقه بوحي الله الذي يوحيه إليك وبالعبر والمواعظ التي جعلها في كتابه حجة عليهم و خاصمهم بالخصومة التي هي أحسن من غيرها بأن تصفح عما نالوا به عرضك من أذى و ترفق بهم بحسن الخطاب(112). و(الحكمة) هي المقالة المحكمة الصحيحة وقيل هي الحجج القطعية المفيدة لليقين و (الموعظة الحسنة) هي المقالة المشتملة على الموعظة الحسنة التي يستحسنها السامع وتكون في نفسها حسنة باعتبار انتفاع السامع بها، وليس للدعوة إلا هاتان الطريقتان، ولكن الداعي قد يحتاج من الخصم الألد إلى استعمال المعارضة والمناقضة ونحو ذلك من الجدل لذلك قال سبحانه:﴿ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ وإنما أمر سبحانه بالمجادلة الحسنة لكون الداعي محقا وغرضه صحيحا وخصمه مبطلا وغرضه فاسدا(113).

---

(111) ابن القيم . مفتاح دار السعادة، دار الكتب العلمية بيروت ، ج1.ص28

(112)المراغي(أحمد مصطفى). تفسير المراغي مطبعة مصطفى البابي الحلبي مصر .ط1 1946. ج13 ص161

(113) الشوكاني. فتح القدير ج3. ص203

ولأن دور الرسول ﷺ فقد أعده الله لأن يكون حليما برا بالمبعوث إليهم صابرا عليهم ليؤدي دوره على أتم وجه، وإن أصعب مهمة في الحياة على الاطلاق : مهمة هداية الناس لرب العالمين، قال تعالى : فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك﴾ لذلك يأت الرد القرآني والحوار السماوي مفتوحا يزيل الحيرة من نفوس السائلين الحيارى ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ ﴾

تأت الأدلة ساطعة لتنير القضية أمام من أظلمت عليه، وتتوالى دليلا تلو الآخر لتعميق الفكرة وإيصالها إلى الاذهان بأسلوب لا يستعصى على أحد فهمه، والدليل هو المرشد إلى ما غاب عن الحواس .

إن طبائع الناس متفاوتة، ومشاربهم متباينة وأهواءهم متظاربة ومسالكهم في طلب العام مختلفة؛ فمنهم من يصدق بالبرهان ولا يرضيه إلا قياس تام أو ما يجري مجراه ويسير في طريقه، وهؤلاء هم من غلبت عليهم الدراسات العقلية والنزعات الفلسفية، وكان لهم من أوقاتهم ما أزجوه في دراسات واسعة النطاق وعلوم سيطرت عليهم فسادهم التأمل الفلسفي والمنزع العقلي، والمستقرئ لأحوال الامم المتتبع لشئون الإجتماع يجد أن هذا الصنف من التاس قلة في الكون و عدد محدود بالنسبة لغيرهم إذ أن أكثر من في الأرض قد انصرف إلى المهن المادية، ولعل هدا هو الصنف الذي أمر الله نبيه أن يدعوه بالحكمة. ومنهم من غلب عليه مذهب ديني أو غير ذلك قد استأثر بلبه وسيطر على هواه، وسد مسامع الإدراك في قلبه إذ استولت عليه نحلة مذهبية فتعصب لها و التعصب يعمي ويجعل النفس لا تكاد تسيغ الحق إلا بمعالجات عسيرة وهؤلاء لا بد لهم من طرق جدلية يزيل ما ألتبس عليهم من الحق وهذا الصنف من الناس وإن كانوا أكثر عددا من الأول إلا أنه ليس الجمهور الأعظم ولا الكثرة الغالبة بين الناس ولعله الصنف الذي أمرنا الله سبحانه بمجادلته بالتي هي أحسن.

أما من كانوا في تفكيرهم أقرب إلى الفطرة وسلامتها لا يخاطبون بتعقيد المنطق ولا بتفكير الفلاسفة ولا بما يرضي المفكرين علميا بل يليق بهم ما التقى فيه الحق بالتأثر الوجداني وما اختلطت فيه الحقائق بطرق إثارة لأهواء وميول وما التقت فيه سياسة الحق بسياسة البيان وليس ذلك إلا الموعظة الحسنة(114)

---

(114) محمد ابو زهرة، تاريخ الجدل ص60.

من من بني الإنسان لا يتأثر بالأدلة التي ساقها القرآن الكريم وهو يجيب على سؤال المجادل؟

﴿ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾

﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾

﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴾

﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾

﴿ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾

إن أسلوب القرآن الفكري والبياني لا يعلو على مدارك طائفة ولا ينزل عن مدارك أخر، ولا يرضي طائفة دون أخرى بل يصل مدارك الجميع، يجد فيه المثقف بغيته والفيلسوف طلبته والعامة من سواد الشعب غايتهم، فالمتدبر لآياته والمتفكر في مناهجه يجد فيها ما يعلم الجاهل وينبه الغافل ويرضي نهمة العالم(115).

إن القران المكي اعتمد على تاسيس العقيدة في نفوس المسلمين أكثر مما اعتمد على التشريع ، لأن أرضية الدين يلزمها أولا التصديق بأصول الدين.

إن المتتبع لمناظرات القران الكريم يجدها تكثر وتتسع وتكاد تكون الأسلوب المفضل في القرآن الكريم لبناء عقيدة التوحيد والتصديق بالرسل والإيمان باليوم الآخر فالتوحيد هو مدار القرآن كله بل إن الاسلام كله يرتكز على هذا المحور علما أنه ما من نبي بعثه الله إلا ودعا إلى توحيد الله. والمحور الآخر من محاور العقيدة البعث، فما تكاد تخلو سورة من القرآن من التأكيد عليهوالمحور الثالث النبوة فقد تكفل القرآن برد كل الدعاوي وكل الشبه التي رمى بها الكفار محمدا ﷺ أو غمزوا بها شخصه أو طعنوا بها في صدق رسالته فجاءت النصوص التي ردت على الكفار مزاعمهم مناظرات ألزمت و أفحمت كل مدع في نبوة الرسول قولا لا يليق.

---

(115) المرجع نفسه ص60.

أما في مجال التشريع فكان أسلوب القرآن ، أسلوب أفعل ولا تفعل (الأوامر والنواهي) لأن الدين اتباع،و مع ذلك فقد صيغت مواضيع كثيرة في القران الكريم بأسلوب مناظري منها مسألة النسخ ومسألة تحويل القبلة ومسألة تحليل وتحريم المشركين لبعض الأطعمة.

إن أعداء الاسلام من يهود ونصارى رفضوا أن تكون شريعة محمد ﷺ ختام الشرائع، كما رفضوا أن تكون هذه الشريعة ناسخة لكل ما قبلها. وقد ظهر ذلك الرفض في مسائل على رأسها المحرمات من المطعومات ، وقد تناولت الآيات القرآنية هذه المسألة بالتفصيل كما اشترك مشركو العرب مع اليهود والنصارى في قضية تحليل الاسلام لما حرموه والمسألة الظاهرة في قضية النسخ مسألة تحويل القبلة. قال تعالى: ﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ البقرة 141 و قال تعالى: ﴿ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ فَمَنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴾ آل عمران 92

أما في الجانب الأخلاقي فقد انعدمت المناظرات وقد كانت الأخلاق في القرآن الكريم أمرا ونهيا فسورة الحجرات والنور مسرحا للدعوة للتحلي بالأخلاق الفاضلة.

إن الأمم لا تختلف في الأخلاق والأخلاق الفاضلة فاضلة عند كل الأمم و الخلق السيئ سيئ عند كل الأمم.

قال ﷺ بعثت لأتمم حسن الأخلاق(116)

---

(116) الموطأ، كتاب الجامع باب حسن الخلق رقم الحديث 1844

الفصل الثالث :

دراســـــة نص

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

3-1 الدّراسة الصّوتية

3-2 الدّراسة التّركيبية

3-3 الدّراسة الدّلالية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

دراسة نص:

مناظرة إبراهيم عليه السلام لنمروذ

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ -البقرة -257

بعدما عرضنا نماذج للمناظرات القرآنية: مناظرة إبراهيم عليه السلام لنمروذ، ومناظرة موسى عليه السلام لفرعون، ومناظرة الرسول ﷺ لأبي بن خلف، يحسن بنا دراسة هذه المناظرات، باعتبارها نصوصا لغوية من الناحية الأسلوبية، للوقوف على أسرارها،ومعرفة مدى تعانق أجراس الحروف ودلالات الألفاظ بجمال النظم،لأداء المعنى في ثوب بلاغي فريد. وتأتي المعاني في صورها حاضرة بحضور الزمان والمكان والأشخاص، ويضفي الحوار على الصورة كل الحياة.

وإن السَّير في هذه الدراسة طريق إلى الإعجاز البياني للقران الكريم. ولأن الدراسة الأسلوبية تتطلب التعمق في التحليل، وطول الوقوف عند مكونات النص. فقد اخترنا نصا واحدا للدراسة، وهو مناظرة إبراهيم عليه السلام لنمروذ الوارد في الآية 258 من سورة البقرة لاستيفائه أكبر المظاهر الأسلوبية على قصره .

إن تذوق جماليات النص، وكشف أسراره اللغوية سبيله فك رموز النص وهذا يرتكز بالدرجة الأولى على فكرة مستويات التحليل الأسلوبي الموحد والمنظم لمختلف مستويات العمل وتنوعها « والأسلوبية أو(علم الأسلوب) علم لغوي حديث يبحث في الوسائل اللغوية التي تكسبُ الخطاب العادي أو الأدبي خصائصه التعبيرية والشعرية فتميزه عن غيره[...] و تعتبر الأسلوب ظاهرة هي في الأساس لغوية تدرسها في نصوصها وسياقاتها"(1) جاء في لسان العرب :"يقال للسطر من النخيل وكل طريق ممتد فهو أسلوب، فالأسلوب الطريق والوجه والمذهب، يقال أنتم في أسلوب سوء

---

(1) عدنان بن ذريل، اللغة والأسلوب، ص 140

و يجمع أساليب. والأسلوب الطريق تأخذ فيه والأسلوب الفن ، يقال أخذ فلان في أساليب من القول أي في أفانين منه "(2)

هذا من الوجهة اللغوية البحتة ولا مفر من استكمالها بالمفهوم الدلالي للأسلوب في التراث العربي، ولعل أدق تحديد على تأخره ما جاء في المقدمة " إنه عبارة عن المنوال الذي ينسج فيه التركيب أو القالب الذي يفرغ فيه... "(3)

و عرف الأسلوب بانه " طريقة الكتابة أو طريقة الانشاء أو طريقة اختيار الالفاظ وتأليفها للتعبير بها عن المعاني قصد الأيضاح و التأثير، أو الضرب من النحلم والطريقة فيه "(4)

إنه لا يوجد تعريف واحد للأسلوب يتمتع بالقدرة الكاملة على الاقناع ولا نظرية يجمع عليها الدارسون في تناوله، وقد أدى هذا إلى أن يقوم كثير من الباحثين في مقدمة كتبهم لعلم الأسلوب بعرض مجموعة من التعريفات تصل في بعض الاحيان إلى نيف وتلاثين تعريفا(5)

و لن نبقى في إشكالية تحديد مفهوم الأسلوب، وإنما نحاول أن نقف على أدوات دراسة أسلوب النص" وإن الوصول إلى المعنى لا بد أن يفيد من الدراسات اللغوية المختلفة مثل الصوت والصرف والنحو [...] وإن معظم المناهج الدلالية تبدأ بفحص البنى التركيبية والصوتية والصرفية والمعجمية لاستنطاق المعنى "(6).

ولذا ستكون دراسة النص معتمدة على:

3-1: الدّراسة الصوتية

3-2 الدّراسة التركيبية

3-3 الدّراسة الدلالية

---

(2) ابن منظور: لسان العرب مادة "سلب" ج9 ص 2058

(3) ابن خلدون: المقدمة ص 1099

(4) أحمد الشايب. الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لاصول الأساليب الأدبيةمكتبة النهضة المصرية القاهرة. ط6 1966. ص 44.

(5) صلاح فضل. علم الاسلوب(مبادئه وإجراءاته) الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة ط2 . 1985. ص 73. وشكري عياد. مفهوم الأسلوب . مجلة فصول المجلد 1 العدد1 اكتوبر 1980 ص 53. و محمد غنيمي هلال النقد الأدبي الحديث ص 116. . أحمد أحمد بدوي. أسس النقد الأدبي عند العرب . مكتبة نهضة مصر القاهرة. ط3 1964. ص 158.

(6) فاضل ثامر. اللغة الثانية -في اشكالية المنهج والنظرية والمصطلح في الخطاب النقدي الحديث- المركز الثقافي العربي. بيروت. ط1 1994. ص 196

3-1 الدّراسة الصّوتية:

إن الصوت هو المادة الأولى للكلمة، والكلمة مجموعة من الوحدات الصوتية المؤلفة بطريقة معينة لكي ترمز إلى الأشياء الحسية والأفكار المجردة. والصوت كما عرّفه ابن جني(7) "عرض يخرج مع النفس مستطيلا متصلا حتى يعرض له في الحلق والفم والشفتين مقاطع تثنيه عن امتداده واستطالته، فيسمى المقطع أينما عُرض له حرفا وتختلف أجراس الحروف بحسب اختلاف مقاطعها" (8) لذا فإن علم الأصوات يدرس الأصوات اللغوية على أساس أنها تمثل وحدات مستقلة، أي على افتراض نطق الصوت المعين منعزلا عن غيره من الأصوات، وعلى هذا فإن "الكلمات لا تتكون من أصوات مفردة أو منعزلة بعضها عن بعض وإنما تتكون من أصوات تتنوع مواقعها وتختلف حسب البنى التي تنتظمها بحيث أن الصوت الواحد قد يختلف من موقع لآخر" (9)

ويعتبر النص القرآني مجالا خصبا للدراسة الصوتية التطبيقية، وذلك لتعدد قراءته،و وبخاصة تنوع الأداء ونظام الفواصل وغيرها. كل هذه الإمكانيات خليقة بالإحصاء والوصف والتحليل العلمي، وكشف موافقتها لظلال الكلمات ومعانيها، بحيث إن التأثيرات الصوتية لاتظهر إلا إذا عاضدتها العوامل الدلالية ولذا يجب الكشف عن الطاقة التعبيرية لنص المناظرة برصد سماتها الإيقاعية وخصائصها الصوتية لانها هي قوام الملامح الأسلوبية للنص.

وتعتمد الدراسة الصوتية على تناول خصائص حروف النص، من حيث شدتها ورخاوتها وجهرها وهمسها وتفخيمها وترقيقها ، لذا يجب الانطلاق من الأسس الثابتة لمفاهيم الصوتيات الأولية، التي بدونها لايمكن تمثل أي شيء من اللسانيات الحالية .

---

(7) ابن جني:عثمان أبو الفتح الموصلي من أئمة الادب والنحو له تصانيف كثيرة في اللغة ت 392 ه .
الاعلام 204/4

(8) ابن جني (أبو الفتح عثمان)، سر صناعة الاعراب، دراسة وتحقيق:حسن هنداوي، دار القلم ، دمشق، ط2، 1993م، ج1، ص.6

(9) حلمي خليل. الكلمة «دراسة لغوية معجمية». دار المعرفة الجامعية. مصر.1996 ط 2. ص96.

تمثلا حقيقيا، فالوصف الشامل للعناصر الصوتية المكونة للنص هو المنفذ لمعرفة معدلات تكرار الأصوات ذات التأثير الأسلوبي (10) وذلك لما يتمتع به النغم الصوتي الذي يحدثه الحرف من تأثير على المعنى "وعلاقة ذلك النغم الصوتي بالتيار الشعوري والنفسي في مسا رالنص، ومن المعروف أن لكل حرف مخرجا صوتيا ولكل حرف صفات. وبين مخارج الحروف وصفاتها وبين دلالة الكلمة علاقة شعورية وفنية وبذلك يتجسد التوافق النغمي والانسجام اللفظي" (11) في أداء المعنى ورسم الصورة للنص، " وقد أدى ازدهار علم النفس إلى إدراك الصلة القائمة بين الاحساس وبين الفكر وبين الالفاظ. كما أدى علم الصوت إلى إدراك وظيفة الصوت في التعبير" (12) ولو أن هذا الكلام لايتوافق مع كل الحروف والكلمات فـ (الراء) في الحجر غيرها في الشجر غيرها في النهر.

وتبرز في الدراسة الصوتية الفاصلة القرآنية وماتتمتع به من إيقاع ومن جمال وماترسمه بموسيقاها من إعطاء صورة متكاملة عن المعنى؛ جمعا لشتات أو تلخيصا لمعنى أو إيضاحا لنتيجة.

وتتعانق الدراسة الصوتية بدراسة الصوت الواحد والمقطع والفاصلة، وذلك قصد إدراك دلالات النص العميقة. ولايتحقق هذا إلا بالاعتماد على المنهج الاحصائي لما فيه من التحديد الكمي القادر على تعيين الأصوات المهيمنة أسلوبيا.

فالعمل ينصب على تحديد النظام الصوتي للنص ضمن الخطوات التالية:

3-1 رصد الأصوات من حيث خصائص استعمالتها

3-2 -دراسة المقاطع الصوتية

3-3- دراسة الفاصلة القرآنية في النص

---

(10)- عزيز عدمان، سورة الفرقان، دراسة أسلوبية، ص62.

(11)- صابر عبد الدايم ، موسيقى الشعر العربي بين الثبات والتطور، مكتبة الخانجي، القاهرة ، ط3.1993م ،ص28

(12) علال الفاسي، تحريف الدلالة، اللسان العربي جامعة الدول العربية، الرباط عدد 1 جوان 1964 ص 7

3-1 رصد الأصوات

وذلك برسم جداول للأصوات التالية

1- الصوت المجهور

2- الصوت المهموس

3- الصوت الانفجاري

4- الصوت الاحتكاكي

5- الصوت المفخم والمرقق

الجدول الأول : الصوت الانفجاري

الصوت	تواتره	مضموم	مضموم	مكسور	ساكن	منون	مشدّد
ء	14	4	2	6	2	.	.
ق	5	4	.	1	.	.	.
ك	2	2	.	.	.	.	.
ج	1	.	.	.	.	.	1
ظ	.	.	.	.	.	.	.
د	.	.	.	.	.	.	.
ت	7	3	2	2	.	.	.
ب	9	.	1	5	3	.	.
المجموع	38	13	5	14	5	.	1

نلاحظ في الجدول الأول أن الأصوات الانفجارية بلغ عدد انتشارها في النص المدروس (38) مرة. وهي كمية صوتية معتبرة في نص يتكون من (160) صوتا. والصوت الانفجاري يستدعي جهدا صوتيا عاليا، ونفسا طويلا لنطقه، حيث يحبس

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مجرى الهواء الخارج من الرئتين حبسا تاما في موضع من المواضع، وينتج عن هذا الحبس أو الوقف أن يضغط الهواء ثم يطلق سراحه فجأة فيندفع محدثا صوتا انفجاريا (13) وما يبرر هذا التوتر الكبير للأصوات الانفجارية أن موضوع المناظرة يستوجب هذه الأصوات للرد على دعوى نمروذ. فالنص مناظرة بين مؤمن له اليقين أن الله يحيي ويميت والآخر طغى وتجبر وادعى أنه يحيي ويميت ،وهذه الدعوة لايرضاها إبراهيم عليه السلام بأي حال من الأحوال لذلك سيفجر كل طاقاته من أجل دحضه ودحض ادعائه.

إن هذه النوعيةُ من المادة الصوتية مناسبة لهذا النص الذي يتطلب نوعا من حبس الصوت ووقفة ثم تفجيره. ويبن الجدول أن صوت الهمزة طغى على بقية الأصوات الانفجارية حيث بلغ (14) مرة في مقابل (38) مرة .

إن النص مشحون بقوة انفجارية ، وحضور الهمزة بهذه الكثافة لمناسبتها لموضوع المناظرة؛ ويحدث صوت الهمزة "بأن تسد الفتحة الموجودة بين الوترين الصوتيين ، وذلك بانطباق الوترين انطباقا تاما فلا يسمح للهواء بالنفاذ من الحنجرة ، يضغط الهواء فيما دون الحنجرة ثم ينفرج الوتران فينفذ الهواء من بينهما فجأة محدثا صوتا انفجاريا "(14)

---

(13) محمود السّعران ، علم اللغة – مقدمة للقارئ العربي – ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت، ص 153.

(14) المرجع نفسه والصفحة نفسها

الجدول الثاني : الصوت الاحتكاكي :

الصوت	تواتره	مفتوح	مضموم	مكسور	ساكن	منون	مشدّد
ف	4	3	.	1	.	.	.
ث	.	.	.	.	.	.	.
ذ	4	.	.	3	1	.	.
ظ	1	1	.	.	.	.	.
س	.	.	.	.	.	.	.
ز	.	.	.	.	.	.	.
ص	.	.	.	.	.	.	.
ش	3	.	.	1	1	.	1
خ	.	.	.	.	.	.	.
غ	1	.	.	.	1	.	.
ح	3	1	.	.	2	.	.
ع	.	.	.	.	.	.	.
هـ	11	2	3	5	1	.	.
المجموع	27	7	3	10	6	.	1

يشير الجدول الثاني إلى أن النظام الحرفي جاء حاملا (26) صوتا احتكاكيا إذ " تتكون الصوامت الاحتكاكية بأن يضيق مجرى الهواء الخارج من الرئتين في موضع من المواضع ، بحيث يحدث الهواء في خروجه احتكاكا مسموعا " (15)

وقد كانت الهاء من بين (26) صوتا احتكاكيا الأكثر ورودا حيث بلغت (11) مرة

(15) المرجع نفسه، ص 156.

الجدول الثالث : الصوت المجهور

الصوت	تواتره	مفتوح	مضموم	مكسور	ساكن	منون	مشدّد
ب	9	.	1	5	3	.	.
ج	1	;	.	.	.	.	1
د	.	!	.	.	.	.	.
ذ	4	.	.	3	1	.	.
ر	9	7	.	2	.	.	.
ز	.	;	.	.	.	.	.
ض	.	.	.	.	.	.	.
ظ	1	1	.	.	.	.	.
ع	.	.	.	.	.	.	.
غ	1	.	.	.	1	.	.
ل	16	6	.	1	6	.	3
م	14	4	3	5	2	.	.
ن	6	4	.	.	1	.	1
المجموع	61	22	4	16	14	.	5

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الجدول الرابع: الصوت المهموس

الصوت	تواتره	مفتوح	مضموم	مكسور	ساكن	منون	مشدّد
ت	7	3	2	2	.	.	.
ث	.	.	.	.	.	.	.
ح	3	1	.	.	2	.	.
خ	.	.	.	.	.	.	.
س	.	.	.	.	.	.	.
ش	2	.	.	.	1	.	1
ص	.	.	.	.	.	.	.
ط	.	.	.	.	.	.	.
ف	4	3	.	1	.	.	.
ق	5	4	.	1	.	.	.
ك	2	2	.	.	.	.	.
هـ	11	2	3	5	1	.	.
المجموع	34	15	5	9	4	.	1

في الجدول الثالث والرابع طغت الأصوات المجهورة على الأصوات المهموزة . حيث تواترت صفة الجهر (61) مرة في مقابل (34) مرة لصفة الهمس . كما أن للام حظ وافر من هذا الانتشار. وقد يكون في هذا التفاوت البين بين هذه الأصوات ما يوافق موضوع المناظرة نظرا لطبيعة التصادم بين أبي الانبياء إبراهيم عليه السلام ونمروذ ، حيث يستلزم مقام المقاومة والدعوة هذا الجهر والشدة .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الجدول الخامس :

الصوت المفخم و الصوت المرقق

الصوت	عدد تواتره	استعماله مفخما	استعماله مرققا
ل	16	16	.
ر	.	.	2
ص	.	.	.
خ	.	.	.
ض	.	.	.
ظ	1	1	.
ط	.	.	.
ق	5	4	1
المجموع	22	21	3

يبين الجدول أن الأصوات المفخمة غلبت على النص حيث بلغت (28) صوتا من (31) صوتا ، وبلغت الأصوات المرققة (3) أصوات ، وهذا التفاوت الكبير نلمح من خلاله استخداما أسلوبيا مقصودا ، إذ النص قوتان متجاذبتان ، كل يرغب في فرض ما رأه ؛ ذاك كافر مدع للألوهية وهذا نبي يعلم علم اليقين أن الذي يحيي ويميت هو الذي يأتي بالشمس من المشرق إلى المغرب ، فطبيعة التصادم بين هاتين القناعتين فرضت الصراع وأبرزت الأصوات المفخمة للدلالة على أن في النص قوة وانفعالا. وعموما فإن الخصائص الصوتية للنظام الحرفي للنص المدروس تشير إلى :

- قوة حضور الأصوات الانفجارية والمجهورة وذلك لطبيعة النص التصادمية . يقول ابن جني "وطبيعي أن تختلف أحوال الحروف لأن باختلافها يحسن التاليف" [16] فالنظام الثنائي في النص يجسد المخالفة بين الأصوات وذلك أن تصادم الأصوات وتدافعها يولد قيمة خلافية هي منشأ الاختلاف الدلالي والمعنوي .

وهذا ينفي نفيا قاطعا أن يكون بين تصادم هذه الأصوات وتباينها ما يدعو إلى التناقض حيث تداخل الحروف وتلاحقها وتتابعها من شأنه أن يختلف انسجاما وتنسيقا بين الحروف . - تعدد الصوائت وتنوعها ولعل في هذا التنوع ما يبرر تلون الموسيقى في النص .

(16) ابن جني . الخصائص . تحقيق، محمد علي النجار ، دار الكتاب العربي . بيروت ، ج 1 ، ص 57

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الجدول الخامس : الصوائت

عدد تواتر الصوائت	الفتحة القصيرة	الضمة القصيرة	الكسرة القصيرة
الأصوات الانفجارية	13	5	15
الأصوات الاحتكاكية	7	3	9
الأصوات المهموسة	15	5	9
الأصوات المجهورة	22	4	16
المجموع	57	17	49

لقد غلب في هذا الجدول استعمال الصوائت المفتوحة وذلك لوضوح الفتحة ، وخفتها "وهي صوت لين قصير تسمع بوضوح، فالفتحة أوضح من الضمة والكسرة " (17) وفي النص صراع وتقارع ، فكل يعمل على إسماع صوته وإيصال دليله " يقصد النص القراني في استخدامه لبعض الأصوات وتكرارها إلى تصوير بعض المواقف الإنسانية وتشخيصها تشخيصا يشعرنا بما تحمله هذه الأصوات من طاقات نغمية وشحنات إيقاعية بمقدورها إضفاء بعض الأجواء النفسية المؤثرة والظلال الموحية على المعنى" (18) ولعل من أكثر الأصوات بروزا صوت اللام إذ تواتر (16) مرة ؛

وحرف اللام يحدث عندما " يعتمد طرف اللسان على أصول الثنايا العليا بحيث تنشأ عقبه في وسط الفم مع ترك منفذ للهواء في إحدى حافتي اللسان أو عن حافتيه يرفع الحنك الأعلى فلا ينفذ الهواء عن طريق الأنف يتذبذب الوتران الصوتيان" (19) . وإن كل اللامات التي وردت كانت مفخمة " فيرتفع أقصى اللسان نحو (الحنك اللين) يساوي أقصى الحنك. فيكون له رنين شبيه برنين الصوائت الخلفية مثل ألف (قال)" (20)

(17) صابر عبد الدايم . موسيقى الشعر. ص 30.

(18) عزيز عدنان . سورة الفرقان . دراسة أسلوبيه . ص 58.

(19) محمود السّعران . علم اللغة -مقدمة للقارئ العربي- . ص 169

(20) المرجع نفسه . ص 170

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ومن أبرز الأصوات الانفجارية تصويرا وتشخيصا للموقف صوت الهمزة في قراءة حفص عن عاصم في قوله تعالى ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ ﴾- البقرة 257 -. فصوت الهمزة في هذا الجزء من الآية له أهمية بالغة فقد حمل كل قوى التحدي من إبراهيم عليه السلام تجاه نمروذ ،فالهمزة لها الشحنة العظيمة التي يفجرها إبراهيم أمام الملأ لإبطال دعوى نمروذ وإقامة الحجة عليه.

إن كثيرا من المفسرين يقولون بالانتقال أي أن إبراهيم عليه السلام انتقل من دليل الإحياء والإماتة إلى ظاهرة كونية لا يقدر عليها نمروذ. فهو لا يستطيع أن يدعي أنه يأتي بالشمس من المغرب على عكس ماهي عليه . وإن السامع لترتيل هذه الآية يلاحظ أن في النص انتقالا صوتيا ، وبالتقطيع الصوتي للنص يدرك تمام الإدراك هذا الانتقال : فبعد المدود التي غلبت على الجزء الأول من النص والهدوء ، يأتي الجزء الثاني بهذه الهمزات المتقاربة ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾.

ويصدر صوت الهمزة بعد حبسة بين الوترين الصوتيين ثم ينفجر الصوت بدفاق الهواء، فقد عبرت هذه الهمزة حقيقة عن حبسة حدثت عند إبراهيم عليه السلام كان عليه أن يوقف هذه الدعوى الحمقاء ، وهذا الافتراء العظيم وعليه أن يكسر جبروت نمروذ ويرده إلى واقعه الحقيقي ، فما هو إلا واحد من البشر يسري عليه ما يسري على كل مخلوق ، ثم يأتي الانفجار ، انفجار الدليل الأكبر والأوسع والأعظم .

وإبراهيم عليه السلام يوقن أن الذي يحيي ويميت هو الذي يأتي بالشمس من المشرق إلى المغرب ، فالانتقال هذا الذي حدث في الدليل ليس لأن الأول لم يف بالغرض ، لكنه للمغالطات التي حبكها نمروذ أمام هذا الحشد الكبير من السامعين . إبراهيم عليه السلام يعلم أنه أمام عقلية لا ينفع معها التوقف عند دليل الاحياء والإماتة ، ولذلك عليه أن يتوقف ويحبس هذا الدليل جانبا للمجيء ، بما يدهش هذا الطاغية ، فيفجر له جانبا آخر لم يلق له نمروذ بالا من قبل: إنه دليل كوني معروض للخلق وحقيقة لا تتغير مادام على الأرض حياة ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ

﴿فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾ فانفجار الأنفاس وانفجار الدليل بهت نمروذ ﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾.

لقد أوقعت الهمزة (إ - أ - أ) الانتقال " تنفيسا لخناقه وإرسالا لعنان المناظرة " (21).

إن طبيعة الموقف وحقيقته؛ إفحام وإسكات وإبهات، استدعت هذا الموقف لصوت الهمزة ليأتي الانفجار.

إن صوت الهمزة في (فإن - يأتي - فأت) صوّر نفسية إبراهيم عليه السلام وأوحى بالطاقة الجديدة التي أثارتها دعوى نمروذ فبعد أن كان مطمئنا هادئا ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ في يقين وثبات ، بهذه الامتدادات ، وهذا الهدوء في السياق، تراه يستجمع قواه للمجيء بما يبهت نمروذ .

ومن الأصوات التي كان لها حظ الاستعمال والظهور في نص المناظرة من الصوامت المكررة (الراء)، حيث بلغ تسع مرات في النص "ويتكون صوت الراء بأن تتابع طرقات طرف اللسان على اللثة تتابعا سريعا ، ومن هنا كانت تسمية هذا الصوت بالمكرر ، وهذه الطرقات لا تحدثها حركة عضلية واعية من طرف اللسان . فالذي يحدثه الوتران الصوتيان هو تلك النغمة عند نطق الراء " (22) . ولعل في تتابع الراء ما يصور تتابع وتلاحق اقتران الأدلة على وحدانية الله لدى إبراهيم عليه السلام .

إن مقام المناظرة استدعى حروفا بعينها دون أخرى ومادة الصوت "هي مظهر الانفعال النفسي وإن هذا الانفعال بطبيعته إنما هو سبب في تنويع الصوت بما يخرجه فيه مدا أو غنة أو لينا أو شدة وبما يهيء من الحركات المختلفة في اضطرابه وتتابعه على مقادير تناسب ما في النفس من أصولها "(23)

---

(21) الشوكاني (محمد بن علي بن محمد)، فتح القدير ، الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، ضبطه وصححه أحمد عبد السلام ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط 1 1994 ، ج 1 ،ص 348.

(22) محمود السّعران ، علم اللغة ة، ص 171.

(23) الرافعي(مصطفى صادق)، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ط9، دار الكتاب العربي، بيروت،1973. ص 215.

ولسائل أن يسأل : هل ما قاله إبراهيم في ذلك الموقف هو نفسه هذا التعبير ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾ ولا أصدق مما قاله الله. فقد جاء في القرآن «قال إبراهيم » لقد وحّد الله مقالات الأنبياء في القرآن وجعلها بلسان عربيٍ مبين .

إن الدراسة وصفية والنص محط الاهتمام. وقد أدى البناء الصوتي كل الغرض وأوصل الهدف من هذه المناظرة ورسم لنا معالمها مثل ما سنبين فيما يأتي ، ولقد كان لحضور الهمزة دور فعال في تحقيق ما أسماه العلماء بالانتقال والسؤال . هل يستطيع المتكلم أن يأتي بألفاظ اخرى خالية من الهمزة ويؤدي المعنى نفسه؟ من مثل (يجيء – يخرج ويدخل – يضيء) (فإن الله يجيء أو يخرج الشمس من المشرق فأخرجها أو جئ بها من المغرب)؟ .

لعل أخص خصيصة في صوت الهمزة أنها صوت انفجاري ، وموضع إبراهيم عليه السلام يحتاج إلى هذه النوعية من المادة الصوتية ، والأصوات العربية تحوي على ثمانية أصوات انفجارية حسب قول ابن جني في سر صناعة الإعراب (ء ، ق ، ك ، ج ، ط ، د ، ت ، ب) فالحروف السبعة ماعدا الهمزة تشترك معها في الانفجار لكن في النص الذي أوقع إنتقال الدليل الصوت البارز والمتكرر هو الهمزة وليس حرفا اخر من الحروف الأخرى . لقد ذكر صوت (الباء) مرة و (القاف) مرة و (التاء) مرتين مواليا للهمزة فكان دعما لها فاجتمع في الفعل الواحد صوتان انفجاريان أديا معنى قويا أراده إبراهيم عليه السلام .

ورغم ذلك فإن الصوت الذي كان له الحظ الأوفر هو الهمزة، وقد أدى دوره كاملا بتصوير نفسية إبراهيم عليه السلام وحدوث تلك الحبسة في الدليل (الإحياء والإماتة) ثم الانفجار ، انفجار الدليل الثاني (مشرق الشمس) .

وحري بنا ذكر مناظرة موسى عليه السلام لفرعون، فقد كان موسى في مناظرته هادئا واثقا من صدق دعوته ونصرة الله له وأوصل الرسالة في يقين وثبات: فكانت بداية المناظرة جمل طويلة بمدود طويلة ، ففي جمله نفس طويل واتساع عريض

﴿ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَن أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ - الشعراء 16 - ﴿ قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ - الشعراء 22- فلما غير فرعون لهجة الحديث ودخلت المناظرة مرحلة أخرى وحمي الوطيس واشتدت الحرب تغير بناء القول وأصبحت الجمل قصيرة قوية كأنها سهام مصوبة ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ - الشعراء 22- ﴿ قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُمْ مُّوقِنِينَ ﴾ - الشعراء 23- واستمرت المناظرة بجمل قصيرة تحمل من القوة للتعبير عن الإسراع للإبلاغ وبيان الحق راسمة لنا هذا الانفعال النفسي لموسى عليه السلام وتعقبه لمقالات فرعون والتركيز عن إثبات وحدانية الله. ففي الآيات وسرعتها قلق وخوف يبينه السياق . فلأن المناظرة بين موسى وفرعون كانت الآيات (الجمل) دليلا على تغير مراحل المناظرة ورسم نفسيات المتناظرين . وكان نص مناظرة إبراهيم قصير لعبت فيه الأصوات دورها على أتم وجه.

- المقاطع الصوتية

المقطع الصوتي وحدة صوتية مركبة "فهو أطول من الحرف وأقل من الكلمة المركبة ، أو هي مرحلة متوسطة بين الصوت المفرد والكلمة المركبة "(24) فالمقطع أصغر وحدة صوتية تنبني منها الكلمة ، وهي حد وسيط بين الكلمة المركبة والوحدة الصوتية المجردة (الحرف) و" في اللغة العربية يبتدئ المقطع بصامت متحرك ومن ثم امتنع وجود مقاطع ذات صامتين في بداية الكلمة، فلا يمكن في اللغة العربية أن تتوالى الوحدتان الصوتيتان (فْ. رْ) لكونهما صامتين فلابد من الفصل بينهما بحركة أو مد "(25) .

---

(24) عبد الرحمان الوجي ، الإيقاع في الشعر العربي، دار الحصاد للنشر والتوزيع ، دمشق، ط 1، 1989م ص 52

(25) المرجع نفسه والصفحة نفسها بتصرف

وأما أنواع المقاطع فهي في العربية كما يأتي :

1 - صامت + حركة قصيرة مثل : دَ ، فُ ، بِ

2 - صامت + حركة طويلة مثل : با ، في ، عو

3 - صامت + حركة قصيرة + صامت مثل : بلْ ، هلْ ، هُدْ ، بِرْ .

4 - صامت + حركة طويلة + صامت مثل : عاشْ ، صالْ (بسكون)

5 - صامت + حركة قصيرة + صامت مثل : أمْرْ

فالأول قصير والثاني والثالث طويلان والرابع مغرق في الطول .

والمقطع الصوتي مغلق ومفتوح: (26)

أ – فالمفتوح OPEN : 1 - صوت ساكن + صوت لين قصير (فتحة ، ضمة ، كسرة)

2 - صوت ساكن + صوت لين طويل (ا ،و ، ي)

ب -مغلق CLOSED :

3 - صوت ساكن + صوت لين + صوت ساكن (بلْ)

4 - صوت ساكن + صوت لين طويل + صوت ساكن (كانْ)

5 - صوت ساكن + صوت لين قصير + صوتان ساكنان .

(أمْرْ) في الوقف.

يعتبر المقطع الصوتي من ألطف الوسائل الصوتية التي يرتكز عليها النص القرآني في الانسجام الصوتي بين الآيات "والسبيل في تحديد أنماط المقاطع الواردة في النص ، يستند أساسا إلى المقاطع الأكثر بروزا وتميزا من الناحية الصوتية . ولعل

---

(26) المرجع نفسه ص 53 - 54

الذوق الفني والحس الروحاني كفيلان بالتماس الدور الإيقاعي والجمالي لهذه المقاطع (27) فالوحدة المقطعية في النص القرآني تخضع لنظام محكم ؛ وذلك أنها ترد وفقا لمقتضيات السياق ومتطلبات المقام. وحتى يتسنى استخراج الطاقة الصوتية من النص لابد من دراسة المقاطع الصوتية لنص المناظرة ومعرفة مدى استعمال النص القرآني للمقاطع الطويلة والقصيرة وأيهما غلب استعماله على الآخر ،لأن لكل مقطع خصوصية تميزه عن بقية المقاطع .

وبعد هذه النبذة القصيرة عن المقطع وخصائصه يجب تقطيع النص وكتابته كتابة مقطعية حتى تتيسر دراسته :

/ا = / ل = مْ / ت = / ر = / إ = / ل = لْ / ل = / ذي / حاجْ / ج = / إ = بْ /
/را /هي / م = / في / ر = بْ / ب = / هي / ا - نْ / آ / تا / هـ = لْ / لأ /
/هـ = لْ /م = لْ /ك = / إ = ذْ / قا / ل = / إ = بْ / را / هي / م = / ر = / ب = /
/ي = لْ /ل = / ذي / ي = خْ / يي /و = /ي = / مي / ت = / قا / ل = / ا = / نا
/ا - خْ /يي / و = / ا = / مي / ت = / قا / ل = / إ = بْ / را / هي / م = / ف = /
/إ = نْ /ن = لْ / لا / هـ = / ي = أ / تي / ب = شْ / ش = مْ / س = / م = /
/ن = لْ /م = شْ / ر = / ق = / ف = أ / ت = / ب = / هـا / م = / ن = لْ /
/م = غْ / ر = /ب = / ف = / ب = / هـ = / ت = لْ / ل = / ذي / ك = / ف = /
/ر = / و = لْ / لا / هـ = / لا / ي = هـْ / د = لْ / ق = وْ / م = ظْ / ظا / ل = /
/ مينْ /

بلغ العدد الإجمالي للمقاطع الصوتية للنّص(104) مقطعا صوتيا.

- بلغ عدد المقاطع القصيرة (42) مقطعا

- بلغ عدد المقاطع الطويلة (62) مقطعا.

---

(27) عزيز عدمان ، سورة الفرقان ، دراسة أسلوبية ، ص75.

لقد كثرت المقاطع الطويلة في الجزء الأول من المناظرة وقلت المقاطع القصيرة للدّلالة على اليقين والهدوء والنفسية الهادئة لإبراهيم عليه السّلام ، وزهو نمروذ بنفسه واتساع ملكه في « أن أتاه اللّه الملك » / آ / تا / لا / للدّلالة على الملك العريض.

والمقطع اللافت للانتباه هو / حاجْ / فهو مقطع مغرق في الطول مقفل ، وكانّ هذا المقطع لخّص المناظرة كلّها ؛ فقد تطاول نمروذ على إبراهيم ، فادعى الألوهية وزاد في جبروته للتدليل على أنه إله بأن "جاء بمغالطة عن جهل أو غرور في الإحياء و الإماتة إذ زعم أنه يعمد إلى من حكم عليه بالموت فيعفو عنه وإلى بريء فيقتله "(28) ورغم المد الطويل في / حاجْ/ فإن الوقف يأتي مباشرة ويقفل المقطع بعد مد طويل (حا) بـ (جيم) ساكنة (ج) ويقفل المقطع ليلقم نمروذ في فمه حجرا ويبهت ويعيد أدراجه القهقرى، وينقطع المد وتغمد الأنفاس وتسد كل المخارج.

وجاءت المقاطع المقفلة في الجزء الثاني من النص مخالفة لما كانت عليه في الجزء الأول فهذا تحول وانتقال في طبيعة المقاطع، فبعد أن كانت ممتدة أقفلت لأن إبراهيم عليه السلام أرادها أن تكون كذلك أمام الحشود المجتمعة عليه فيد حض دعوى نمروذ وينصر دعوته ويعلي كلمة الله ويسمعها لكل من حضر، فجاءت المقاطع ، قفلة محبوسة منفجرة لنقل مدار الحديث عن الإحياء والإماتة اللذين يؤمن بهما إبراهيم عليه السلام وهما ليسا اللذين يؤمن بهما نمروذ، فنظرة

نمروذ نظرة كبر، لذلك نقله إبراهيم إلى مايبهته «فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب»

فهذه الهمزات المحبوسة جاءت بعد الإبهات وانتهت المناظرة. فمقطع /حاجْ/ لخص المناظرة بامتداده الواسع في جزئه الأول، ثم بسكونه ليسكت الخصم. "إن أصوات الحرف إنما تنزل منزلة النبرات الموسيقية المرسلة في جملتها كيف اتفقت فلابد لها مع ذلك من نوع في التركيب وجهة من التأليف حين يمازج بعضها بعضا ويتآلف

---

(28) ابن عاشور. تفسير التحرير والتنوير. ج3،ص33 .

منها شيء مع شيء فتتداخل خواصها وتجتمع صفاتها ويكون منها اللحن الموسيقي، ولايكون إلا من الترتيب الصوتي الذي يثير بعضه بعضا على نسب معلومة، ترجع إلى درجات الصوت ومخارجه وأبعاده" (29).

«ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت» في الجزء الأول من النص هدوء في النسياق، انسياب في المقاطع هي امتدادات متتالية. كل واثق مما عنده من رصيد .

لإبراهيم عليه السلام؛ اليقين وهو رسول الله ورسالته أن يُعبَد الناس لله ويضرب أركان الشرك. ولنمروذ الزهو والغرور بما له من ملك عريض.

إننا ننظر ونسمع هذه المناظرة قال إبراهيم «ربي الذي يحيي ويميت» فيأتيه رد نمروذ «قال أنا أحيي وأميت» ويعمد إلى رجلين فيقتل أحدهما والآخر يبقيه حيا والموقف موقف دعوة، إبراهيم عليه السلام نبي مكلف بإظهار الحق فيتغير صوت إبراهيم عليه السلام «فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب» فتتغير المقاطع والنبرات ويتغير شكل الصورة وتتغير نفسيات كل الحاضرين وكان إبراهيم يأخذ بكل الرقاب ليوجهها وجهة أخرى فينتبه الجميع وتستيقظ النفوس بأن الله رب إبراهيم لايتصرف فقط في شخصين اثنين فيقتل أحدهما ويعفو عن الآخر ولكنه المتصرف في كل الكون فترى الأعناق كل الأعناق تنظر إلى السماء حيث الشمس هل يستطيع نمروذ أن يأتي بها من المغرب، فيعلم كل من حضر أنه لايستطيع ولن يستطيع، فيهزأون ويوقنون أن الله هو رب الأرباب فيبهت نمروذ ويخرص.

أما المقاطع المقفلة فقد كثرت في المرحلة الثانية من المناظرة للدلالة على الانفجار، انفجار الحبسات. فالهمزة تخرج بالانفجار.. إنك يانمروذ تكذب وتفتري دائما وتدعي أنك إله وحملت الناس على أن يصدقوك فتحكمت في أرزاقهم وحرمت من لايؤمن

---

(29) مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص213-212 .

بربوبيتك . هناك حبس للحقيقة حبس للرزق وحبس للأنفاس في صدور الذين يعلمون الحق ثم يأتي الانفجار بالحقيقة العظيمة وتتولى المقاطع المقفلة ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ ﴾

/إ= نْ/ ي = أ/ ب = ش/ ش = مْ / ف = لْ/ م = شْ/ ف= أ/ن= لْ/ م = غْ/

إنك لست إلها يانمروذ لأنك لاتستطيع أن تأتي بالشمس من المغرب ولعل المقطع المركزي في هذا النص هو

/ي=أ /وأيضا / ف= أْ / فهذه الهزة الساكنة في كلا الموضعين تحمل كل معاني التحدي (صامت وحركة قصيرة وهمزة ساكنة)

وبعض المحدثين يجعلون الهمزة لاهي مهموسة ولا مجهورة وابن جني يذكر أنها مجهورة إذ يقول" إعلم أن الهمزة حرف مجهور " (30) وطبعا قول ابن جني أسبق، وحكم القدامى على الهمزة بأنها مجهورة يتماشى مع ملاحظاتهم.

أما في العصر الحديث فقد تطورت وسائل الدراسة الصوتية وتبين للعلماء بأنها لامجهورة ولامهموسة.

إن "الجهر انحصار النفس في مخرج الحرف" (31) والمجهور "هو الحرف الذي أشبع الاعتماد في موضعه ومنع النفس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد ويجري الصوت" (32).

فالصوت الانفجاري (33) يتكون من :

---

(30) ابن جني. سر صناعة الإعراب. ج1. ص69.

(31)- حسن ظاظا. كلام العرب من قضايا العربية. دار النهضة للطباعة والنشر. بيروت. 1976 . ص 14

(32)- ابن جني. المرجع السابق. ص 60 و الباقلاني(أبو بكر محمد بن الطيب) . إعجاز القرآن . تحقيق عماد الدين أحمد حيدر. مؤسسة الكتب الثقافية. بيروت . ط1 . 1991 . ص 68 . 69

(33)- محمود السعران. علم اللغة . ص153.

1- حبس

2- اطلاق

3- صوت يتبع الاطلاق

إذا في المرحلة الثانية من المناظرة انتقال صوتي مقطعي، انتقال في السياق وفي الحروف وفي المقاطع لأن الاستدلال في المناظرة تغيّر ولذلك انتقل إبراهيم من الإحياء والإماتة إلى مشرق الشمس، "فليس يخفي أن مادة الصوت هي مظهر الانفعال النفسي وأن هذا الانتقال بطبيعته إنما هو سبب في تنويع الصوت... بما يهيء له من الحركات المختلفة في اضطرابه وتتابعه على مقادير تناسب ما في النفس من أصولها"(34) فلما تغيرت نفسية إبراهيم عليه السلام تغيرت الأصوات لتغير النفسية وتغير الدليل وتغير لهجة الحديث، فالمقاطع الصوتية لها الدور البارز في إعطاء مراحل المناظرة ورسم نفسيات المتناظرين، فالمقاطع الأخيرة من النص، (المرحلة الثالثة) من مراحل المناظرة مرحلة النهايات/ف َ/ ب ُ/ هـ ِ/- ت َ ل ْ/ ل َ/ ذي/ك َ/ ف َ/ ر َ/

نهاية المناظرة رسمتها المقاطع التسعة، سبعة منها قصيرة وواحد مغلق والاخر طويل مغرق في الطول فهذه المقاطع القصيرة / ف َ/ ب ُ/ هـ ِ/ ل َ/ ك َ/ / ف َ/ ر َ/.

رسمت لنا وبينت أن نمروذ قصرت أمامه، وتضاءلت قوته وفقد الزهو والغرور الذي كان يعتريه ويكسوه بأنه يحيي ويميت وعمد إلى مايبرهن على قوله بالإحياء والإماتة.

فلما انتقل الدليل وطولب بتغيير مشرق الشمس بهت، وقصرت أمامه كل الحيل كيف سيحتال على الشمس بفعل يوهم الناس أنه غيّر مشرقها قصرت دونه كل الحيل، فخرص وصمت.

(34)- مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص215.

فالحروف التي اختيرت لرسم هذه الصورة هي الباء والهاء والتاء. "فالباء يتكون بأن يوقف الهواء وقفا تاما وذلك بأن تنطبق الشفتان انطباقا كاملا ويرفع الحنك اللين فلايسمح بمرور الهوّاء إلى الأنف. يظغط الهواء مرة من الزمن وعندما تنفرج الشفتان يندفع الهواء من الفم محدثا صوتا انفجاريا، ويتذبذب الوتران الصوتيان أثناء النطق وهكذا يوصف الباء بايجاز بأنه صامت مجهور شفوي انفجاري" (35) وكأن هذا الصوت قد ألجم نمروذ بتوقف الهواء توقفا تاما، فالتوقف هنا شمل كل منافذ الهواء بأن أغلقت ثم يفتح الفم منفجرا بالهواء للتبعير عن تنهيدة عميقة يكمل رسمها الهاء الذي هو "صوت النفس الخالص الذي لايلقي مروره اعتراضا في الفم واللسان يتخذ في نطق الهاء أي موضع من المواضع التي يتخذها في نطق (الصوائت) ومن ثم فمن المستطاع نطق أنواع من الهاء قدر ما يستطاع نطقه من أنواع (الصوائت) ولذلك أمكن اعتبار أصوات الهاء (صوائت مهموسة) أي أصوات يصحبها همس لاجهر. فالهاء صامت مهموس حنجري احتكاكي" (36)

فالهاء ساعدت على إخراج التنهيدة العميقة من صدر نمروذ.

وفي همس الهاء وخفائه وضعفه مايناسب مهانة نمروذ وخفاء قوته وضعف حيلته أمام هذا الدليل الجديد دليل مشرق الشمس.

وأما التاء فتتكون بأن "يتوقف مجري الهواء وقفا تاما وذلك بأن يلتقي طرف اللسان بأصول الثنايا العليا، ويرفع الحنك اللين فلا يمر الهواء إلى الأنف يضغط الهواء مدة من الزمن ثم ينفصل العضوان انفصالا فجائيا محدثا صوتا انفجاريا" (37)

إن الصوت والمقاطع الصوتية هي الألوان التي ترسم بها مراحل المناظرة ونفسيات المتناظرين، فمجيء الباء بتوقف النفس ثم انفجاره ثم مجيء الهاء يزيد من

---

(35)- محمود السّعران، علم اللغة ،ص 153.

(36)- المرجع نفسه. ص178.

(37)- المرجع نفسه ص 153.

تمديد الهواء ثم تأتي التاء لتوقف الهواء مره ليحدث انفجارا حرف لأن الدليل [illegible] من تصور نمروذ، فتوالت عليها الانفجارات التي أضعفته، علما أن [illegible] مرفوقا بحركة قصيرة، ولكن التاء جاءت في مقطع مقفل / تَ نْ/ لايصار [illegible] وربطها بكل من كان على شاكلة نمروذ / تَ لْ/

إن / تَ لْ/ المقطع المقفل يتوسط المقاطع وكأنه إعلان أن قصر الحد [illegible] يعترض طريق كل من كفر / تَ لْ /ثم يأتي مقطع قصير /لَ/ [illegible] مقطعين مختلفين كل منهما يحمل حقيقة / تَ لْ/ صائت + صامت [illegible] وسكونه في موضعه من الحنك تقرير من الأعلى أن ماحدث لنمروذ يحدث [illegible] كان على شاكلته، ثم يأتي المقطع الآخر /ذ ي/ مقطع طويل، صامت + حركة طويلة وكأن هذا الطول في هذا المقطع المتوسطي -فهو الآخر قد توسط المقاطع التي أمام المناظرة - يعد النفوس والآذان ويشوقها لأن تسمع من هذا الذي غلب على [illegible] وألزم الحجة ثم تأتي المقاطع القصيرة /ك َ/ ف َ / ر َ / لمهانة [illegible] الصفة أتت بهذه المقاطع القصيرة وكأنها حتمية من الحتميات أن الذي يبهت [illegible] إلا الذي كفر. ولم يلتفت النص القرآني من بدايته إلى نهايته إلى ذكر إسم [illegible] كفر وإنما اكتفى بأوصافه لما لها علاقة بموضوع المناظرة.

ففي بداية نص المناظرة كانت المقاطع طويلة ممتدة للدلالة على اتساع [illegible] واتساع غروره ثم في نهاية المناظرة جاءت المقاطع قصيرة لمهانته، فالمقاطع الأولى كانت /أَ نْ / أ/ تا/ هـ ُ لْ / لا / هـ ُ لْ / م ُ لْ/

أما المقاطع الأخيرة فكانت /ف َ / ب ُ / هـ ِ / ل َ / ك = [illegible] /ر َ/.

وتأتي المقاطع في ختام المناظرة للتقرير الإلهي «والله لايهدي القوم الظالمين» /وَ لْ /لا / هـ ُ / لا / ي َ هـْ / د ِ لْ/ ق َ وْ / م َ ظْ / ظا/ [illegible]

وقد استخدمت المقاطع المقفلة في النص استخداما بديعا حيث نجدها [illegible]

يجسد هذا الحسم الإلهي والقانون الرباني حيث تشعرنا هذه المقاطع بعظمة المقرر المشرع الذي بيده الهداية وعدمها ومن هذا الذي لايريد الهداية؟ فبين الهداية والظلم علاقة عكسية، متى وجد الظلم رفعت الهداية.

ولعل المقطع اللافت للانتباه هو المقطع الأخير / مين / المغرق في الطول وقد انتهت به وختمت المناظرة على نحو ما بدئت بمقطع شبيه له /لجاجْ/ فمقطع /مينْ/ يقابل المقطع الأول / لجاجْ/ إن المقطع الأخير مرتبط بالسياق الاخير «والله لايهدي القوم الظالمين» فالظلم مهما طال فلابد من نهاية له وإذا كان ظلم نمروذ قد طال فإن الله مرر أنه ﴿ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾

ولذلك يأتي هذا المقطع الأخير بهذه الصورة / مين/ وبهذا الاغراق في الطول وينتهي طبعا بسكون، والسكون حسبة في النفس.

فالظلم مهما امتد وطال وتحكم في رقاب الناس، فإن نهايته توشك أن تأتي ،فيأتي السكون في آخر المقطع لايقاف هذا المد وجعل له حدا /مينْ/.

الفاصلة القرآنية

عرفها كل من السيوطي(38) والزركشي(39) بأنها " هي اخر كلمة الآية كقافيه الشعر وقرينة السجع " (40) وتقع الفاصلة عند الاستراحة في الخطاب لتحسين الكلام بها ، وهي الطريقة التي يباين القرآن بها سائر الكلام (41) ،تسمى فواصل لأنه ينفصل عندها الكلامان وذلك أن آخر الآية فصل بينها وبين ما بعدها ولم يسموها أسجاعا (42) تنزيها لأن يشبه القرآن بأصوات الطيور لأن السجع صوت الحمام وتسميتها (الفاصلة) أخذت من قوله تعالى ﴿ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ﴾ – فصلت 3- .

---

(38) السيوطي: عبد الرحمان بن أبي بكر بن سابق الدين الخضيري، إمام حافظ مؤرخ أديب له نحو 600 مصنف ت 911 هـ . الاعلام 301/3

(39) الزركشي: محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي عالم بفقه الشافعية والأصول له تصانيف كثيرة في فنون عدة. الأعلام 60/6 .

(40) الزركشي (بدر الدين محمد بن عبد الله) . البرهان في علوم القرآن . تحقيق . محمد أبو الفضل إبراهيم. المكتبة العصرية . بيروت. ط2. ج1 . ص 53 . والسيوطي . الإتقان في علوم القرآن . ج 2 . ص 124

(41) الباقلاني . إعجاز القرآن . ص 85 والزركشي . البرهان في علوم القرآن . ج 1 . ص 54.

(42) الزركشي . البرهان في علوم القرآن . ج1 . ص 54.

"والتفصيل توافق أواخر الآية في حروف الروي أو في الوزن، مما يقتضيه المعنى وتستريح إليه النفوس" (43) والامثلة على ذلك كثيرة في القرآن الكريم وفي الاخبار التي رويت عن الأعراب الفصحاء الذين فطنوا بسليقتهم إلى غلط بعض القارئين.

حكى الأصمعي(44) قال :«كنت أقرء ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِنَ اللَّهِ ﴾ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) . - المائدة 38- وبجنبي أعرابي فقال: كلام من هذا؟ فقلت كلام الله قال : أعد. فأعدت فقال : ليس هذا كلام الله فانتبهت فقرأت ﴿ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ -المائدة 38 -

فقال الآن صدقت، عز فحكم فقطع ولو رحم لغفر وماقطع.

فالفاصلة القرآنية في النص ﴿ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ "كأنها تعقيب على الآية أو تلخيص لمضمونها وقد تصرف القرآن في هذا تصرفا عجيبا فجاء بالفواصل بعد الآيات كأنها رجع الصدى" (45) وفاصلة النص قد لخصت مافيه ومافبله يقول تعالى ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ. أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ - البقرة257-255 -

فنمروذ واحد من الذين أخرجوا الناس من النور إلى الظلمات وقد فرض ربوبيته على الناس وقال انا أحيي وأميت، وتحكم في أرزاق الناس، فمن لم يعترف له بربوبيته

---

(43) محمد الحسناوي الفاصلة في القرآن ، ط2، المكتب الاسلامي ، دار عمار 1406هـ 1986 م ، ص29

(44) الأصمعي:عبد الملك بن قريب، راوية العرب وأحد أئمة العلم باللغة والشعر ت 216 هـ وفيات الاعيان 170/3، الفهرست 78

(45)- محمد الحسناوي الفاصلة في القرآن ص156.

لايعطي رزقه فالآية ﴿ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ "تذييل مقرر لمضمون الجمله التي قبله" (46) فقد لخصت الفاصلة القرآنية المعنى المراد من الآيات السابقة " فالله لايعينهم على بلوغ البغية من الفساد وقيل لايهديهم إلى المحاجة كما يهدي انبياءه وأولياءه" (47) قال الزركشي :"اعلم أن من المواضع التي يتأكد فيها إيقاع المناسبة مقاطع الكلام وأواخره وإيقاع الشيء فيها بما يشاكله فلابد أن يكون مناسبة للمعنى المذكور أولا وإلا خرج بعض الكلام عن بعض وفواصل القرآن العظيم لاتخرج عن ذلك لكن منه مايظهر، ومنه مايستخرج بالتأمل للبيب" (48) والفاصلة ﴿ وَاللَّهُ لَايَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ تدل على أن الله "لاينهمهم حجة ولا برهانا بل حجتهم داحضة عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد" (49)

إن المقطع / مينْ/ هو الفاصلة في النص كمقطع صوتي قال الباقلاني الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع يقع بها إفهام المعاني " (50) وتدل هذه الفاصلة بقوتها الصوتية وبطولها أو بمد اللين- الذي هو من أطول المدود إذ يصل إلى ثماني حركات- على تحقق القانون الإلهي أن الله لايهدي القوم الظالمين.

إن المقاطع الصوتية إشتركت في رسم نفسيات المتناظرين بمدودها الطويلة في بداية المناظرة تعبيرا عن الهدوء الذي ساد نفسيتي المتناظرين، ثم جاءت المقاطع المفعلة تعبيرا عن الانتقال الذي حدث في نفسية إبراهيم عليه السلام وفي الدليل وفي الألفاظ ثم جاءت المقاطع قصيرة تنتهي المناظرة ويبهت نمرود لقصر حجته، ومهانة دليله وضعفه. وفي الختام يأتي المقطع المقفل أو تأتي الفاصلة للتقرير الإلهي مميزا بالمقطع الأخير راسما مآل المناظرة. "إن نظام القرآن الصوتي باتساقه وائتلافه في حركاته

---

(46)- الشوكاني، فتح القدير، ج1، ص348

(47)- الطبرسي، مجمع البيان، ج1، ص312

(48)- الزركشي، البرهان في علوم القرآن ، ج1، ص78.

(49)- ابن كثير، تفسير ابن كثير، ج1، ص557.

(50) الباقلاني ، إعجاز القرآن ، ص 85 .

وسكاناته ومداته وغناته واتصالاته وسكتاته اتساقا عجيبا وائتلافا رائعا يسترعي الاسماع ويستهوي النفوس بطريقة لايمكن أن يصل إليها أي كلام آخر من منظوم ومنثور" (51)

وإن التأثر الواضح لعدد كبير ممن سمعوا القران وقت نزوله وتعبيرهم عن انبهارهم لدليل واضح على أن الإعجاز آنذاك كامن في رصف حروفه وفي إيقاعه العجيب "فهو أول شيء أحسته الآذان العربية أيام نزوله ولم تكن عهدت مثله من منثور الكلام: سواء أكان مرسلا أم مسجوعا حتى خيل إلى هؤلاء العرب أن القرآن شعر لأنهم أدركوا في إيقاعه وترجيعه لذة وأخذتهم من لذة هذا الإيقاع والترجيع هزة. لم يعرفوا شيئا قريبا منها إلا في الشعر ولكن سرعان ماعادوا على أنفسهم بالتخطئة فيما ظنوا حتى قال قائلهم - وهو الوليد بن المغيرة(52) (وماهو بالشعر) " (53) وتأتي هذه الكلمة من رجل ذواق للشعر عليم بخفاياه وأسراره، يقول عن نفسه "فوالله مامنكم من رجل أعلم مني بالشعر لابرجزه ولابقصيده... والله مايشبه الذي يقوله شيئا من هذا" (54)

إن القرآن الكريم أخذ من النثر جلاله وروعته ومن النظم جماله ومتعته ووقف منهما في نقطة وسط،خارقة لحدود العادة البشرية بين إطلاق النثر وإرساله وتقييد الشعر وأوزانه" (55)

لذا قال المغيرة تحت وطأة الانبهار " والله إن له لحلاوة وإن أصله لَعَذِق* وأن فرعه لجَنَاة" * (56).

---

(51) الزرقاني (محمد عبد العظيم)، مناهل العرفان في علوم القرآن، دار الفكر، مصر، ج2، ص309 . 310.

(52) الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم: من قضاة العرب في الجاهلية ومن زعماء قريش ومن زنادقتها. الأعلام8/122. الطبري جامع البيان ج 30 ص 96

(53) الزرقاني، مناهل العرفان، ج2، ص311.

(54) الطبري، جامع البيان، ج29، ص98.

(55) المرجع السابق والصفحة السابقة

(56) ابن هشام سيرة النبين لابن هشام، ج1، ص284.

* العذق: الكثير الشعب والأطراف ومن رواه بالغين المهجة والدال المهملة فمعناه المال ومنه قوله تعالى «ماء غدقا»

* جناة: أي فيه ثمر يجتنى

إن قصة تولي الوليد بن المغيرة واردة في سورة (المدثر) وهي السورة الثالثة في ترتيب النزول- سبقتها سورة «العلق» وسورة «المزمل» أو هي على العموم من السور الأولى في القرآن.

إن الآيات الأولى المكية ليس فيها تشريعًا محكمًا ولا علوما كونية إلا إشارة خفيفة في السورة الأولى لخلق الإنسان من علق، ولا نجد إخبارا بالغيب يقع بعد سنين كالذي ورد في سورة «الروم» وهي السورة الرابعة والثمانون.

لابد أن انبهار الوليد بن المغيرة كامن في صميم النسق القراني ذاته لا في الموضوع الذي يتحدث عنه وحده، وإن لم نغفل ما في روحانية العقيدة الإسلامية وبساطتها من جاذبية (57)

"إن الجمال اللغوي هو تلك الظاهرة العجيبة التي امتاز بها القرآن في رصف حروفه و ترتيب كلماته ترتيبا يقصر دونه كل ترتيب وبيان ذلك أن السماع الى حروف القرآن خارجة من مخارجها الصحيحة يشعر بلذة جديدة في رصف هذه الحروف بعضها بجانب بعض في الكلمات بميزان حتى تؤلف من المجموع قالبا لفظيا مدهشا وقشرة سطحية أخاذة امتزجت فيما والآيات هذا ينقر وذلك يصفر وهذا يخفي، وذاك يظهر، وهذا يهمس وذاك يجهر، فخرج القرآن في مجموعة مختلفة مؤتلفة، جامعة بين اللين والشدة من الحروف وصفاتها المتقابلة في موضعه جزالة البداوة في غير خشونة برقة الحضارة من غير ميوعة، وتلاقت عندها أذواق القبائل العربية على اختلافها بكل يسر وسهولة ولقد وصل الاعجاز اللغوي إلى قمة الإعجاز" (58)

---

(57) سيد قطب ، التصوير الفني في القرآن، ص 19-13

(58) الزرقاني، مناهل العرفان، ج2، ص312.

3-3 الدراسة التركيبية:

الجملة موضوع الدرس النحوي منها ينطلق اللغوي وإليها يعود وهي نوعان : اسمية وفعلية. "فالاسمية هي التي صدرها إسم كزيد قائم، وهيهات العميق وقائم الزيدان" ،و "الفعلية هي التي صدرها فعل كقام زيد وضرب اللص وكان زيدا قائما وظننت زيدا قائما ويقوم زيد وقم". (59)

إن المراد بصدر الجملة المسند أو المسند إليه فلا عبرة بما تقدم عليهما من الحروف، فالجملة من نحو أقائم الزيدان وأزيد أخوك ولعل أباك منطلق ومازيد قائم اسمية ومن نحو أقام زيد، وإن قام زيد، وقد قام زيد وهلا قمت فعلية، والمعتبر أيضا ما هو صدر في الاصل ،فالجملة من نحو كيف جاء زيد ومن نحو ﴿فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنكِرُونَ﴾ ومن نحو ﴿ فَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ و﴿ خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ ﴾ فعليه لأن هذه الأسماء في نية التأخير وكذا الجملة في نحو ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ﴾ ﴿ وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا﴾ ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾ فعلية لأن صدورها في الأصل أفعال والتقدير : وان إستجارك أحد، وخلق الأنعام وأقسم والليل (60) .

نلتزم في دراستنا هذه برأي الجمهور فنرى" أن الجملة الفعلية هي التي تقدم فيها الفعل(المسند) على (المسند إليه) الذي يأتي إسما أو ضميرا أو جملة ، وقد لا يظهر في البنية السطحية للجملة فيقدر حسب صيغة الفعل و السياق اللغوي" (61)

"إن الجملة ملتقى تقاطع مستوى (العلامات) اللغوية أي الصوت مع مستوى (الدلالات) المقصود التعبير عنها أي المعنى.

هذا التقاطع ليس عشوائيا كما أنه لايتم بصورة اعتباطية وإنما ينجزه المتكلم وفق نسقية من التركيب تنتظم كلام المتكلمين بلغته، هي بالتالي بنية لغوية وهذا معناه أن (الكلام) يستهلك بنية لغوية تتحكم بمقاطع المستويين اللذين للعلامات والدلالات وتنتظم وفقها وبها الجمل في تأديتها المعاني المقصودة.

---

(59) ابن هشام الانصاري ت 761هـ . مغني اللبيب عن كتب الاعاريب . تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد المكتبة العصرية . بيروت. 1411هـ 1991م . ج2 . ص433 . 434.

(60) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(61) محمد خان: نظام الجملة ودلالتها في (سورة البقرة) رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في اللغة اشراف الاستاذ مختار نويوات جامعة عنابة معهد اللغة والادب العربي.1405 د 1985 م ص 5

وإن (الدوال) أي الكلمات في خضوعها للتصريف والاعراب تصير إلى (المدلولات) أي المعاني والموقف التي لمواقف الحياة والواقع بفعل هذه (البنية اللغوية) والتي هي أساس الكلام وانجازه كافة " (62)

ولقد كانت الجمل الفعلية في النص كالآتي:

1- ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه-

2- فبهت الذي كفر-

ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم :"الأصل في ترى ترأى مثل "ترعى" إلا أن العرب اتفقوا على حذف الهمزة في المستقبل تخفيفا ولما حذفت الهمزة بقي آخر الفعل ألفا فحذفت في الجزم وإنما عداه هنا بـ (إلى) لأن معناه: ألم ينته علمك إلى كذا؟ والرؤية بمعنى العلم .

والهمزة في (ألم) استفهام، والاستفهام إذا دخل على النفى صار ايجابا وتقريرا ولايبقى الاستفهام، ولا النفي في المعنى" (63).

قال الفراء: ألم تر بمعنى هل رأيت. إن مجيء الفعل (رأى) بهذه الصيغة مقرونا بـ (ألم) للدلالة على التعجب والتقرير في الوقت نفسه لاحضار الصورة، وشهود الذي حدث (ألم تر) وكأن المناظرة تجري أحداثها فتأتي هذه الصياغة بالفعل المضارع المجزوم بلم لرسم كل معالم الرؤية الحقيقية ففي (ألم تر) تهيئة عامة لمن هو خارج النص ورسم ما يأتي بعد (ألم تر) ثم تأتي (إذْ) فتفتح باب المناظرة دون إطالة (فإذ) ظرف زمان وقد احضرت الزمان كاملا بما يحمل من مجريات المناظرة بين إبراهيم ونمروذ (ألم تر... إذ) ، قال سيبويه هي كالحين (64)

---

(62)- عدنان بن ذريل، اللغة والأسلوب - دراسة - منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق 1980م، ص202

(63)- العكبري (أبو البقاء عبد الله بن الحسين) التبيان في إعراب القرآن، تحقيق علي محمد البجاري ط2، دار الجيل، بيروت، 1987 ، ج1، ص193.

(64) سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر)، الكتاب، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ط2، مكتبة الخانجي القاهرة 1983 ج3، ص267.

ألم تر.. حين فإذ ظرف زمان (65) والعامل فيه ترى. "فألم تر؟ تعبير التشنيع والتفظيع، وإن الانكار والاستنكار لينطلقان من بنائه اللفظي وبنائه المعنوي سواء. فالفعلة منكرة حقا أن يأتي الحجاج والجدال بسبب النعمة والعطاء وأن يدعي عبد لنفسه ماهو من خصوصيات الرب وأن يستقل حاكم يحكم الناس بهواه دون أن يستمد قانونه من الله" (66). ففي هذا التركيب (ألم تر) تقرير لمن سمع بقصتهم ووقف على أخبار الأولين وتعجيب من حالهم ويجوز أن يخاطب به من لم ير ولم يسمع لأن هذا الكلام جرى مجرى المثل في معنى التعجب. أو تكون الرؤية بمعنى العلم والمعنى ألم ينته علمك، ولهذا عُدي بإلى.

(فألم تر) تعجيب من محاجة نمروذ في الله وكفره به «أن آتاه الله الملك» على معنى أن إيتاء الملك أبطره وأورثه الكبر والعتو فحاج لذلك أو على أنه وضع المحاجة في ربه موضع ماوجب عليه من الشكر على أن اتاه الله الملك فكأن المحاجة كانت لذلك كما نقول عادني فلان لأني أحسنت إليه. يعني أنه عكس ما كان يجب عليه من الموالاة لأجل الإحسان . (67) ﴿ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَ ﴾ جملة فعلية تدل على الحدث أي حدوث الإبهات لنمروذ لأن الفعل ثلاثي مجرد وهو يدل على مجرد الحدث ،يعني أنه حدث له هذا الإبهات وكان بصيغة الماضي ليدل على الانتهاء، وقد أسند لما لم يسم فاعله للدلالة على المفاجأة : أي أن الإبهات حدث فجأة . وللدلالة على أن الفعل صدر من المفعول ، ومادام الإبهات صادرا من الكافر . فهو العجز الكامل عن مواصلة الحجاج. فلو ذكر الفاعل لاستغرق ذلك زمنا ، ولأصبح الإبهات أمرا عاديا، كما أنه لا حاجة

---

(65) ابن الأنباري (أبو البركات) البيان في غريب القرآن تحقيق طه عبد الحميد طه. الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة. 1980. ج1 .ص169

(66)- النيسابوري (نظام الدين الحسن بن محمد بن الحسين القمي) تفسير غرائب القرآن ج2. ص390 بهامش جامع البيان في تفسير القرآن.

(67)- الزمخشري ، الكشاف ج1. ص305.

لذكر الفاعل هنا. فالأمر الذي كان من إبراهيم عليه السلام ﴿فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾ كان للتعجيز، فجاء الفعل على هذه الصيغة مقتضيا الزمن للتدليل على وقع المفاجأة على نمروذ ﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾ .

وجيء باسم الموصول (الذي) ليجيء بالصلة (كفر) وهو إشارة إلى أن كفره كان في الماضي، أما في الحاضر فقد علم يقينا عجزه ، وأن الله أقوى منه ، و لكنه لم يصرح بالإيمان تكبرا وبقي ظالما . لذلك قال تعالى تعقيبا ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ – البقرة 258–.

الجملة الاسمية هي تركيب اسنادي يتكون من مبتدأ تسند إليه كلمة أو أكثر تعرف نحويا بالخبر الذي تتم به الفائدة فيحسن السكوت، فالسكوت حد فاصل بين الجمل يشير إلى الانقطاع النحوي بينها وأساس الجملة الإسمية ركنان هما: المبتدأ والخبر تربط بينهما علاقة الإسناد التي تستفاد من مضمون الجملة.

والجملة الاسمية لا تشير إلى حدث و لا ترتبط بزمن كوني إذا دلت على الاحكام المطلقة والأوصاف الثابتة فهي تصف المبتدأ بالخبر وصفا ثابتا غير مقيد بزمن.

وقد تدل على زمن نحوي إذا كان خبرها مشتقا أو جملة فعلية، أوإذا دخلت عليها بعض الأدوات الناسخة فيصبح وصف المبتدأ بالخبر متطورا إليه في زمن معين(68)

على مابينه الجرجاني(69) " إن موضوع الاسم على أن يثبت به المعنى للشيء. من غير أن يقتضي تجدده شيئا بعد شيء.وأما الفعل فموضوعه يقتضي تجدد المعنى المثبت به شيئا فشيئا بل يكون المعنى فيه كالمعنى في قولك زيد طويل وعمر قصير

---

(68) محمد خان. نظام الجملة ص 47.

(69) الجرجاني: عبد القاهر الجرجاني بن عبد الرحمان محمد الجرجاني أبو بكر. ت 471 هـ واضع أصول البلاغة . كان من أئمة اللغة من أهل جرجان ابن أخت الشيخ أبي علي الفارسي.ترجمته في الاعلام الزركلي 48/4 إنباه الرواة على أنباه النحاة 182/2 . طبقات المفسرين للحافظ شمس الدين محمد بن علي ابن أحمد الداودي ت 945هـ تحقيق علي محمد عمر . مكتبة وهبة مصر ط1 1392-1972م.330/1

فكما لايقصد ههنا إلى أن نجعل الطول والقصر يتجدد ويحدث بل توجبهما وتثبتهما وتقضي بوجودهما على الإطلاق، كذلك لا تتعرض في قولك زيد منطلق لأكثر من إثباته لزيد، وأما الفعل فإنه يقصد فيه إلى ذلك فإذا قلت: زيد هو ذا ينطلق فقد زعمت أن الانطلاق يقع منه جزءا فجزءا وجعلته يزواله ويزجيه) (70)

والجمل الاسمية في النص كانت كالآتي:

﴿ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ ﴾

﴿ أَنَا أُحۡيِۦ وَأُمِيتُ ﴾

﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ ﴾.

﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾.

فجملة ﴿ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ ﴾ أراد بها سيدنا إبراهيم عليه السلام إثبات صفة الإحياء والإماتة إلى الله ومجيء الفعلين في الخبر يحيي ويميت للدلالة على أن هاتين العمليتين مستمرتين ومتجددتين لا تتوقفان حتى قيام الساعة.

وجملة ﴿ أَنَا أُحۡيِۦ وَأُمِيتُ ﴾ جملة إسمية فقد أضفى نمروذ على نفسه صفة الربوبية بالإحياء والإماتة فجاءت جملته إسمية على غرار جملة إبراهيم عليه السلام لما تفيده هذه الجملة "من الدوام والثبوت" (71) ﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ جملة إسمية تدل على الدوام والثبوت بقرينة المقام إذا كان خبرها مفردا أو جملة إسمية، اما إذا كان خبرها جملة فعلية فإنها تفيد التجدد.

﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ جملة اسمية خبرها جملة فعلية فأفادت الثبوت والدوام والتجدد. يؤدي إلى أن هناك علاقة عكسية بين الظلم والهداية حيث إنه إذا رفع الظلم وجدت الهداية وإذا كان الظلم رفعت الهداية فكلما كان الظلم لم تكن هداية. فلا هداية بوجودالظلم.

---

(70) عبد القاهر الجرجاني. دلائل الإعجاز. ص134-133

(71) مهدي المخزومي. في النحو العربي. نقد وتوجيه . ص42.

و(لا هداية) تتجدد بوجود الظلم.

فالجملة الاسمية ﴿ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ أفادت الثبوت والتجدد والدوام.

أفادت الثبوت لأنه قانون إلهي ﴿ وَاللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾

أفادت التجدد لأنه كلما كان الظلم كانت اللاهداية

أفادت الدوام لأن هذه العلاقة دائمة بين الظلم والهداية

﴿ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ ﴾

جملة شرطية شرطها محذوف (والشرط أسلوب لغوي ينبني بالتحليل على جزأين: الأول منزل منزلة السبب والثاني منزل منزلة المسبب يتحقق الثاني إذا تحقق الأول وينعدم الثاني إذا انعدم الأول لأن وجود الثاني معلق على وجود الأول (72). فهناك علاقة تلازمية بين الشرط وجواب الشرط فجملة ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ ﴾ جملة شرطية محذوفة الشرط. تقدير الكلام : "إذا كنت كما تدعي من أنك تحيي وتميت فالذي يحيي ويميت هو الذي يتصرف في الوجود . في خلق ذواته وتسخير كواكبه وحركاته، فهذه الشمس تبدو كل يوم من المشرق فان كنت إلها كما أدعيت تحيي وتميت فأت بها من المغرب" (73) "فجملة الشرط تتألف من عبارتين لاستقلال لإحداهما عن الأخرى" (74)

﴿فإن الله يأتي بالشمس من المشرق ﴾ جملة اسمية مثبتة ومؤكدة ب(إن) للدلالة على تأكيد الثبوت والتجدد جواب الشرط «فأت بها من المغرب»ف (أت) فعل أمر "وهو طلب حصول الفعل على جهة الاستعلاء" (75) وقد جاء الأمر للتعجيز لأن إبراهيم عليه السلام يعلم علم اليقين أن نمروذ لايحيي ولايميت ولن يستطيع أن يأتي بالشمس من المغرب "وجملة الشرط تعتمد على عبارتين هما عبارتا الشرط

---

(72)- المرجع نفسه ص284

(73) ابن كثير، تفسير ابن كثير، ج1. ص556

(74) مهدي المخزومي، في النحو العربي نقد وتوجيه. ص284

(75) مصطفى المراغي، علوم البلاغة ص71

والجزاء والشرط منزل منزلة السبب والجزاء منزل منزلة المسبب أي أن وجود الجزاء معلق على وجود الشرط فإذا وجد الشرط نص على تحققها أو عدم تحققها وكل ما يدل عليه هو أنه يجوز أن يقع ويجوز ألا يقع فكلا الأمرين محتمل ولا رجحان لأحدهما على الآخر.

وهذا المعنى هو الذي يفسره دخول الفاء على عبارة الجواب في بعض صور الشرط" (76). وجملة الشرط حذف منها الجزء الأول من عبارة الشرط؛ وهذا الحذف يؤدي إلى الحديث عن الايجاز بالحذف كلفتة بلاغية مهمة " والحذف باب دقيق المسلك لطيف المأخذ عجيب الأمر شبيه بالسحر فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الافادة أزيد للإفادة وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ماتكون بيانا إذا لم تبن" (77) ولكن حذف الشرط لايعني غيابه إنما السياق يدل عليه وجوابه كذلك «فأت بها من المغرب»

ولعدم تحقق لا الشرط ولا جوابه، لن يكون بعدها إلا الإبهات: ﴿ فَبُهِتَ الذي كَفَرَ﴾

ومن اللفتات البلاغية في هذا النص أيضا الفصل والوصل في النص والملاحظ على النص خلوه من حرف العطف والواو وقد وجدت الواو ﴿ وَاللَّهُ لَايَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ يقول عبد القاهر الجرجاني "اعلم أن العلم بما ينبغي أن يصنع في الجمل من عطف بعضها على بعض أو ترك العطف فيها والمجيء بها منثورة تستأنف واحدة بعد أخرى من أسرار البلاغة ومما لايأتي لتمام الصواب فيه إلا الأعراد الخلص، والأقوام طبعوا على البلاغة وأوتوا فنا من المعرفة في ذوق الكلام هذا بها أفراد" (78)

قال تعالى :﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الذِي حَآجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنَ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إبراهيم رَبِيَ الَّذِي يُحْيِ،وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِ،وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِن المشرو فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَايَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾

---

(76) مهدي المخزومي. في النحو العربي نقد وتوجيه. ص 287.

(77) الجرجاني. دلائل الاعجاز. ص 170.

(78) المصدر نفسه والصفحة نفسها

إنهما طرفان اثنان يتناظران وجها لوجه فكان الحوار مباشرا، فكثر حضور (قال) لادارة الحوار، قال الجرجاني "واعلم أن الذي تراه في التنزيل من لفظ قال مفصولا غير معطوف هذا هو التقدير فيه " (79) وهو يقصد تقدير الكلام الذي يتخيله السامع أو القارئ للنص القرآني فيختار له لفظ (قال). "جاء على مايقع في أنفس المخلوقين من السؤال فلما كان في العرف والعادة فيما بين المخلوقين إذا قيل لهم : دخل قوم على فلان فقالوا كذا أن يقولوا : فما قال هو؟ ويقول المجيب:قال كذا أخرج الكلام ذلك المخرج لأن الناس خوطبوا بما يتعارفونه وسلك باللفظ معهم المسلك الذي يسلكونه" (80) والقرآن الكريم كلام الله المعجز جاء فريدا في نسيجه، فالقارئ لمحاوراته ينقل نقلا إلى السماع من أفواه المتحدثين ولا يحتاج إلى هذه الوسائط اللفظية التي تقضي على انسجام الصورة التي يرمي النص القرآني إلى رسمها وتبقى التساؤلات التي تجيش في نفس قارئ القرآن تهيئه لمتابعه الحوار دون فواصل بين حديث المتحاورين، فيأتي لفظ (قال) لاحياء المشهد واحضار كمالات الصورة.

ويكون بناء النص على العرف والعادة بين المخاطبين على طريقة الجرجاني في دراسته للنص القرآني: ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ ﴾

وذكر أن قوله ﴿ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ ﴾ يقتضي أن يتبع هذا الفعل بقول فكأنه قيل والله أعلم فما قال حين وضع الطعام بين أيديهم؟ فأتي قوله ﴿ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴾ جوابا عن ذلك وكذا ﴿ قَالُوا لَا تَخَفْ ﴾ لأن قوله ﴿ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ﴾

---

(79)- المصدر نفسه ص175.

(80)- المصدر نفسه والصفحة نفسها

يقتضي أن يكون من الملائكة كلام في تأنيسه ،وتسكينه مما خامره فكأنه قيل: فما قالوا حين رأوه وقد تغير ودخلته الخيفة؟ فقيل : ﴿ قَالُواْ لَا تَخَفْ ﴾ وذلك والله أعلم في جميع ماجيء منه على كثرته كالذي يجيء في قصة فرعون وفي رد موسى عليه السلام كقوله ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَابَيْنَهُمَا إِن كُنتُمْ مُّوقِنِينَ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِيَ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَابَيْنَهُمَا إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴾ الشعراء 29

جاء ذلك كله والله أعلم على تقدير السؤال والجواب كالذي جرت به العادة فيما بين المخلوقين فلما كان السامع منا إذا سمع الخبر عن فرعون بأنه قال ومارب العالمين وقع في نفسه أن يقول فما قال موسى له ؟ أتى قوله:﴿ قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾. يأتي الجواب مبتدأ مفصولا غير معطوف، وهكذا التقدير والتفسير أبدا في كل ماجاء فيه لفظ (قال) هذا المجيء " (81)، فهذه الجمل المحذوفة التي تقدر في نفس السامع توحي بوجود علاقة ترابط بين القارئ أو السامع والنص علاقة امتزاج فيصبح القارئ والسامع جزءا من النص أو عنصرا من عناصر النص، فهناك جمل كثيرة محذوفة، يستثيرها في نفس السامع ويوجدها في خلده فتتكون هذه العلاقة بين النص وقارئه علما أن هذا الحذف يرجع إلى قاعدة أخرى يتبعها القرآن هي الايجاز "والايجاز قصور البلاغة على الحقيقة وما تجاوز مقدار الحاجة فهو فضل" (82).

إن هذه التراكيب التي ألفت النص لم تكن أحجارا صماء تراصت لتبني هيكلا عاما هو الموضوع، بل هي جمل مؤثرة فاعلة في بعضها البعض" لها طبيعتها وخصائصها ولها ثقلها واثرها في غيرها يحسن البحث عن سر تكوينها وعن أثر

---

(81)- المصدر نفسه والصفحة نفسها

(82)- أبو هلال العسكري (الحسن بن عبد الله بن سهل). كتاب الصناعتين. تحقيق علي محمد البجاوي وآخر. المكتبة العصرية . بيروت. 1406 هـ /1986م. ص173

وجودها وعن فاعليتها وعما يمكن أن تؤديه بوجودها معطوفة أو مستأنفة موصولة أو مفصولة مقدمة أو مؤخرة معرفة أو منكرة حالية أو مؤكدة" (83)، فهذا النص يجب أن يدرس في سياقه مع جيرانه ماقبله ومابعده من نصوص. وإن نص المناظرة يمثل موضوعا واحدا مع الآيتين الأتيتين بعده ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾- البقرة 258 ، 259 "فهذه الآيات الثلاثة تناولت موضوعا واحدا في جملته سر الحياة والموت وحقيقتهما، وهي بهذا تؤلف جانبا من جوانب التصور الإسلامي يضاف إلى القواعد التي قررتها الآيات السابقة منذ مطلع هذا الجزء وتتصل اتصالا مباشرا بآية الكرسي وماقررته من صفات الله تعالى وهي جميعا تمثل جانبا من جوانب الجهد الطويل المتجلي في القرآن لانشاء التصور الصحيح لحقائق هذا الوجود في ضمير المسلم وفي إدراكه" (84)

إن حديث إبراهيم عليه السلام عن الله سبحانه وتعالى يبين أنه هو الرب الوحيد المتصرف في الأنفس والآفاق، كل هذا يبني التصور الصحيح لحقائق الوجود "الأمر الذي لابد منه للإقبال على الحياة بعد ذلك إقبالا بصيرا منبثقا من الرؤية الصحيحة والواضحة وقائما على اليقين الثابت المطمئن فنظام الحياة ومنهج السلوك وقواعد

---

(83) منير سلطان، بلاغة الكلمة والجملة والجمل، منشأة المعارف، مصر، 1988م، ص189.

(84)- سيد قطب، في ظلال القرآن، ج1، ص296.

الأخلاق والآداب ليست بمعزل عن التصور الاعتقادي بل هي قائمة عليه مستمدة منه ومايمكن أن تثبت وتستقيم ويكون لها ميزان مستقر إلا أن ترتبط بالقعيدة وبالتصور الشامل لحقيقة هذا الوجود، وارتباطاته بخالقه الذي وهبه الوجود ومن ثم هذا التركيز القوي على إيضاح قواعد التصور الاعتقادي الذي استغرق القرآن المكي كله ومايزال يطالع الناس في القرآن المدني بمناسبة كل تشريع وكل توجيه في شؤون الحياة جميعا" (85)

(85) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج 1، ص196.

3-3- الدراسة الدّلالية

تندرج دراسة المستوى الدلالي ضمن علم الدلالة " ولو تفحصنا الخطوات التي تكاد تجمع عليها الاتجاهات والمناهج الدلالية في محاولة الوصول إلى المعنى والدلالة لوجدناها تمر عن طريق الإفادة من مستويات علم اللغة التالية: - المستوى الفونولوجي (الصوتي)

- المستوى المرفولوجي (الصرفي)
- المستوى التركيبي والنحوي
- المستوى المعجمي

ويذهب الدكتور تمام حسان إلى أن الوصول إلى المعنى في صورته الشاملة لابد أن يفيد من الدراسات اللغوية المختلفة مثل الصوت والصرف والنحو وهي الخاصة بتحليل المعنى الوظيفي ثم المعجمي .

وتبدأ معظم المناهج الدلالية بفحص البنى الصوتية والصرفية والتركيبية والمعجمية لاستنطاق المعنى . وتصرف جهدا كبيرا لتحليل الألفاظ والمفردات والماطة اللثام عن عناصر الإبهام والغموض التي قد تحيط بالمفردة أو الجملة " (86).

وستعتمد هذه الدراسة الدلالية لنص مناظرة إبراهيم على دراسة الألفاظ وقدرتها على تصوير مواقف المناظرة . ولأن النص قصير فلا يمكننا رصد الحقول الدلالية كدراسة معجمية وإنما نكتفي بدراسة الألفاظ " إن النص بمعناه الإصطلاحي يقتضي وجود انسجام بين أجزائه ومادمنا أثبتنا أن لنا نصا فإننا سنتحو صوب إيضاح آليات انسجامه وأهمها الكلمة -المحور- إن الكلمة هي المادة الأساسية لبناء أي خطاب لغوي لتبليغ رسالة ولذلك اهتم الباحثون بالآليات التي تحكم وقوعها وتضبط العلاقات فيما بينها " (87)

---

(86) فاضل ثامر.اللغة الثانية ص 196.

(87) محمد مفتاح . دينامية النص . ص 162 .

قال السيوطي: "ماخرج من الفم إن لم يشتمل على حرف ولم يفد معنى فلفظ، وإن أفاد معنى فقول، فإن كان مفردا فكلمة أو مركبا من اثنين ولم يفد نسبة مقصودة لذاتها فجلمة، أو أفاد ذلك، فكلام أو من ثلاثة فكلم، والكلمة إما اسم وإما فعل وإما حرف، ولا رابع لها" (88) و للنحاة تصور آخر للكلمة فهي عندهم "عبارة عن صوتين : صائت وصامت "متحرك وساكن" أو أكثر ... وتدل على معنى مستقل مفرد أي أن تصورهم للكلمة يقوم على أصول ثلاثة هي :

1- الصوت - 2- الاستقبال - 3 - الدلالة المفردة أو الجزئية " (89)

إن الكلمة ودلالتها وقيمتها في التعبير قد استغرقت علماء البلاغة العربية أمدا طويلا فيما يعرف في تاريخ البلاغة بقضية اللفظ والمعنى لما لها من صلة بقضية الإعجاز القرآني ، قال ابن جني : " اعلم أنه لما كانت الألفاظ للمعاني أزمّة وعليها أدلة وإليها موصلة وعلى المراد منها محصلة عنيت العرب بها ، فأولتها صدرا صالحا من تثقيفها وإصلاحها " (90) وقد اشترط العرب في اللفظة شروطا تحسن اللفظة إن توفرت فيها وتقبح إن خلت منها ، وهذه الشروط مستخرجة من كلام العرب نثرا وشعرا ونجدها مبثوثة في كتب البيان والبلاغة والنقد ولعل الذي أولى اهتماما واضحا باللفظ ابن سنان الخفاجي في كتابه سر الفصاحة . ويتضح المعنى الدلالي للفظة ومدى مساهمته في رسم الصورة المتكاملة للنص بتتبع الألفاظ في نص المناظرة ودراستها دراسة دلالية تصويرية.

ولعل اللفظتان (حاج) و(بهت) هما المركزيتان في المناظرة وقد حملتا من الدلالة ما تناولته المناظرة من معان.فلفظة (حاج)بمعنى خاصم وهو فعل جاء على زنة المفاعلة يقال حاججته حجاجا ومحاجة حتى حججته أي غلبته بالحجج التي أدليت بها "(91).

---

(88) السيوطي(جلال الدين).الأشباه والنظائر في النحو .تحقيق نمازي مختار طليمات .مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق .ج2، ص4.

(89)- حلمي خليل. الكلمة. "دراسة لغوية معجمية". دار المعرفة الجامعية، مصر، ط2، 1996م . ص22.

(90) ابن جني. الخائص . ج 1 . ص 312.

(91)- ابن منظور. لسان العرب، ج2، ص779

وقال ابن عاشور: "والحجة في كلام العرب البرهان المصدق للدعوى مع أن حاج لاتستعمل غالبا إلا في معنى المخاصمة" (92) قال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ ﴾ مع قوله ﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ ﴾ وإن الأغلب أنه يفيد الخصام بالباطل قال تعالى ﴿ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ ﴾ وقال ﴿ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ ﴾.

والآيات في ذلك كثيرة فمعنى الذي حاج إبراهيم أنه خاصمه خصاما باطلا في شأن صفات الله رب إبراهيم. فنمروذ حاج إبراهيم لأن اتاه الله الملك، قال الزمخشري "إن إيتاء الملك أبطره وأورثه الكبر والعتو فحاج لذلك أو على أنه وضع المحاجة في ربه موضع ماوجب عليه من الشكر على أن أتاه الله الملك فكأن المحاجة كانت لذلك كما تقول: عاداني فلان لأني أحسنت إليه" (93)

(فبهت) : في بهت أربع لغات بَهَت وبَهِت وبَهُت وبُهِت. الأفصح وعليه القراء. ويقال بُهِت الرجل يُبْهت بَهتا إذا انقطع وتحير ويقال بُهت الرجل أبْهته بهتانا إذا قابلته بكذب فالبهت الحيرة عند استيلاء الحجة" (94)

قال الأخفش" في﴿ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ﴾ أي بهته إبراهيم (وبُهِت) أجود وأكثر" (95) إن هذه اللفظة "(بُهِت) ترسم لنا شخصا كان مزهوا بنفسه مطمئنا للمغالطات التي يحوكها فجاءت هذه اللفظة بإيحائها وجرسها تصور إنسانا قد جحظت

---

(92)- ابن عاشور، تفسير التحرير و التنوير. ج3. ص31.

(93) الزمخشري، الكشاف ج1. ص156

(94) الطبرسي (أبو علي الفضل بن الحسين) ،مجمع البيان في تفسير القرآن، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت. ج1. ص311

(95)- الأخفش الأوسط (أبو الحسن سعيد بن مسعدة) ،كتاب معاني القرآن، تحقيق. هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي. القاهرة، ط1.1990. ج1. ص197.

عيناه وفتح فمه وتصلب واقفا لايتحرك؛ صورة المبهوت الذي صرعته الحجة. فلم يعد له حراك؛ وكيف يتحرك أو ينطق وهو أمام هذه الحشود التي يريد أمامها أن يبين لهم جميعا أنه ربهم. لقد كانت لفظة (حاج) كفيلة أن تبين لنا حقيقة مراحل المناظرة وتفاهة ما عند هذا الذي حاج. لأنها لا تعني سوى المخاصمة في الباطل. ولفظة (بُهِت) رسمت مآل المناظرة بإلزام نمروذ لما قصرت أمامه كل الحيل التي يموه بها الحقيقة فيدعي أنه يستطيع أن يأتي بالشمس من المغرب على غرار قتله للبريء وتركه للمذنب لأن الغنى أبطره والملك أعماه، وظن أنه فعلا يحيي ويميت .

"إن لفظة القرآن تعرض النفوس البشرية وتنطلق بما في منعطفاتها النفسية وتشارك التصوير في مهمته إذ تحل محله لتؤدي مغزاها المحدد لها ولتكون وافية بحق الأهداف السامية التي يرمي إليها القران" (96) فلفظه (فَبُهت) رسمت في النص القرآني مرحلة كاملة من مراحل المناظرة، وهذ إلزام السائل نمروذ وما يعتلج في نفسه من هوان وأثر ذلك الهوان والإلزام قد بينه لفظ (بُهت).

لقد أصاب سيد قطب (رحمه الله) حين قال :"إن التصوير هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن، فهو يعبر بالصورة المحسة المتخيلة عن المعنى الذهني، والحالة النفسية وعن الحادث المحسوس والمشهد المنظور، وعن النموذج الإنساني ، والطبيعة البشرية ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة أو الحركة المتجددة. فإذا المعنى الذهني هيئة أو حركة، وإذا الحالة النفسية لوحة أو مشهد. وإذا النموذج الأنساني شاخص حي وإذا الطبيعة البشرية مجسمة مرئية" (97) فلفظة (بُهت) أحضرت صورة رجل كان يملك كل الثقة وذهب به الزهو وذهب به الغرور مذاهب شتى فأحاط نفسه بهيلمان عظيم، هيلمان الربوبية، فحشر فنادى فقال :"أنا أحيي وأميت" بكل هزء وسخرية وحماقة وفي لحظة... تهاوى الهيلمان، وانقلبت الثقة الى

(96) عمر السلامي، الإعجاز الفني في القرآن الكريم، ص94

(97) سيد قطب، التصوير الفني في القرآن الكريم، دار الشروق، القاهرة ، ط10، 1988، ص36.

هزة عنيفة أحالته شخصا مبهوتا قد تهاوت في ذهنه كل الحيل، وأبهتته فكرة الإتيان بالشمس من المغرب. صعقته الحقيقة. إنه لايستطيع ولن يستطيع لقد تصلبت عضلاته وشرايينه فأصبحت صورة (فبهت) لرجل واقف وقفة فيها مهانة مفتوح الفم مسدول اليدين، عيناه مشرعتان ولا تكادان تتحركان "إن الأداة التي تصور المعنى الذهني والحالة النفسية وتشخص النموذج الإنساني أو الحادث المروي إنما هي ألفاظ جامدة لا ألوان تصور ولاشخوص تعبر" (98) لقد استطاعت اللفظة أن تصور وتعبر لميزاتها الثلاثة

1- جمال وقعها في السمع

2- اتساقها الكامل مع المعنى

3- اتساع دلالتها لما لا تتسع له عادة دلالات الكلمات الأخرى

إن وقع جرسها على الأذن لا يحمل المعنى مجردا ولكنه يحمله محسوسا باجتماع خصائص الحروف الثلاثة الباء والهاء والتاء. أما اتساقها مع المعنى فقد لخصت جزءا مهما من المناظرة وهي المرحلة الأخيرة مرحلة النهايات حيث الإلزام أو الافحام وقد اتسعت دلالتها لأن تسع المعنى القراني الذي يراد من اللفظ.

"إن التصوير الفني تصويري باللون، وتصوير بالحركة وتصويرَ بالتخييل كما أنه تصوير بالنغمة تقوم مقام اللون في التمثيل" (99) والذي ساعد على رسم الصورة هو بداية النص (ألم تر) التي أوحت بنقل المستمع والقارئ إلى مسرح الأحداث الأول حيث يصبح واحدا من الحاضرين "فما يكاد يبدأ العرض حتى يحيل المستمعين نظارة وحتى ينقلهم نقلا إلى مسرح الحوادث الأول الذي وقعت فيه أو ستقع" (100) و﴿ ألم تر الى الذي﴾ إنما أدخلت (إلى) في الكلام للتعجب من حال الكافر المحاج بالباطل

---

(98) المرجع نفسه ص37.

(99) السيد قطب: التصوير الفني في القرآن الكريم. دار الشروق. القاهرة. ط10. 1988. ص37

(100) المرجع نفسه والصفحة نفسها.

يقولون: أما ترى إلى فلان كيف يصنع؟ ومنه معنى هل رأيت كفلان في صنيعه كذا؟ فإنما دخلت (إلى) مابين حروف الجر لهذا المعنى لأنها لما كانت بمعنى الغاية والنهاية صار الكلام بمنزلة هل انتهت رؤيتك إلى من هذه صفته! ليدل على بعد وقوع مثله على التعجب منه، لأن التعجيب إنما يكون مما استبهم سببه ولم تجر العادة به "(101)

"إ ن القرآن يتخير لكل شأن أشرف المواد وأمسها رحما بالمعنى المراد وأجمعها للشوارد وأقبلها للامتزاج ويضع كل مثقال ذرة في موضعها الذي هو أحق بها وهي أحق به بحيث لايجد المعنى في لفظه إلا مراته الناصعة وصورته الكاملة ولايجد اللفظ في معناه إلا وطنه الأمين وقراره المكين" (102) وهذا ما وجدناه في ألفاظ النص، لقد اختيرت اختيارا لأداء معاني المناظرة. فوجدناها لم تؤد المعنى فقط ولكنها رسمت لنا مشاهد ومراحل المناظرة رسما بديعا متحركا فيه الحياة، وفيه الحركة ؛ هذا لفظ يرسم المكان، وذاك يحضر الزمان والآخر يهيء الجو والنفسيات لمشاهدة وسماع المناظرة. ولفظ أخر يفتح باب المناظرة بعدما أعطيت ملامح المتناظرين وتسير المناظرة لتنتهي بلفظة قد صورت أفضل تصوير نهايتها.

ومن خلال هذه الدراسة أخلص إلى بعض الملاحظات

(1)- مدى فاعلية الصوت في الإيحاء بالمعنى وبناء تصور كامل للمعنى في نفس السامع من خلال الصوت ومثل ذلك كثير من الأصوات. ويبقى التركيز على الهمزة ويكفي أنها كانت حاضرة بقوة في الإيحاء بمعاني التفجير في نص المناظرة.

(2)- مدى قدرة اللفظ على تصوير المعنى تصويرا كاملا اكتملت له كل جوانب التشخيص، وقد ظهر ذلك من خلال لفظ (بهت) وقدرته على تلخيص مرحلة من مراحل المناظرة بصورة متحركة رسمها هذا اللفظ.

---

(101) الطبرسي (أبو علي الفضل بن الحسن)، مجمع البيان في تفسير القرآن، منشورات دار الحياة ،بيرت ، ج1، ص311.

(102) عبد الله دراز ، النبأ العظيم - نظرات جديدة في القرآن - مطبعة السعادة ، مصر، 1960 ، ص 85 .

(3)- مدى استجابة التراكيب في نسج المعاني نسجا متناسقا متلائما معها وإن الوقوف عند الجمل الاسمية والفعلية واستقلال كل قسم بما يهيء له لدليل على فاعلية هذه التراكيب والجمل في خضوعها للغرض الموضوعي الفني.

(4)- إن تفاعل هذه التراكيب وخلق هذا الاكتمال والانسجام في جميع الأغراض بحيث لايطغى غرض على غرض يوحي

بالتقاء الكمالات في النص القرآني؛ الغرض الديني والغرض الفني الجمالي، تعطى المعاني الدينية والأفكار في إطار جميل، فتتناغم الأغراض، وتلتقي ليستقر في أعماقنا قمة الإعجاز البياني في القرآن الكريم نتذوقه بحواسنا ونلمسه لمسا مباشرا في نصوص القرآن الكريم.

وسيظل الإعجاز البياني للقرآن الكريم منبع الدراسات الإعجازية يستقي منه كل جيل قدر طاقته وماهيء له في عصره لأن عطاءات النص لاتنتهي.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

خاتمة

ويحسن بنا عند نهاية هذا البحث أن نسجل أهم النتائج التي توصلنا إليها وهي كالآتي:

- أن المناظرات فن من فنون القول، شأنها في ذلك شأن القصة والمسرحية والرواية... وتقوم المناظرة على أربعة أركان:

الشخصية والدعوى والمآل والآداب.

والشخصية في المناظرة تختلف عن باقي الشخصيات في الأعمال الأدبية الأخرى. فهي شخصية واقعية متكافئة واعية ثابتة لامحورية.

وللمناظرة ثلاث مراحل:

1- مرحلة المبادئ(عرض الدعوى)

2- مرحلة الأواسط (سوق الأدلة)

3- مرحلة النهايات (المآل)

أن في مناظرات القرآن تنوع في سوق الأدلة؛ فمناظرات إبراهيم عليه السلام تنوعت واختلفت أساليبه في المناظرة مع نمروذ وأبيه وقومه.

فقد كان مع نمروذ قاطعا ودليله مبهتا فأخرس الخصم.

وكان مع أبيه عطوفا متوددا لين القول رضيه. فلما علمه عدو الله تبرأ منه وكان مع قومه مشفقا عليهم بليغا في تقديم الحجج الدامغة، فهناك مزاوجة بين الاشفاق والحدة في الدليل.

ومناظرة موسى عليه السلام لفرعون تميزت بثباته

أمام مدعوه إذ لم يتوقف موسى ولم يأبه له يحوكه فرعون لتحويل مسار الحديث بل مضى ثابتا في شرح دعوته والتأكيد عليها.

ولم يتوقف عند الذي أراد فرعون ولم يأبه للتهم التي وجهها ضده. بل مضى مؤكدا في مساره الذي رسمه هو وانتهت المناظرة بإيمان السحرة الذين أتى بهم فرعون ليكونوا وسيلته في المناظرة.

– أن الأنبياء قد استفادوا من الدعوات السابقة فقد استعمل موسى الأدلة نفسها التي ساقها إبراهيم عليه السلام على وحدانية الله فتبين أنه استفاد من مناظرة إبراهيم. فموسى لم يبدأ بالإحياء والإماتة كدليل على وجود الله ووحدانيته وتصرفه في الوجود وحده لأن موسى يعْلم أن فرعون قادر على قتل كل بني إسرائيل إذا قال: ﴿أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾ فأغلق عليه الباب ولم يعطه الفرصة لأن يموه دليل الإحياء والإماتة.

– تطور المناظرة القرآنية يتضح ذلك من مناظرة الرسول ﷺ لأبي بن خلف حيث عرضت الدعوى وقام التدليل بين طرفها دون أن تكون هناك تعمية وتغطية للحق فكان الحظ الأوفر لترسيخ الفكرة وشرحها ولم يزد المناظر على الاعتراض على البعث الاتفتيته العظم الرميم وسكت بعدها هذا الصوت ولم يسمع إلا صوت الحق.

وبقيت الفكرة الخالدة ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ يس 84

مما يبين أن المناظرة تطورت، فلا يكاد يظهر شيء في المناظرة غير فكرة مقابل فكرة ودليل مقابل دليل، فلا فوضى ولا حديث عن شخصية الداعي إلى الحق فبقيت الفكرة خالدة مرتبطة بالانسان الذي من صفاته النسيان فالنص القرآني موجه لتنازع فكرتين وتقوية جانب الحق حتى تترسخ عقيدة البعث وتستقر في النفوس.

وفي مناظرات الأنبياء الآخرين غابت الدعوى التي من أجلها بعث النبي وظل التركيز على شخص النبي فتحولت المناظرة من الحديث عن التوحيد والإيمان بالله إلى الحديث عن شخص الرسول واتهامه بشتى التهم وغاب الحديث عن التوحيد وإن النبي ليجد نفسه يدير مناظرته في مدار قومه لإبعاد التهم عن نفسه وعن اتباع الحق كمناظرة نوح وشعيب وصالح وهود عليهم السلام مع أقوامهم. وهذا ماتفطن إليه موسى عليه السلام حيث لم يتوقف عند تهم فرعون وإنما مضى في طريق الدعوة إلى الله شارحا مبينا دعوته دون أن يقع في شباك الطرف الآخر إذ أراد تحويل مجرى الحديث وراح يطعن في شخص موسى، ولذلك لانجد في ردود النبي الثابث موسى عليه السلام ماينفي عن نفسه الجنون أو السحر أو الرد على استهزاء فرعون به إلا ماكان في المنّ عليه فرد عليه منّه، وبذلك أتم موسى التبليغ .

- انتقال البشرية من مرحلة التجسيم إلى مرحلة التجريد. إن مناظرات القرآن تبين التطور الذي يساير الأجيال فبعد أن كانت البشرية لاتؤمن إلا بالتجسيد ومايقع على الحواس أصبحت تجرد الأمور وتقتنع وتكتفي بما يتوافق مع العقل فقد قال إبراهيم (ربي أرني كيف تحيي الموتى) البقرة 259 طلب رؤية بصرية شاهدة للإحيا. بعد الإماتة قال ﴿ خُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ﴾

واكتفى الرسول ﷺ وأمة الرسول بأن يقال له ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ فبين ﴿ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى ﴾ وبين ﴿ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ تطور واسع مرت من خلاله البشرية على مراحل تطورت خلالها مدارك الانسان.

تكرر ورود المعصية وتجذرها في أجيال البشرية فإنها تنحرف ضالة كافرة ثم يبعث الله رسولا يهدي به ماشاء ويعبد الله ثم تنتكس البشرية فترجع ضالة كما كانت أو أشد فيستدعي الأمر بعث رسول اخر ليهديها إلى الله ويعرفها به فتسترشد ماشاء الله لتلك الأمة ثم تظل ويبعث الله رسولا وهكذا البشرية تتطور والدين يزداد كمالا مع الرسل والأنبياء والمعاصي تكاد تكون نفسها تتكرر وتعاود الظهور في كل مرحلة من مراحل البشرية. وإن العدد للأنبياء والرسل الذين بعثهم الله لايستهان بهم فكأن المعصية في الدنيا مقصودة لاستمرارية الحياة

- غائية النص القرآني، فالنص تشترك فيه كل الأغراض وكل الكمالات. الغرض الديني والغرض الفني الجمالي. وتعطى المعاني الدينية والأفكار في إطار جميل تتناغم فيه الأغراض وتتلقي ليستقر في أعماقنا قمة الإعجاز البياني في القرآن الكريم نلمسه لمسا بجوارحنا وعقولنا ووجداناتنا في نصوص القرآن.

- المجال المفتوح للإعجاز القرآني، وسيظل الإعجاز البياني للقرآن الكريم منبع الدراسات الإعجازية يستقي منه كل جيل قدر طاقته مما هيء في عصره لأن عطاءات النص لاتنتهي.

وفي الختام

هل من سبيل إلى دراسة المحاورات التي كانت بين الله وخلقه وأهمها محاوراته مع الملائكة وإبليس التي في ظاهرها نزاع ولكن يصعب تسميتها (مناضرات) باعتبار طرفيها؟

والاقتراح هو العودة إلى كتب الأدب والفرق والعقيدة وأصول الفقه وتتبع تلك المناظرات ودراستها دراسة جمالية فهناك زخم لاحدود له من المناظرات في التراث العربي فحبذا العودة إليه وإحيائه في ثوب أدبي فني جميل.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

إبراهيم أنيس وآخرون

1- المعجم الوسيط ، دار الفكر ، بيروت

ابن الأثير (أبو الحسن بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم **بن عبد الواحد الشيباني ت 630هـ)**

2- تاريخ الكامل، المطبعة الأزهرية، القاهرة.

أحمد أحمد بدوي

3- أسس النقد الأدبي عند العرب، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ط3، 1964 م

أحمد أمين

4- ضحى الاسلام، دار الكتاب العربي، بيروت.ط10.

5-النقد الأدبي ،دار الكتاب العربي، بيروت .ط4 ،1967م .

أحمد أمين مصطفى.

6- المناظرات في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري،دار النمر، القاهرة ،1984م

أحمد الشايب

7- الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط6، 1966.

أحمد مصطفى المراغي

8- علوم البلاغة: دار إحياء التراث الاسلامي، مكة المكرمة ط10 - 1992م

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أحمد الهاشمي

9- جواهر الأدب في أدبيا ت وإنشاء لغة العرب ، دار الفكر، مصر.

الأخفش الأوسط (أبو الحسن سعيد بن مسعدة ت215هـ)

10- كتاب معاني القرآن ، تحقيق هدى محمود قراعة. مكتبة الخانجي، القاهرة ط1-1990 م.

الأشعري (أبو الحسن علي بن إسماعيل ت 324هـ)

11- مقالات الإسلاميين، واختلاف المصلين،تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية ،صيدا،1990م.

الآلوسي (أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود ت270هـ)

12- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار الفكر، بيروت ،1403هـ.

ابن الأنباري (كمال الدين أبو البركات ت577هـ)

13-الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين، دار الفكر، بيروت.

الباجي (أبو الوليد،ت 474هـ)

14-المنهاج في ترتيب الحجاج ،تحقيق عبد المجيد تركي، دار الغرب الاسلامي ،بيروت ، ط2،1987م.

الباقلاني (أبو بكر محمد بن الطيب ت403هـ)

15-إعجاز القرآن تحقيق الشيخ عماد الدين أحمد حيدر،مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط1،1411هـ- 1991م.

بكري شيخ أمين

16- التعبير الفني في القرآن الكريم، دار الشروق، القاهرة، ط4،1980م

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

البيهقي (أبو بكر أحمد بن الحسين ت 458هـ)

17- شعب الإيمان تحقيق ، أبي هاجر سعيد بن بسيوني زغلول،دار الكتب العلمية، بيروت، ط1،1410هـ 1990م.

ابن تيمية (أحمد تقي الدين أبو العباس بن عبد الحليم ت728هـ).

18- مجموع فتاوى شيخ الاسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم العاصمي النجدي الحنبلي وآخر.مكتبة المعارف، الرباط.

الثعلبي (أبو إسحاق أحمد بن محمد إبراهيم النيسابوري، ت467هـ)

19- قصص الأنبياء المسمى عرائس المجالس دار الرائد العربي، بيروت ط4

الجرجاني (عبد القاهر، ت474هـ)

20- دلائل الإعجاز:دار الكتب العلمية ،بيروت، ط1، 1409هـ-1988م.

الجرجاني (علي بن محمد الشريف ت816هـ).

21- كتاب التعريفات ،تحقيق عبد المنعم الحفني، دار الرشاد، القاهرة.

ابن جني (أبو الفتح عثمان ت392هـ).

22- سر صناعة الإعراب ،دراسة وتحقيق حسن هنداوي، دار القلم، دمشق ط2، 1993م

23- الخصائص، تحقيق محمد علي النجار دار الكتاب العربي بيروت.

الجويني (أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف، ت 478هـ).

24- الكافية في الجدل: تقديم وتحقيق فوقية حسين محمود، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

حاجي خليفة.

25- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون دار الفكر سورية 1982م.

حسن بحراوي

26- بنية الشكل الروائي المركز الثقافي العربي بيروت، ط1 1990م.

حسن حسين

27 مجلة الأزهر، مقال علوم القرآن المج 16، ج6 جمادي الآخرة 1364هـ

حسن ظاظا

28-كلام العرب من قضايا اللغة العربية دار النهضة للطباعة والنشر، بيروت1976.

حسين فضل الله

29- الحوار في القرآن قواعده أساليبه، معطياته دار التعارف للمطبوعات، بيروت ط5،1987م.

الحنبلي (ناصح الدين عبد الرحمن بن نجم ت 634هـ)

30- كتاب استخراج الجدال من القرآن الكريم تحقيق زاهر بن عواض الألمعي.

ابن خلدون (عبد الرحمن ت808هـ)

31- المقدمة ، دار الرائد العربي بيروت ،ط5 ، 1982م)

ابن خليكان (أبوالعباس شمس الدين أحمد بن محمد أبو بكر ت686 هـ) ،

32- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان،حققه إحسان عباس دار صادر بيروت.

خليل حلمي

33- الكلمة «دراسة لغوية معجمية» دار المعرفة الجامعية، مصر، ط2،1996م

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الرازي (فخر الدين محمد بن عمر ت 604هـ).

34- التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3.

زاهر بن عواض الالمعي

35- مناهج الجدل في القرآن الكريم مطابع الفرزدق التجارية، بغداد.

الزحيلي (محمد)

36- مرجع العلوم الاسلامية دار المعرفة، بيروت.

الزرقاني (محمد عبد العظيم)

37- مناهل العرفان في علوم القرآن دار الفكر ، مصر.

الزركشي (بدر الدين محمد بن عبد الله ت 794هـ)

38- البرهان في علوم القرآن تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم المكتبة العصرية، بيروت ط2.

الزركلي خير الدين

39- الاعلام دار العلم للملايين، بيروت. ط7 1986.

الزمخشري (محمود بن عمر ت538هـ).

40- أساس البلاغة : تحقيق عبد الرحيم محمود دار المعرفة، بيروت.

41- الكشاف: دار الكتاب العربي، بيروت، ط3،1987م

السكوني (أبو علي عمر ت717هـ).

42- عيون المناظرات، تحقيق، سعد غراب، منشورات الجامعة التونسية، تونس 1976م.

ابن سنان الخفاجي (أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد ت466 هـ).

43- سر الفصاحة تحقيق علي فوده،مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2،1994م.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ت 180هـ)

44- الكتاب، تحقيق طه عبد الحميد طه الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1980م.

سيد قطب

45- في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط11،1985م.

46- التصوير الفني في القرآن الكريم، دار الشروق القاهرة ط10- 1988م.

47- مشاهد القيامة في القرآن، دا رالمعارف ،مصر، 1966م.

السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن ،ت 911هـ)

48- الإتقان في علوم القرآن

49- الحافظ شمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداودي ت 945 هـ، طبقات المفسرين تحقيق علي محمد عمر، مكتبة وهبة مصر، ط1 ، 1972 م ، دار الفكر، بيروت.

50- الأشباه والنظائر ، تحقيق إبراهيم محمد عبد الله، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق 1407هـ

الشنقيطي (محمد الأمين بن محمد المختار) .

51- آداب البحث والمناظرة، مكتبة العلم، جدة.

شوقي ضيف

52- تاريخ الأدب العربي، دار المعارف، مصر، ط3، 1966م

53- الفن ومذاهبه في النثر العربي ،دار المعارف، مصر ،ط11،1990م.

الشوكاني (محمد بن علي بن محمد ت 1250هـ)

54- فتح القدير، الجامع بين فني الرواية والدراية من علم

التفسير.دار الكتب العلمية، بيروت.

سلاح فضل

55- علم الأسلوب «مبادئه واجراءاته»، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ط3، 1985م.

طاش كبرى زاده (ت 968هـ).

56- شرح مستنه في المناظرة والآداب، دار الاستقامة، القاهرة ط1،1318هـ.

الطبرسي (أبو علي الفضل بن الحسين ت548هـ).

57- مجمع البيان في تفسير القرآن، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت

الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير ت310هـ).

58- تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر.

59- جامع البيان في تفسير القرآن، دار المعرفة ، بيروت، ط4، 1980م.

طه جابر فياض العلواني

60- أدب الاختلاف في الإسلام، المعهد العالمي للفكر الاسلامي واشنطن، ط3،1985م.

طه عبد الرحمان

61- في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، فاس، ط1،1987.

عائشة عبد الرحمان

62- القرآن وقضايا الإنسان، دار العلم للملايين، بيروت ،ط2.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ابن عبد البر (أبو عمرو يوسف ت463هـ).

63-جامع بيان العلم وفضله ،دارالكتب العلمية ،بيروت

عبد الحليم الجندي

64- القرآن والمنهج العلمي،دار المعارف ،القاهرة، 1984م.

عبد الحليم حفني

65- أسلوب المحاورة في القرآن الكريم، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة

عبد الدايم صابر

66 - موسيقى الشعر العربي بين الثبات والتطور، مكتبة الخانجي، القاهرة 1993.

عبد الرحمن الوجي

67 الإيقاع في الشعر العربي، دار الحصاد للنشر والتوزيع، دمشق ،ط1،1989م

عبد الصبور شاهين

68- مناظرات في أصول الشريعة الإسلامية بين ابن حزم والباجي، دار الغرب الإسلامي ، بيروت، ط1،1986

عبد العزيز الكناني المكي ت 240 هـ

69- الحيدة (المناظرة الكبرى بين أهل السنة والفرق الضالة) ، تحقيق علي بن محمد بن ناصر الفقيهي، دار الفتح الشارقة الإمارات العربية المتحدة.

عبد الكريم الخطيب

70- القصص القرآني في منطوقه و مفهومه، دار المعرفة، بيروت.

عبد الله دراز

71- النبأ العظيم- نظرات جديدة في القرآن- مطبعة السعادة، مصر

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

عبد المجيد النجار

72- خلافة الانسان بين الوحي والعقل بحث في جدلية النص والواقع، شركة الطباعة للنشر،حلق الوادي ،تونس.

عدنان بن ذريل

73- اللغة والأسلوب - دراسة- منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق 1980.

عفيف عبد الفتاح طباره

74- روح الدين الاسلامي، دار العلم للملايين، بيروت.

العكبري (أبو البقاء عبد الله الحسين ت616هـ)

75- التبيان في إعراب القرآن ، تحقيق علي محمد البجاوي. دار الجيل، بيروت. ط2، 1987 م.

عمر السلامي

76- الإعجاز في القرآن الكريم، مؤسسات عبد الكريم ،تونس

ابن عساكر (الحافظ المؤرخ ثقة الدين أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي ت 571)،

77- تهذيب تاريخ دمشق الكبير دار المسيرة بيروت ط2 1979م.

ابن فارس (أبو الحسن أحمد ت 395هـ)

78- مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون.دار الفكر، مصر.

الفيومي (أحمد بن محمد بن علي المقرىء، ت770هـ)

79- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، دار القلم، بيروت.

القاسمي جمال الدين.

80- دلائل التوحيد ضبط و تعليق خالد عبد الرحمان العك، دار النفائس بيروت ط1، 1991

ابن قدامة المقدسي(موفق الدين عبد الله ت 620 هـ)

81- الاستبصار في نسب الصحابة من الأنصار حققه وقدم له علي نويهض، دار الفكر بيروت.

القفطي (جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف ت 624 هـ)

82-إنباه الرواه عل أنباه النحاة تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي القاهرة.

ابن القيم (شمس الدين محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية الدمشقي ت751هـ).

83- الفوائد مكتبة النهضة العلمية، السعودية.

84- أعلام الموقعين عن رب العالمين، دار الحديث مصر.

ابن كثير (عماد الدين أبو الفداء إسماعيل ت774 هـ)

85- تفسير القرآن العظيم دار الأندلس، بيروت.

86- قصص الأنبياء تحقيق محمد أحمد عبد العزيز مكتبة دار الثقافة، عمان ط4، 1993م.

محمد أبو زهرة

87- تاريخ الجدل ،دار الفكر، بيروت.

88- المعجزة الكبرى، دارالفكر العربي ، بيروت.

89- خاتم النبيين، المكتبة العصرية صيدا، بيروت.

محمد التومي

90- الجدل في القرآن الكريم، شركة الشهاب، الجزائر.

محمد الحسناوي

91- الفاصلة في القرآن، دار المكتب الاسلامي، عمان ،ط.2

محمد شديد

92- منهج القصة في القرآن، شركة مكتبات عكاظ، السعودية

،ط1984،1م

محمد غنيمي هلال

93- النقد الأدبي الحديث، دار العودة بيروت، ط1 1982م.

محمد محي الدين عبد الحميد

94- رسالة الآداب في علم أداب البحث والمناظرة، الاستقامة، القاهرة، ط1942،3م

محمد مفتاح

95- دينامية النص (تنظير وإنجاز)، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1- 1987م.

محمود السعران

96- علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت.

محمود شلبي

97- حياة إبراهيم ، دار الجيل، بيروت.

المدني (هاشم محمد سعيد دفتر دار)

98- معجزات قلب القرآن، دار الشروق، القاهرة ط4، 1989م.

المرتضى (علي بن الحسن الموسوي العلوي ت 436 هـ)

99- أمالي المرتضى غرر الفوائد ودرر القلائد، تحقيق أبو الفضل

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

إبراهيم دار الكتاب العربي بيروت، ط2 1967.

مصطفى الشكعة

100- الأئمة الأربعة، دار الكتاب المصري، القاهرة، ط3 ،1991م.

مصطفى صادق الرافعي

101- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي، بيروت ،ط9 1973م.

ابن منظور (جمال الدين محمد بن مكرم ت 711هـ)

102- لسان العرب دار المعارف، مصر.

منير سلطان

103- بلاغة الكلمة والجملة والجمل، منشأة المعارف، مصر 1988م.

مهدي فضل الله

104-مدخل إلى علم المنطق، دار الطليعة، بيروت ،ط3،1986.

مهدي المخزومي

105- في النحو العربي، نقد وتوجيه، دار الرائد العربي، بيروت 1986.

الميداني (عبد الرحمان حسن حبنكة)

106- ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، مكتبة العلم،

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جدة.

107- الواحدي (أبو الحسن علي بن أحمد النيسابوري ت 468 هـ) أسباب النزول وبهامشه الناسخ والمنسوخ لأبي نصر، دار المعرفة بيروت.

ابن النديم (أبي الفرج محمد بن إسحاق ت)

108- الفهرست دار المعرفة بيروت ط1 1994 م.

ابن هشام (أبو محمد عبد الملك ت218هـ)

109- سيرة- النبي صلى الله عليه وسلم -تحقيق مح عبد الحميد ،دار الفكر، مصر.

ابن هشام الانصاري (ت 761هـ).

110- مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد،المكتبة العصرية ،صيدا ،1411هـ-1991م.

أبو هلال العسكري (الحسن بن عبد الله بن سهل ت395 هـ)

111- كتا ب الصناعتين، تحقيق علي محمد البجاوي وأخر المكتبة العصرية، صيدا 1406هـ- 1986م.

الواقدي (محمد بن عمر بن واقد ت 207 هـ)،

112- كتاب الردة مع نبذة من فتوح العراق وذكر المثنى بن حارثة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(الشيباني) تحقيق يحي الجبوري، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط1 1990م.

وليد قصاب

112- التراث النقدي والبلاغي حتى نهاية القرن السادس الهجري، دار الثقافة، الدوحة 1985م.

الرسائل الجامعية:

عزيز عدمان

113- سورة الفرقان دراسة أسلوبية، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في اللغة، اشراف الأخضر جمعي جامعة الجزائر معهد اللغة و الادب العربي 1995

محمد خان:

114- نظام الجملة ودلالتها في سورة البقرة، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في اللغة، اشراف مختار نويوات، جامعة عنابة 1985.

المجلات والدوريات

115 - مجلة الأزهر، المجلد 16، ج6 جمادي الآخرة، مصر 1364هـ

116- مجلة فصول المجلد ،1 العدد 1\مصر، أكتوبر 1980

117- مجلة اللسان العربي، جامعة الدول العربية، الرباط، عدد1، جوان 1964

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهـــرس المـــوضوعات

مقـــــدمة

1- الفصل الأول : المفاهيم و الاتجاهات في دراسة المناظرة .....ص 1

1.3- مفهوم المناظرة و أركانها .....ص 3

1.2- مفهوم المناظرة .....ص 3

تمهيد .....ص 3

الجدل .....ص 5

الحوار .....ص 8

2.2- أركان المناظرة .....ص 9

1.4- الطرفان .....ص 9

1.6- شخصية واقعية .....ص 12

2.6- شخصية ثابتة .....ص 13

3.6- شخصية متكافئة .....ص 13

4.6- الثنائية .....ص 15

5.6- عالمة .....ص 17

6.6- لا محورية .....ص 21

2.4- الدعوى .....ص 22

1.2- الادعاء .....ص 23

شروط الادعاء .....ص 23

2.2- المنع .....ص 23

خصائص المنع .....ص 23

شروط المنع .....ص 24

3.4- الأدلة .....ص 25

4.4- الآداب .....ص 29

2.3- الاتجاه الأدبي في دراسة المناظرة .....ص 35

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

3.3- الاتجاه المنطقي في دراسة المناظرة .....ص 46

تطبيقات منطقية

2- الفصل الثاني : دراسة نماذج من المناظرات القرآنية.....ص 57

1.3- دراسة النموذج الأول : مناظرة إبراهيم عليه السلام لتمرد .....ص 59

تمهيد .....ص 59

1.2- أركان المناظرة .....ص 67

1.4- الطرفان .....ص 67

2.4- الدعوى .....ص 71

1.3- الادعاء .....ص 72

2.3- المنع .....ص 72

3.3- التدليل .....ص 74

3.4- المآل .....ص 79

مرحلة المبادئ .....ص 79

مرحلة الأواسط .....ص 80

مرحلة المقاطع .....ص 80

4.4- الآداب .....ص 81

2.2- وسائل المناظرة .....ص 84

1.2- الحوار .....ص 85

2.2- الجدل .....ص 88

الكبر .....ص 89

المكانة الإجتماعية .....ص 89

مع قومه .....ص 91

مع أبيه .....ص 94

2.3- دراسة النموذج الثاني .....ص 96

مناظرة موسى عليه السلام الفرعون .....ص 96

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تمهيد .....ص 96
2.1- أركان المناظرة .....ص 100
1.4- الطرفان .....ص 100
موسى عليه السلام .....ص 100
فرعون .....ص 101
2.4- الدعوى .....ص 103
1.4- الادعاء .....ص 103
2.3- المنع .....ص 106
3.3- التدليل .....ص 107
3.4- المآل .....ص 110
4.4- الآداب .....ص 112
2.2- وسائل المناظرة : ..... ص 114
2.1- الحوار .....ص 114
2.2- الجدل .....ص 116
3.3- دراسة النموج الثالث : مناظرة الرسول صلى الله عليه و سلم لأبي بن خلف .....ص 118
تمهيد .....ص 118
كمال حكمة الله .....ص 120
كمال قدرة الله .....ص 120
كمال علم الله ..... ص 121
1.2- أركان المناظرة .....ص 122
1.4- طرفا المناظرة .....ص 122
الرسول صلى الله عليه و سلم .....ص 122
أبي بن خلف..... ص 124
2.4- الدعوى .....ص 126
1.3- الادعاء .....ص 126

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

2.3- التدليل .....ص 127
3.3- المنع .....ص 127
3.4- المآل .....ص 133
4.4- الأداب .....ص 133
2.2- الوسائل .....ص 135
1.2- الجدل .....ص 135
2.2- الحوار .....ص 136
3- الفصل الثالث .....ص 140
دراسة نص .....ص 140
مناظرة إبراهيم عليه السلام المنرود .....ص 142
تمهيد .....ص 142
1.3- الدراسة الصوتية .....ص 144
رصد الأصوات .....ص 146
الصوت الإنفجاري .....ص 146
الصوت الاحتكاكي .....ص 148
الصوت المهجور .....ص 149
الصوت المهموس .....ص 150
الصوت المفغم و الصوت المرقق .....ص 151
الصوائت .....ص 152
المقاطع الصوتية .....ص 156
الفاصلة القرآنية .....ص 165
2.3- الدراسة التركيبية .....ص 170
3.3- الدراسة الدلالية .....ص 181
خاتمة .....ص 188
قائمةالمصادر و المراجع .....ص 192

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية